سارة كامنسكي

ادولفو كامنسكي

يهودى فى الأفلان

المجتهدون

المؤسسة الناشئة المجتهدون

شارع العقيد عميروش

16002 الجزائر الوسطى

الهاتف: 0662754428

البريد الرقمي: elmoujtahidoun@gmail.com

سارة كامينسكي

أدولفو كامينسكي
يهودي في الأفلاك

المجتهدون

مدخل

المؤسسة الناشئة المجتهدون تقدم لكم وباللغة العربية كتاب سارة كامينسكي عن والدها أدولفو، الرجل ذو الف حياة، والذي كان يلقب «ملك الأوراق الحقيقية المزورة» فقد عمل في خدمة المقاومة الفرنسية أثناء الإحتلال الألماني لفرنسا، ثم في جبهة التحرير الوطني خلال ثورة 1954-1962، فالحركات المناهضة للاستعمار، هو كتاب يستحق بحق القراءة والدراسة من قبل الجزائريات والجزائريين، وخاصة المتخصصين في تاريخ الجزائر (أساتذة وطلاب).

حياة مزوّر، كما عنونت ابنته سارة كامينسكي لكتابها هذا، ارتأت المؤسسة الناشئة المجتهدون، تغيير عنوان الكتاب إلى «أدولف و كامينس كي: يهـ ودي في الأفلان[1]»، لأن في معظمه يتحدث عن فدرالية الجبهة التحرير الوطني بفرنسا

1 - الأفلان: جبهة التحرير الوطني 1954-1962.

خلال الثورة التحريرية المباركة، وتحديداً عن شبكات حاملي الحقائب بقيادة الفيلسوف فرانسيس جينسون الملقب «بالأستاذ». وكيف التزم التروتسكيون والمسيحيون اليساريون بالنضال مع جبهة التحرير الوطني في فرنسا ضد حكومتهم، من أجل استقلال الجزائر.

بصراحة، هذا الكتاب يقدم الكثير من المعلومات والعديد من أسماء النساء والرجال من ديانات مختلفة الذين شاركوا في تحرير الجزائر والشعب الجزائري.

لقد تم تجنيد أدولفو كامينسكي، هذا اليهودي العلماني والإنساني والشجاع والباسل، للعمل بصفة مستمرة وكاملة من قبل شبكة حاملي الحقائب للبروفيسور فرانسيس جينسون في صناعة الوثائق الحقيقية المزورة في فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا. تم تجنيده من قبل أنيت روجر[2]، دكتورة في الطب، وهي عضو في شبكة جينسون.

2 - Annette Roger

أدولفو كامينسكي، من أصل أرجنتيني، وابن مهاجرين يهود روس، ولد في بوينس آيرس بالأرجنتين، قبل أن يأتي إلى فرنسا وينضم في سن 17 من عمره إلى المقاومة في فير ثم باريس، بعد أن خرج من معسكر اعتقاله بدرانسي. إستغل معرفته بالكيمياء والتقاط الصور، وهي مفيدة لتغير لون الأحبار التي سيتم استخدامها لصنع أوراق حقيقية مزيفة، في مختبر سري، حيث أنقذ آلاف الأرواح.

توفي أدولفو كامينسكي يوم الاثنين 9 يناير 2023 عن عمر يناهز 97 عامًا، فهو "إنسانيًا ومصورًا من نوعاً خاص. لقد كان «مصورًا موهوبًا (أصبح) مزيفًا عبقريًا، حيث قدم أوراقًا حقيقية مزيفة للمقاومة اثناء الاحتلال الالماني لفرنسا ولليهود الذين لا يملكون وثائق السفر والهوية بعد خروجهم من معسكرات الإعتقال بعد الحرب العالمية الثانية في عدة دول اوروبية للذهاب الى فلسطين، ثم مع جبهة التحرير الوطني في فرنسا» ثم العمل مع الحركات المناهضة للاستعمار. كان أدولفو كامينسكي، مختبئًا ويعمل في السر،

وقدم أوراق حقيقية مزورة لجميع الحركات الثورية في القرن العشرين.

بداية مسيرة مهنية غنية استمرت ثلاثة عقود، معرضاً حياته للخطر وازدراء صحته، تحت عمل مصور في ورش عمله في الحي اللاتيني أو منطقة لوسونتي. وقد صرح لرجال الإعلام في عام 2012: "أتيحت لي الفرصة لإنقاذ العديد من البشر. عملت ليل نهار تحت المجهر. لقد فقدت عيني لكنني لست نادما على أي شيء ". الشخص الذي كان معروفاً آنذاك بالاسم المستعار «السيد جوزيف». "عمل في المخابرات الفرنسية حتى استسلام ألمانيا النازية، وساعد الناجين اليهود من معسكرات الموت على الهجرة إلى فلسطين. وأصبح بعد ذلك مزيفًا وخبيرًا في الوثائق الحقيقية المزورة لجميع الحركات المناهضة للاستعمار والفاشية: شبكة جبهة التحرير الوطني خلال الثورة الجزائرية، والمناهضين لفرانكو في إسبانيا، والمناهضين لسالازار في البرتغال، والمناهضين للعقداء في اليونان، وفي براغ، وفي أمريكا اللاتينية، والمؤتمر الوطني

الأفريقي، غينيا، أنغولا، وحتى الفارون الأمريكيون خلال حرب فيتنام وحتى دانيال كوهن بنديت في ماي 1968...

في نهاية عام 1971، أوقف عمله كمزور للوثائق، وقرر مغادرة فرنسا نحو الجزائر (الجزائر العاصمة)، للعمل في الشركة الوطنية للفولاذ (SNS) حيث كان لديه أصدقاء من شبكة حاملي الحقائب وجبهة التحرير الوطني. جاء ليقضي عامين كمدرب، لكنه مدد إقامته لمدة اطول، حيث تزوج من امرأة جزائرية اسمها ليلى وأنجب منها ثلاثة أطفالًا، ومن بينهم سارة كامينسكي التي ألفت هذا الكتاب.

ومع هذا فإن أدولفو كامينسكي لم يتمكن من الحصول على الجنسية الفرنسية الى غاية عام 1992، بعد عودته من الجزائر العاصمة، رغم عمله في المقاومة أثناء احتلال فرنسا من طرف المانيا...

الدكتور عثمان عبد اللوش

الجزائر 31 ديسمبر 2025

مقدمة

- «بما أنك تريدين أن تعرفي كل شيء، أخبريني ماذا تعريفينه عن حياتي». على سبيل المثال، متى علمت أنني كنت مقاومًا ؟

- بصراحة، لا أعرف. حتى التزوير، لم أعرفه إلا مؤخراً. لو بقينا في الجزائر، لما عرفت أبدًا ماذا فعلت في الحرب العالمية الثانية. بالنسبة لي، كنت المجاهد، كما يقولون.

- ولكن بعد ذلك، في فرنسا، عرفت أكثر.

- ليس على الفور. لم تخبرنا عن ذلك. لقد نشأت وأنا أفكر في أنني ابنة معلم شوارع يساعد المنحرفين الشباب على إعادة إدماجهم، وأنك تساعدهم على البحث عن عمل وتعلمهم فن التصوير. ولكن من خلال الاستماع الجيد إلى محادثات

الكبار، كان لدي بعض الأدلة، بعض الأخبار الصغيرة المتقطع. كانت هناك تناقضات في المعلومات التي كنت أحصل عليها، كل شيء كان مرتبكً وغامض. لقد فهمت ذلك من خلال سلسلة من الأحداث الخارجية. كان هناك هذا المقال في صحيفة مينيت[3] اليمينية المتطرفة، هل تتذكر ؟

- بالطبع، حتى أنني احتفظت به. تفضلي، انظري.

- "المزيف السابق يعود لنا عبر الأخلاق. مزور سابق يسهر اليوم على الأخلاق الحميدة للشباب، هذا العضو السابق في شبكة جينسون، الذي دعم جزائريي جبهة التحرير الوطني ضد فرنسا، هو الآن مسؤول ويشرف على المساعدة في إعادة إدماج المنحرفين المغاربية... "، حسناً!

- بعد نشر هذا المقال، قام بعض الشباب الذين كنت أسهر على عملية ادماجهم بإلقاء بعض النُكَتْ، سيئة الذوق إلى حد ما، منها: «لدي ابن عم يحتاج إلى وثائق»، أو «سأحتاج إلى بضعة آلاف من الفرنكات».

3 - Minute

- بعد فترة طويلة، أتذكر، عندما كنت تجمع ملف طلب الجنسية الفرنسية، رأيت رسائل عديدة. هناك رسالة أثارت اهتمامي. لقد شكروك بإمتنان على عملك في خدمات التجسس ومكافحة التجسس التابعة للجيش الفرنسي في عام 1945. لقد قُلتُ، وَاوْ، والدي، عميل سري! وفقًا لوجهات النظر، سمعت المزور والمقاوم والبطل والخائن والعميل السري والخارج عن القانون، والمجاهد...

- وما رأيك في ذلك ؟.

- يجب في يوم من الأيام أن أوضح ذلك. حسنًا، لقد أدرجت قائمة للأشخاص الذين أود أن أسألهم عنك.

- أريني... إنها طويلة قائمتك. سيكون الأمر معقدًا. لقد مات جميعهم تقريبًا.

عندما انتهينا من حذف أسماء جميع الأشخاص الذين لم أتمكن من مقابلتهم، انخفضت قائمتي إلى النصف. رد والدي بنبرة المزحة:

- سيؤدي ذلك إلى عمل أقل.

وهو الرد الذي يقوله دائمًا كلما نتحدث عن مواضيع مؤلمة. الموت، الزمن. لقد أشار للتو عن أسباب اضطراري إلى كتابة هذا الكتاب بسرعة. قبل فوات الأوان حتى لا يغادرنا مع أسراره، مع تاريخه، حتى لا تظل ألغاز حياته دون إجابة.

لقد استغرق الأمر عامين من التحقيق وحوالي عشرين مقابلة للتعرف على أدولفو كامينسكي، الذي كنت أعرفه «كأبي» فقط.

فك شفرة الصمت، وقراءة بين الأسطر، رواياته الأحادية وما لا يقوله بالكلمات، وفهم الأمثال واستخراج الرسائل المدفونة تحت سلسلة الحكايات التي ملأت دفاتري. وقد تطلب الأمر مني في بعض الأحيان معرفة نظرة الآخرين لفهم خياراته، وحياته كمزور، وسري، والتزاماته السياسية، وسوء فهمه للمجتمع، والكراهية التي تثقل كاهله، وإرادته في بناء عالم عادل وحر.

الجزء 1

كيف اصبحت مزوراً؟..

باريس، يناير 1944. عندما وصلت أمام مترو سان جيرمان دي بري[4]، قفزت فيه دون إضاءة أي وقت. يجب أن أصل إلى شرق باريس، اتجاه بير لاشاز[5]. كنت أحمل محفظة، خلافاً للركاب الآخرين. لدي، في حقيبتي، شيء ثمين، أضمه لصدري. أحصي المحطات التي تمر. محطة الجمهورية، أكثر من ثلاثة مرات. هناك ضوضاء، أصوات قادمة من العربة المجاورة. كان المترو يصفر لعدة ثوان، لكن الأبواب لم تغلق بعد. الأصوات تفسح المجال لصوت الخطوات صاخبة وجافة، هذا الصوت خاص جدًا. تعرفت عليه على الفور. بدأت احس بألم حارق في صدري، لحظة

4 - Saint-Germain-des-Prés
5 - Père-Lachaise

مرور دورية من رجال الميليشيات تحمل شارات على الذراع والقبعات الباسكية على الجماجم، في مترو الأنفاق. وبإشارة منهم للسائق الأبواب تغلق .

- التحقق ومراقبة الوثائق! بحث عام!

لم التفت إليهم. أنتظر دوري، في نهاية العربة. على الرغم من أنني اعتدت لفترة طويلة على مراقبة فحوصات الشرطة، إلا أنني كنت خائف هذه المرة. قبل كل شيء، حافظت على هدوئي، وتمويه مشاعري. وتمنيت أن لا تخونني اليوم، وليس الآن تحديداً . منعت ساقي من الرعش والتغلب على الخوف الذي امتلكني فجأة، ومنع قطرات العرق من الظهور على جبهتي، ووقف تدفق الدم إلى الأوردة، وابطئ سرعة نبضات القلب، والتنفس ببطء. الضغط على الخوف، أخفي القلق. المهم، كل شيء على ما يرام. لدي مهمة يجب تنفيذها، ولا شيء مستحيل.

هناك، خلفي مباشرة، يتم فحص ومراقبة الوثائق، تفتيش الحقائب. كنت أفكر في النزول في المحطة القادمة،

ولكن أمام كل باب من أبواب قطار الأنفاق يتمركز أحد أفراد الميليشيا. من الواضح أنه ليس لدي فرصة للهروب من المراقبة.

وبمفردي، نهضت وتوجهت بثقة لأقدم وثائقي إلى الميليشي الذي يقترب مني، مشيراً بيدي أنني سأنزل في المحطة القادمة. بدأ يقرأ بصوت عالٍ المعلومات الموجودة في بطاقة هويتي: "جوليان كيلر، سبعة عشر عامًا، صانع صبغ، ولد في إين مقاطعة كروز[6]... "يقلب البطاقة لفحصها من كل زاوية، وفجأة يرفع عينيه الصغيرتين المشبوهتين، ويدقق في رد فعلي. أعلم أنه لا يستطيع تخمين خوفي، بدت هادئًا. أعلم أيضًا، على وجه اليقين، أن أوراقي سليمة. على كل حال هذه الوثائق أنا من صنعتها.

- أوراق في وضع جيد... كيلر، هل أنت الألزاسي[7] ؟

- نعم.

- وهنا؟ ماذا لديك بالداخل ؟

6 -Ain, département de la Creuse

7 - alsacien

هذا بالضبط ما أردت تجنبه. يحدد الميليشي الحقيبة التي أحملها، والتي أمسكها بعصبية. في تلك اللحظة، أعتقدت أنني أشعر أن الأرض تنهار من تحتي. أود أن أهرب وأفر من أمامه. لكن أي محاولة للهروب ستكون عقيمة. حالة من الذعر جمدت دمي وأنفاسي. علي أن أرتجل، وبسرعة، تحولت الى شخص أحمق قدر الإمكان.

- أنت أصم ؟ ما الذي بداخلها ؟ يسأل الميليشي وبصوت مرتفع.

- وجبتي الخفيفة. هل تريد أن ترى ؟

وبسرعة البرق أفتح حقيبتي. ولامشكلة، هناك وجبة خفيفة في الداخل. وهذه الوجبة الخفيفة كبيرًا بما يكفي لإخفاء ما يجب أن أخفيه بأي ثمن.

بعد ثانية من التردد، يقوم الميليشي بتمعن جيداً في ملامح وجهي، بحثًا عن خطأ. لذلك أعرض عليه ابتسامتي الأكثر إنكارًا. شيء كنت دائمًا قادرًا على القيام به، كلما لزم الأمر: ابدو غبيًا جدًا. هذه الثواني تبدوا وكأنها ساعات.

وصلنا إلى محطة بير لاشاز، وأطلق القطار صافرة فتح الأبواب.

- جيد، يمكنك المغادرة.

أتذكر جيدًا هبوب الرياح القوية على قبور المقبرة. كنت جالسًا على مقعد في احدى ممرات مقبرة بير لاشاز، لم أكن قد أتيت إلى هنا لزيارة قبر من القبور. كان فكي فمي ترتعش، وجسدي يرتجف.

كان علي أن أخرج من مترو الأنفاق وأجر نفسي إلى المقبرة لأجد العزلة اللازمة لاستعادة معنوياتي، وأترك المشاعر الخفية تطفو على السطح في هدوء تام. أطلقت عليها الصدمة بأثر رجعي. طرد الجسد المشاعر المكبوتة. كل ما كان علي فعله هو الانتظار بصبر هنا حتى يعود نبضي إلى طبيعته، وجسدي الى حالته الإعتيادية. كم من الوقت استغرق ذلك ؟ لا أعرف. ربما خمس أو عشر دقائق. الوقت اللازم حتى اشعر بالبرد مرة ثانية. الوقت لأتذكر لماذا

أنا هنا، في هذه المخاطرة. علي أخذ الوقت اللازم لأتذكر سبب المهمة التي سأقوم بها الآن.

كانت هذه الحالة الطارئة هي التي أخرجتني من الصمت والهدوء الشديد في المقبرة، وأنه لم يعد لدي دقيقة لأضيعها. لا وقت لشهوة أو الخوف أو الإحباط. كنت احضر نفسي للخروج من المقبرة. ولكن قبل أن أنهض، فتحت حقيبتي بعناية لإجراء فحص نهائي.

أرفع الوجبة الخفيفة. كل شيء هناك. كنزي. خمسون بطاقة هوية فرنسية فارغة، قلمي، حبري، طوابعي ودباسة[8].

في ذلك اليوم، مثل الأيام الكثيرة من قبل، طرقت كل باب من أبواب القائمة التي أعطيت لي في اليوم السابق، حيث أمضيت الليل كله أحفظ عن ظهر قلب. أسماء وعناوين عشرات العائلات اليهودية، التي وفقًا لما

8 - une agrafeuse

اكتشفته الشبكة بفضل شركائها المتسللين، والذين سيتم توقيفهم في اليوم الموالي عند الفجر.

أصعد إلى شارع مينيلمونتون[9]، ثم آخذ شارع دي كورون[10] حتى أصل إلى الشوارع المجاورة لشارع بيلفيل[11]. في كل مرة، يتم وضع وجوه جديدة على هذه الأسماء المجهولة. في شارع مولان جولي[12] وعائلة بلومنتال[13]، موريس، لوسي وأطفالهم، جان وإليان وفيرا، الذين قبلوا الوثائق المزورة ودخلوا في السرية.

في أفضل الحالات، كانت لديهم صور الهوية في المنزل، يجب أن ألصقها على بطاقة الهوية الفارغة، والتي أملأها أخيرًا بعناية بكتابة موظف البلدية. في بعض الأحيان يقبلون الوثائق المزورة ولكن ليس لديهم العناصر اللازمة للتصنيع هذه الوثائق «في نفس المكان». ومع ذلك، فإنهم

---

9 - Ménilmontant
10 - des Couronnes
11 - Belleville
12 - Moulin-Joly
13 - Blumenthal

يأخذون زيارتي على محمل الجد، ويؤكدون لي أنهم لن يعودوا إلى المنزل في اليوم التالي وقت الغارة. البعض لديه عم، صديق، ابن عم يختبئ عنده. الآخرون ليس لديهم أحد. هناك البعض الذين يرفضون أولاً، ثم يغيرون رأيهم عندما أؤكد لهم أن عرضي مجاني. لكن لسوء الحظ، ليس من السهل إقناعهم جميعًا. هذه الليلة، على سبيل المثال، كانت هناك السيدة درودا[14] في شارع أوبيركامبف[15]. وهي أرملة أدهشتني من افتقارها إلى الوضوح، وعنادها في اعتباري شخصًا غير أمين. عندما عرضت عليها الوثائق، شعرت بالإهانة: «لماذا أختفي، أنا لم أفعل شيئًا، وأنا فرنسية لعدة أجيال ؟» كان لدي الوقت لأرى، من خلال فتحة الباب، الطاولة موضوعة في غرفة الإستقبال، حيث يوجد أربعة أطفال يأكلون بهدوء. حاولت كل شيء لإقناعها. شرحت لها أن شبكتي متورطة في إخفاء الأطفال، وأنه سيتم وضعهم بأمان في منازل الأشخاص الشرفاء في الريف، وأنها

14 - Drawda
15 - Oberkampf

تستطيع حتى التواصل معهم. على الرغم من أنني رجوتها مراراً ، إلا أنها لم تستمع إلي، ولم ترغب في سماعي، وأبقت هواءها الصغير ساخطًا. ما أدهشني هو أنه بعد الاستماع إلى حديثها عما رأيته بأم عيني أثناء اعتقالي في درانسي، والحافلات بأكملها التي تغادر للموت، وآلاف المرحلين، ردت ببرود بأن معسكرات الموت غير موجودة، وأنها لم تصدق أكاذيب الدعاية الأنجلو أمريكية. بعد ذلك، بعد المقاطعة لثانية، أصبحت تهددني وحذرتني من أنني إذا لم أغادر على الفور، فسوف تخبر الشرطة. ألم تفهم بالتالي أن الشرطة، التي ستأتي لاعتقالها مع أطفالها في اليوم التالي، لن تكون موجودة لحمايتهم ؟

كنت أحمل حقيبتي وألمي كعبء، وواصلت طريقي، من باب إلى باب، وأعد وأضع قوائم في رأسي، والمستقبل السري من جانب، والمرحلين من جانب آخر. من بين هؤلاء، علمت مسبقًا أنني سأتذكر دائمًا، أن ذاكرتي لا تستطيع محو أسمائهم ووجوههم تمامًا. أنني سأصاب

بكوابيس. أدركت أنني ربما كنت آخر شاهد على حريتهم، حاولت منحهم مكانًا صغيرًا في مكان ما في ذكرياتي.

وعلى الرغم من أنني كنت أسرع، إلا أن الظلام المتجمد في ليالي الشتاء قد انتهى من اكتساح آخر أشعة الشمس الصافية لشهر فبراير. عندما أغلق آخر باب من آخر عنوان علي، مر وقت حظر التجول لفترة طويلة. كان يجب أن أمشي في الظل، أنط من مكان الى أخر هارب من أضواء مصابيح الشوارع، وسد خطوتي، والاختفاء. ولكن، قبل كل شيء، البحث عن كشك هاتف لإبلاغ جهة اتصالي بأن منطقتي قد انتهيت من تسليمها الوثائق الحقيقية المزورة. رقم للاتصال، رسالة مشفرة للنطق، وبعد ذلك فقط يمكنني العودة إلى المنزل.

بعد عشرين دقيقة من المشي المؤلم، رأيت أخيرًا المبنى المبني من الطوب لبيت الشاب، والذي أصبح الآن يسمى قصر المرأة، يظهر من بعيد. في ذلك الوقت، كانت المؤسسة تعمل كمنزل للطلاب والعمال الشباب. كان إيجار المبيت

رخيص جدًا وكنت هناك، الى غاية العثور على مكان أفضل.

عند وصولي أمام البوابة، أعطيت عدة أجراس، لكن لم يفتح لي أحد. كنت أعاني من البرد، وتجمدت قدمي، وعلقت بالخارج أثناء حظر التجول. في كل ركن من أركان الظلام، اعتقدت أنه يمكنني إدراك الصور الظلية المهددة والظلال وسماع الأصوات. شعرت بالخطر. لا مكان للذهاب إليه. مرهق. بعد أن رنت الجرس للمرة الأخيرة، دون رد، ذهبت الى مدخل مبنى، جلست على الخطوة الأولى للسلم، وتراجع رأسي إلى كتفي ولفيت ذراعي حول الجسد، لأنتظر حتى الفجر.

كنت غير قادر على إغلاق عيني، مذهولًا من صوت الرياح، كنت أفكر في السيدة درودا، وكل أولئك الذين فشلت في إقناعهم، وخاصة الأطفال. شعرت بالذنب، دون أن أتمكن من قول ماذا. ندمت على عدم العثور على الكلمات الصحيحة، أكثر عدلاً وإقناعًا.

أردت الإصرار على الاعتقاد بأن جهودي، مثل جهود رفاقي، لم تذهب سدى. لا أستقيل. تساءلت عما إذا كان بإمكان صديقي «لوتر»[16] إنهاء جولته قبل حظر التجول، إذا كان بإمكانه توزيع أوراق أكثر مما فعلت. كنت آمل ألا يتم القبض عليه من قبل الشرطة. وإلا، فهذا يعني أنه الموت بالفعل.

كان ذلك في يناير 1944. على عكس ما قالته وثائقي، لم أكن في السابعة عشرة من عمري، بل كنت في الثامنة عشرة من عمري فقط. لقد جددت شبابي لمدة عام للهروب من STO[17] . فبعد طفولتي التي انقطعت فجأة مع بداية الحرب العالمية الثانية، لم أشعر بعد بأنني بالغ تمامًا، لكنني الآن أعرف، على وجه اليقين، أنني لم أعد طفل.

كنت أعرف بالطبع أن الشرطة كانت تبحث على مزوّر باريس. كنت أعرف ذلك لأنني وجدت طريقة لإنتاج مثل هذه الكمية الكبيرة من الوثائق الحقيقية المزورة

---

16 - Loutre

17 -مصلحة العمل الاجباري

التي، بسرعة كبيرة، غمرت المنطقة الشمالية بأكملها، حتى بلجيكا وهولندا. فإي شخص يبحث عن أوراق مزورة في فرنسا فأنه من خلال الاتصال بأي فرع من فروع المقاومة، سيحصل عليها على الفور. فإذا كان الجميع يعرف ذلك، فأكيد أن الشرطة على علم. وكلما أنتجنا المزيد، كان لا بد من اتخاذ المزيد من الاحتياطات.

الميزة الرئيسية التي كانت لدي على الشرطة هي أنهم ربما كانوا يبحثون عن فني " محترف "عنده الآلات، ومطابع، وشركة لصناعة عجينة الورق؛ لم يكن لدي أي من هذه الأشياء، فالشخص الذي كانوا يبحثون عنه كان مجرد طفل.

بالطبع ولحسن الحظ، لم أكن وحدي. كان رئيس المختبر سام كوجيل[18]، وكان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا. أطلقنا عليه اسم «قضاعة[19]». المدير الفني السابق، الذي أعطاني مكانه لكي يعمل مع قوافل الأطفال والمعابر

18 - Sam Kugiel

19 - Loutre

الحدودية، كان رينيه جلوك[20]، المعروف أيضًا باسم «نينوفار»، الكيميائي، البالغ من العمر أربعة وعشرين عامًا أيضًا. كلاهما أخذ اسميهما المستعارة من عضويتهما في الكشافة الإسرائيليين في فرنسا (EIF)[21]، حيث التقيا قبل بداية الحرب. في المختبر كان هناك أيضا الإخوتين سوزي وهيرتا شيدلوف[22]، تبلغان 20 و21 سنة من العمر، وهما طالبتان في الفنون الجميلة، اللتين كانت مساهمتهما ذات قيمة خاصة، سواء لعملهما الجاد أو لمزاجهما الأبدي الجيد. وهكذا تم تشكيل المختبر "الشهير" للأوراق المزيفة "السادس" القسم السري من UGIF[23] . بصرف النظر عنا نحن الخمسة، لم يكن لدى أحد عنوان هذا المختبر. حتى قادتنا أبعدوا عن السرية. وينبغي ألا يعرفوا تحت أي ذريعة، ومن خلال الالتزام الصارم بهذه القاعدة استطعنا الافلات والهروب من العديد من الكوارث.

---

20 - Renée Gluck
21 - Éclaireurs israélites de France
22 - Suzie et Herta Schidlof
23 -الاتحاد العام لإسرائيلي فرنسا

للتغطية على هذا العمل السري والغير قانوني، لعبنا دور الفنانين التشكيليين. كان مختبرنا للوثائق المزورة في غرفة صغيرة وطويلة في الطابق العلوي من 17 شارع القديسين[24]، وقمنا بتحويله إلى ورشة الفنانين.

كانت الغرفة صغيرة، بالكاد خمسة عشر مترًا مربعًا، ولكن بفضل نافذة السقف، يمكننا على الأقل الاستمتاع بالإنارة الجيدة خلال النهار. طاولتان موضوعتان من النهاية إلى النهاية تشغلان طول الغرفة بالكامل. على واحدة، اثنان من الآلات الرقن. من ناحية أخرى، الأوراق الشفافة[25]. على الرفوف المثبتة على الحائط، قمت بترتيب جميع المواد الكيميائية والأحبار المختلفة، المصنفة بدقة حسب ترتيب استخدامها.

وبما أننا حرصنا على وضع بعض الفرش بجانبها، فلا شيء يمكن أن يقود إلى الشك في أنها ليست أواني طلاء ومذيبات. لزيادة سطح عملنا، كنت قد وضعت العشرات

24 - rue des Saints-Pères
25 - papiers buvards

من الأدراج المنزلقة المسطحة تحت كلا الطاولتين. سمح ذلك بتجفيف كمية كبيرة من الورق في وقت واحد، في تقدير كامل. كانت الجدران الأخرى مغطاة بلوحات استمتعنا برسمها بأنفسنا بسرعة، وخلفها نخفي إنتاجنا من الأوراق المزيفة، في انتظار تسليمها إلى ضباط الاتصال لدينا. احترم كل واحد منا الجداول الزمنية الثابتة، وجداول المكاتب، وهذا حتى لا نحرج بواب العمارة، ونصل من وقت لآخر حاملي ادوات الفنان التشكيلي. وهكذا، لم يأت أي جار للاستفسار عن روائح المواد الكيميائية. نفس الشيء بالنسبة لعامل شركة الكهرباء الذي جاء لالتقاط العدادات. في كل مرة يدخل فيها المختبر، كان يهنئنا على أعمالنا. بمجرد أن لم نعد نسمع صدى خطواته على الدرج، ننفجرنا بالضحك لأنه، يمكنك أن تصدقني، لوحاتنا لم تكن استثنائية.

كانت خصوصية شبكتنا هي أنها ولدت داخل UGIF، وهي هيئة حكومية يهودية أنشأها نظام فيشي، ممولة بأموال وممتلكات اليهود التي استولت عليها الدولة. كانت

مهمتها جمع اليهود: وضعت UGIF عمال الأطفال اليهود الغير بالغين في منازل الأطفال، وسمحت لهم بالذهاب إلى المدرسة، وضمنت وجبات مناسبة، لذلك اعتقد الكثيرون أن دوافعه كانت صادقة وصادقة تمامًا. والواقع أن الدولة الفرنسية وجدت هنا طريقة معصومة من الخطأ لإعداد الترحيل المنهجي لليهود تحت غطاء الأخلاق الحميدة، مع الأسبقية على جميع البلدان الأخرى، مع نظام من الإيداعات والصناديق المثقوبة: اليهود، الذين لم يكن لديهم مكان آخر يذهبون إليه، والحظر المفروض على العمل، وجدوا أنفسهم جميعًا معتمدين بشكل لا رجعة فيه على UGIF، وسكان منازلها الخيرية. ثم تم تصويرهم وتقريبهم على الفور تقريبًا. قرر بعض قادة UGIF، الذين اكتشفوا أنهم يشاركون دون علمهم في جميع عمليات الترحيل هذه، إنشاء قسم سري يمولونه عن طريق تحويل بعض الأموال التي كان عليهم إدارتها. قاموا بتجنيد متطوعين، خاصة بين EIF[26]،

26 - Éclaireurs israélites de France

لأنهم كانوا صغارًا ومخلصين، وطلبوا فقط دخول المقاومة. كانوا في البداية غالبية الشبكة. لذلك كان السادس يتمتع بميزة الوصول المسبق، بفضل العملاء المزدوجين، إلى جميع قوائم الأشخاص تقريبًا الذين سيتم جمعهم، في منازل UGIF أو في أي مكان آخر.

كنت آخر من انضم إلى المختبر السادس، ولكن بمجرد وصولي كان علي تغيير جميع أساليب العمل. عندما أوضحت لي نينوفار أنها كانت تزيل الختم اليهودي بقطن منقوعًا في سائل مصحح[27] أو ماء جافيل مغلي، وأنه بعد ذلك كانت سوزي تلون البطاقة بأقلام الملونة، كدت انفجر! كانت طريقتهم محفوفة بالمخاطر. شرحت لهما على الفور أنه عند ملامسة الجلد أوالعرق، ستظهر الكتابات مرة أخرى بعد بضعة أيام باللون الأصفر. وإذا لم يقوموا بتحييد المصحح بمنتج قلوي، فسيستمر في قضم الورقة، والتي ستأخذ بعد ذلك ملمس البقع في الجزء المزيف. ستكون بطاقة الهوية غير

27 - corrector

صالحة للاستخدام. لقد طورت أمام أعينهم المذهلة الحلول الكيميائية الخاصة بي، وأظهرت لهم كيف يجب أن يستمروا من الآن فصاعدًا. كان الأمر سهلاً للغاية بالنسبة لي. كل هذه المعرفة التقنية، اشتقت من تجربتي كصانع صبغة، والوقت الذي أمضيته مع خبير في كيمياء الألبان.

كنت أعرف، من خلال تدريبي على الصبغ، كيفية صبغ خيوط القطن دون لمس خيوط الصوف، أو العكس. بدأت تجاربي في الكيمياء في سن الرابعة عشرة، بأبحاث حول تغير لون ما يسمى بالأحبار «التي لا تمحى».

على الرغم من سنوات من التحليل، لم أجد أيًا منها: يمكننا محوها جميعًا. لقد أسعدني الحماس الذي أثارته. كانت (سوزي) تتحدث عن السحر قررت نينوفار بعد بضعة أيام أن تكرس نفسها لقوافل الأطفال، معتبرة أن مختبر الوثائق المزورة قد وجد مهندسه الكيميائي ولن يحتاج إليها بعد الآن.

كانت تلك البداية فقط. في وقت لاحق، أصبح تزوير الوثائق أكثر تعقيدًا، بينما زادت طلبات الحصول على

وثائق مزورة يومًا بعد يوم. عندما انضممت إلى الشبكة، كان السادس على اتصال وثيق بالفعل بشبكات يهودية أخرى، حركة الشباب الصهيوني (MJS)، ومنظمة القتال اليهودية (OJC)، وعيادة شارع أميلوت، وأعمال إغاثة الأطفال (OSE). ثم اقتربت الشبكات الأخرى منا، مثل حركة التحرير الوطني (MLN)، التي تلقت أوامرها من لندن والتي كانت الآن بمثابة منافسة مع منظمة القتال اليهودية وتحرير المشال، ولكن أيضًا الشبكات الشيوعية وفران تيرور وبارتيزون[28] (FTP) والقوى العاملة المهاجرة (MOA). تم تنظيم المقاومة الموحدة. وتم نسج شبكة الشبكات بين الشبكات المختلفة، وحشدت كل واحدة مهاراتها لمحاربة عمليات الترحيل وتنظيم المجمعات. وأتاحت هذه التداعيات تبادل المعلومات الهامة. هذه المقاومة، التي كانت تتكون حتى الآن من مبادرات صغيرة معزولة ومجموعات صغيرة، اتخذت تدريجياً شكلاً منظمًا، وهو

28 - Francs-Tireurs et Partisans (FTP)

الأخطبوط المجسي، حيث أصبح كل جزء مترابطًا مع الآخرين. لقد أصبحنا المختبر الأكثر براعة وكفاءة في فرنسا، المختبر الوحيد الذي يتمتع بطاقة إنتاجية من حيث العدد، لأنني في غضون ذلك وجدت أن التقنيات لم تعد مضطرة لتزوير الأوراق الموجودة، ولكن لتصنيع أوراق جديدة تمامًا، كما لو كانت تخرج من دار الطباعة الوطنية. كنت سأحول ورقتي الخاصة لأصنعها من الورق المقوى، وأصنع طوابع المحافظة والبلدية الخاصة بي.

يجب أن أقول أنه في الواقع لم يكن لدي مختبر، ولكن الإثنين. عندما علم موريس كاشو، رئيس قسم الوثائق المزورة نيابة عن MLN، ببراعتي، اتصل بي مباشرة لمعرفة ما إذا كان بإمكاني التقاط الصور.

في ذلك الوقت، لتجنب المسافات الطويلة ومراقبة الشرطة، غادرت منزل الشاب وانتقلت إلى منزل داخلي آخر في شارع جاكوب، بالقرب من مختبر السادس. كنت قد ارتجلت كمصور هاوي، وأقرضتني طباخة هذا المنزل الدخلي

الجديد، والتي تعاطفت معي، غرفة ظلت فارغة فوق غرفتها، معتقدة أنني كنت أجري بحثًا فوتوغرافيًا هناك. في الواقع، هذا هو المكان الذي أنشأت فيه مختبر أبحاث الوثائق الحقيقية المزورة لحركة التحرير الوطني (MLN).

لا تزال غرفة خاصة بالخدم، ولكن هذه المرة كان العنوان سريًا تمامًا، لأنني كنت الوحيد الذي يمكنه الوصول إليها. هنا قمت بتحويل الورقة في الليل، وبفضل عمليات التقاط الصور، قمت بإعادة إنتاج جميع الطوابع وأوراق الرأس والعلامات المائية بلا حدود. خرجت جميع الوثائق الفارغة من المختبر في شارع جاكوب. لقد تم ارتجال كل شيء، وتم تصميمه بمواد مسترجعة من أسواق الخردة وبقايا الخيوط. لكنني تمكنت، من خلال الترقيع، من إعادة إنتاج آلات متطورة بشكل مذهل، تنافس تلك الألات الموجودة في مختبرات التصوير الحقيقية. نظراً لأن قوة الطرد المركزي كانت الطريقة الفعالة الوحيدة لتوزيع السائل الحساس للضوء بالتساوي على لوحات التصوير، فقد اخترعت جهاز طرد

مركزي مصنوع من عجلة دراجة. كان غليوني[29] أداة ممتازة لصد الورق الذي هاجمته المنتجات الحمضية. إلى جانب ذلك، لقد خدمتني فقط لهذا الشيء، لم أدخن أبدًا. باستخدام نظارات متقاربة ومتباينة، ومرآة صغيرة شبه شفافة، كنت قد أعدت إنتاج آلة يستخدمها ليوناردو دافنشي، والتي تعرض الصورة الافتراضية للرسم - أو الختم - ليتم إعادة إنتاجه يدويًا وبدقة عالية جداً. كل هذا كان حرفيًا (أي يدوياً)، لكنه فعال جدًا! ولأنه كان من الضروري اختراع كل شيء، فقد أمضيت عدة ليالٍ أنام هناك.

كل صباح، كان يكفي بالنسبة لي، دون الحاجة إلى ركوب المترو لأنه كان قريبًا جدًا، لنقل المستندات الفارغة إلى مختبر السادس لملئها. لقد كانت خدماتنا في خدمة الجميع. كانت الطلبات تمطر كالمطر. أكثر وأكثر. تأتي من باريس، من UGIF، من منطقة الجنوب، لندن. كانت الوتيرة التي

29 - Ma pipe

كان علينا الحفاظ عليها عند حد الاستدامة، وأحيانًا تصل إلى خمسمائة وثيقة في الأسبوع.

عادة، أقمنا أنا و (لوتر) الاتصالات لاسترداد جميع الطلبات أتذكر أنه كان، مثلي، ذو مظهر ساذج وبريئ. وكان أفضل غطاء لنا. كان صغير القامة، أحمر وأشقر مع النمش. أنف صغير ونظرة خبيثة. وكان وجهه مقبول، يمر في كل مكان. كان هو في أغلب الأحيان على اتصال بالشبكات اليهودية. أنا، مع MLN والشيوعيين. لكن في بعض الأحيان تتغير الوضعية، حسب حالة الطوارئ. بشكل عام، قمنا بترتيب مواعيدنا مع ضباط الاتصال في مكان مزدحم في باريس، ويفضل أن تكون مع امرأة. اتخذت الاجتماعات مظهراً لاجتماع رومانسي. أصل دائمًا الأول، أحضر معي وردة في كل مرة. ثم أقوم أنا و «خطيبتي» بـ «المشي»، مع الحرص على تبادل النظرات الرقيقة في كل مرة نشعر فيها بأننا تحت المراقبة. عند انفصالنا، كل واحد منا يعرف ما هي مهمته.

في ذلك اليوم، لم يكن لدي موعد مع أحد العشيقات المزوعمات، ولكن مع مارك هامون[30]، المعروف أيضًا باسم «البطريق»، الرجل الذي كان السبب في انضمامي الى المقاومة، وهو أيضًا عضو في EIF.

كنت أعلم أنه إذا جاء البطريق شخصياً، فذلك لأن مشكلته كانت ملحة للغاية لدرجة أنه لم يستطع انتظار توفر إحدى الفتيات في الشبكة. كان علينا أن نلتقي في حديقة التويلري[31]. عندما وصلت، وجدته جالسًا على مقعد، متعبًا وقلقًا بشكل خاص. لقد قلت له بأن جسمه اصبح شاحب منذ اجتماعنا الأول. حيث بدأ يضحك، و «أعاد لي الإطراء». ثم أخذ صوتًا أكثر جدية.

- بالأمس سمعنا من راديو لندن بعض الأخبار السارة. الجيش الألماني يتراجع على جميع الجبهات، ولدينا الآن كل الجيوش في شمال إفريقيا إلى جانبنا. والمشكلة هي أن النازيين قرروا تسريع عملية تنظيف فرنسا من اليهود من خلال إعداد

---
30 - Marc Hamon
31 - Tuileries

حملة عملاقة في جميع أنحاء البلاد. في غضون ثلاثة أيام، سيتم تجميع عشرة منازل للأطفال في وقت واحد في جميع أنحاء منطقة باريس. لدي قائمة لك. أحتاج إلى كل شيء، وبطاقات الطعام، وشهادات المعمودية، وشهادات الميلاد، بالإضافة إلى بطاقات هوية المهربين، وأوامر مهمتهم والتصاريح الجماعية.

- كم ؟

- كم عدد الأطفال ؟ أكثر من ثلاثمائة.

- تقصد ثلاثمائة طفل، هذا يعني إنتاج أكثر من تسعمائة وثيقة مختلفة. في غضون ثلاثة أيام، هذا مستحيل! بشكل عام، كانت الطلبات في العادة تتكون من ثلاثين إلى خمسين وثيقة يوميًا، وأحيانًا أكثر قليلاً. لم أكن في التحدي الأول، لكن هناك كدت أن أصاب بالصدمة. عندما غادرت البطريق، لأول مرة كنت خائفًا من الفشل. حتى ذلك الحين، كنت أعرف دائمًا، من مجموعة من المعرفة غير المتجانسة، استخراج حلول شبه معجزة لحل المشكلات

التقنية. كلما كانت الوثائق أفضل، كان ابتكارها أكثر براعة لتزوير العجز بالوسائل القليلة المتاحة لي. لكن هذه المرة، لم تعد مسألة «حلول»، لكن «كمية»، وعرفت أنني وصلت إلى أقصى إنتاجية لدي. ساعات اليوم غير قابلة للضغط، وللأسف لا تتمتد أيضًا. لا وقت للتفكير، أولاً يجب أن أذهب بسرعة الى شارع يعقوب لأصنع الورق الخاص والذي يجب أن يكون مضغوطًا، أو جيدًا، بالحبوب أو بدونها، اعتماداً على طبيعة الوثائق التي سيتم إنتاجها. عجلوا! كان الكرونوميتر قد توقف للتو. كان السباق على وشك البدء. سباق مع الزمن، ضد الموت.

فعندما غادرت البطريق وصلت إلى المختبر السادس، مع حقيبة الوثائق الخاصة بي، لأجد هناك لوتر وسوزي وهرتا في انتظاري، كل واحدة في مكان عملها. لكنني مندهش لرؤية أن نينوفار انضمت إليهم. من النادر رؤيتها مرة أخرى في المختبر منذ أن تولت مهام أخرى. جميعهن ينظرون إلي، بنظرة كارثية. بالنسبة إلى ثلاثمائة

طفل، أخبروني بالفعل أنهم على دراية، وهو ما يفسر عودة نينوفار، جاءوا كلهم لتقديم المساعدة. ولكن، بالإضافة إلى ذلك، تلقى لوتر للتو طلباً من MOI، والذي يحتاج إلى أوراق لقسمه المجري. يشككون في نظرتي. ما يريدون معرفته هو ما إذا كان المختبر لديه بالفعل القدرة على مواجهة التحدي.

أضع الورق المقوى للأوراق الفارغة على الطاولة، وبنبرة تناسب الظروف، أعطي اشارة الإنطلاق.

- الأطفال أولاً! تضيف نينوفار.

يبدأ المختبر على الفور. نينوفار على القاطع[32]، لقطع لوحات البطاقات. سوزي في الة التلوين. هيرتا للكتّابة وملء البطاقات باليد والآلة الكاتبة. فقط لوتر، الذي لا يعمل معنا في التصنيع ولكن في جميع البيانات الإدارية، بقي يدور وعلى وجهه خيبة أمل.

32 - massicot

- إذا كنت تريد مساعدتنا، يمكنك بالفعل ختم الوثائق والتوقيع عليها.

فينطلق إلى العمل على الفور، بينما أقوم أنا بجعل الوثائق قديمة بفضل آلة أسطوانية صغيرة من صنعي، حيث أقوم بإيداع الغبار وبرادة أقلام الرصاص، والتي تقوم بجعل البطاقات والوثائق وكأنها قديمة، وهذا حتى لا تبدو جديدة جدًا أو خارجة للتو من المطبعة. تغزو روائح المواد الكيميائية الغرفة تدريجياً وتختلط برائحة العرق. نحن نقطع، نرقن، نختم، نلون، ننقر طوال الوقت، في سلسلة في مصنعنا المؤقت. ثم يتم حشو الجزء الخلفي من اللوحات والأدراج ذات الخلفية المزدوجة من الأوراق المزيفة. في الحقيقة، نحن نعلم جميعًا أن لدينا فرصة ضئيلة للوصول إلى ما نصبوا اليه، لكن الجميع حريص على عدم قول ذلك. كل شيء يعتمد على إرادتنا. بعد كل شيء، التفاؤل هو كل ما لدينا، السبيل الوحيد للمضي قدمًا الى الأمام.

عند حلول الظلام، بينما يعود الجميع إلى المنزل، آخذ الطريق إلى مختبري الآخر، شارع جاكوب. كيف يمكنني الذهاب إلى الفراش، حيث اننا في يوم واحد، وبمساعدة نينوفار ومساهمة لوتر، لم ننجز بعد ربع أوراق الأطفال؟ والذي كان بالنسبة لي أمر لا يطاق، هل أننا بهذا المعدل ننجح في تلبية الطلب على الأوراق المزورة للأطفال، مع أننا بالتأكيد ضحينا بالمجريين في MOI. ابقى مستيقظا. لأطول فترة ممكنة. أحارب النوم. الحساب بسيط. في غضون ساعة، أصنع ثلاثين ورقة فارغة. إذا نمت ساعة، ثلاثون شخص سيموتون...

بعد ليلتين من العمل - عمل النمل اللامتناهي – حيث أصبحت عيني ملتصقة بالمجهر، والتعب أصبح أسوأ عدو لي. حبس أنفاسي، يجب ألا ترتعش اليد أبدًا. تصنيع أوراق مزورة هو عملية دقيقة. وظيفة صائغ المجوهرات الحقيقي. أكثر من أي شيء آخر، أخشى الخطأ الفني، الخطأ الصغير، والتفاصيل الصغيرة التي يمكن أن تكون قد فرت مني. يمكن

أن تكون أدنى ثانية من عدم الانتباه قاتلة، وكل ورقة تعتمد على حياة أو موت الإنسان. أنا أتحكم وأعيد السيطرة على كل ورقة. إنها مثالية. لكن لا يزال لدي شك. اراقبهم مرة أخرى. لم أعد أشعر بأي توتر. الأسوأ أقرص أنفي، أنهض بقوة لكي أستيقظ، أمشي ثلاث خطوات، وألقي سلسلة من الصفعات. ثم أتذكر. ساعة واحدة، ثلاثون حياة! ليس لدي الحق في الراحة. أصطف وأناشد عيني لإيجاد رؤية أوضح. هل بصمتي غير واضحة أم عيني لم تعد ترى في ظلام الغرفة المظلمة ؟

في اليوم التالي، كان المختبر في شارع القديسين في حالة غليان. لم يبقى لنا إلا ساعات قليلة. لأن هذا المساء على الساعة السابعة، سيغادر لوتر ونينوفار ومعهم الأوراق الحقيقية المزورة، كل ما كان لدينا الوقت للقيام به، ثمرة ثلاثة أيام من العمل الشاق. لقد أكملنا الآن، هذا الصباح، أكثر من ثمانمائة ورقة، وبدأت أخيرًا في أن أكون واثقًا. من خلال أداء نفس الإيماءات دائمًا، بشكل محموم، مثل

الألات الألية، نذهب أسرع من أي وقت مضى، ببراعة وبلا هوادة.

ملابسنا لزجة وتريح بالمواد الكيميائية، نتعرق بشكل كبير، ولكن هناك شيء جديد في الهواء في ذلك اليوم. شيء لا يمكن تجاوزه في جو المخبر. نشوة! نعد بصوت عالٍ لتشجيع أنفسنا، 810، 811، 812... مدفوعة بالموسيقى الإيقاعية للصوت المستمر للآلات الكاتبة، والماسيكوت[33]، وضوضاء الطوابع، ونقرة الدباسة، والتواء الآلة لتجعل الأوراق شبه قديمة.

كنا بحق في حالة سكر دون أن نسكر، في زوبعة العمل، رأيت فجأة حجابًا داكنًا يمر أمام عيني. ثم، فجأة، أصبح لونه أسود تمامًا. أصطف، أضع عيني، أختبر جفوني. لكن لا شيء حتى الآن. أعمى. لقد سمعت طفيلياً من خلال ضجيج مستمر، الأيدي كلها مخدرة. أشعر فجأة أنني فقدت السيطرة على جسدي.

33 - massicot

يبدو أنه كان هناك حادث كبير عندما سقطت بكل وزني على الأرض. عندما استيقظت، كان رأسي على الأرض، ولم أتمكن من رؤية سوى البقع المظلمة. أخذتني نينوفار إلى ضابط اتصال في الشبكة يعيش بالقرب من المخبر لتلقي العلاج. كنت أخشى أنه بدوني لن تكتمل الأوراق في الوقت المناسب، لكنني أصررت على أنه لا ينبغي السماح لي بالنوم لأكثر من ساعة. ثم أتذكر الجملة التي قالتها لي نينوفار، والتي سترسي في داخلي إلى الأبد الشعور بالمسؤولية عن حياة الآخرين: «نحن بحاجة إلى مزور وثائق، أدولف، وليس جثة إضافية».

الجزء 2

خلال الحرب العالمية الثانية

- كيف أصبحتَ مزور ؟ ولماذا، العمل كمزور يهمك ؟

- كيف أصبحتُ مزور ؟ أقولها... بالصدفة. ولكن ليس تماما. لقد اتضح أنه في السنوات التي سبقت دخولي إلى المقاومة، قد تعلمت ذون أن أدري بكل المعرفة التي كنت سأحتاجها. ثم بعد ذلك كان علي فقط تنفيذها.

مثل العديد من المراهقين، حلمت خلال الحرب بأن أكون مقاوماً . كان لدي إعجاب شديد بالرجال الذين يقاتلون في الجبهة، في حين كنت من دعاة السلام، غير قادر على حمل سلاح.

بالفعل، في المدرسة الابتدائية، كان أخي الصغير، أقوى وأكثر شجاعة مني، هو الذي يدافع عني عندما تقع مشادات مع زملائي في المدرسة. كنت لطيفًا، خائفًا،

كنت المفكر في العائلة. حلمت أن أكون رسامًا، لكن «هذه ليست مهنة»، قيل لي بعد ذلك. من المؤكد أنه بدون هذه الظروف، أي بدون الحرب العالمية الثانية، كان مصيري تافهًا للغاية. كنت سأكون صانع صبغ، في أحسن الأحوال كيميائي، فالظروف هي التي جعلتني مزوراً.

بدأ تكويني، إذا جاز لي القول، عندما انتقلت إلى فاير في نورماندي[34]. كنت في الثالثة عشرة من عمري. لم نكن في رحلتنا الأولى. تاريخ عائلتي نموذجي لتاريخ معظم يهود أوروبا الشرقية في ذلك الوقت. قصة المنفيين المتكررين، غالبًا تحت الإكراه. والداي روسيان، التقي في باريس عام 1916. كانت والدتي قد فرت من المذابح واختارت "بلد حقوق الإنسان». أما والدي، فلم يشرح لنا أبدًا أسباب وصوله إلى فرنسا، لكنني أعلم أنه كان يعمل صحفي متعاون في صحيفة Bund[35] وأن تعاطفه مع الأيديولوجية الماركسية

34 - Vire, en Normandie

35 -الاتحاد العام للعمال اليهود في روسيا وليتوانيا وبولندا.

أجبرته بالتأكيد على المنفى. في عام 1917، عندما تولى البلاشفة السلطة في روسيا، أمرت الحكومة الفرنسية بالطرد الفوري لجميع المواطنين الروس الذين يعتبرون «حُمر». كان والدي موجود على قوائمهم، بصفته من قدامي البنديست[36]. في منتصف الحرب العالمية الأولى، كان من المستحيل العودة إلى روسيا. لذلك لجأ والداي الى الأرجنتين. ولدت أنا وإخوتي في بوينس آيرس، وحصلت الأسرة بأكملها على الجنسية الأرجنتينية. لم أكن في الخامسة من عمري عندما قرر والداي العودة إلى باريس.

في عام 1938، انتقلنا للتو إلى نورماندي عند خالي ليون، شقيق والدتي الصغير، رجل ذو شخصية معقدة، «جعل نفسه وحيدًا»، وهو صعب حتى مع نفسه، وأحياناً عصبي الى غاية الجنون وفي بعض الحالات استبدادي، ومع هذا كان لطيف و متفاني الى مالانهاية. لقد دفع تكلفة وصولنا إلى فرنسا، ووجد عملاً لوالدي في باريس، وحتى مكان إقامتنا.

36 - ancien bundiste

ولم يكن لديه أطفال. خالي ليس لديه أولاد، وفي نظره لا يمكن أن يكون المنزل بدون ضحك وصراخ الأطفال المبهج إلا مرادفًا للحزن، فقد بنى منزلًا كبيراً وقسمه إلى جزأين متطابقين، على أمل أن نأتي يومًا ما للاستقرار معه هناك. لقد أدت أحداث عام 1938 وضم النمسا من قبل ألمانيا وأصداء المطاردة اليهودية التي أعلنت الحرب الوشيكة إلى تسريع لم الشمل. من الواضح أن العاصمة أصبحت خطيرة للغاية بالنسبة لعائلة مثل عائلتنا اليهودية والأجنبية معاً. وصحيح أننا في فير[37]، خلال السنوات الأولى من الحرب، كنا محميين. ورحب بنا الناس بلطف، ويرجع الفضل في ذلك جزئيًا إلى سمعة خالي كتاجر شريف. هناك، عرفه الجميع واحترموه. أصبح فرنسياً لأنه تطوع في الحرب العالمية الأولى، حيث فقد احدى رئتيه.

37 - Vire

في ذلك الوقت كنت متحصل على الشهادة الوحيدة طوال حياتي، شهادة التعليم الابتدائي، ولكن لم أصل بعد الى سن العمل.

في انتظار وصولي الى سن الرابعة عشرة، تم وضعي في مدرسة. وبما أنني للتو وصلت من باريس، أعطتني هذه الصفة مكانة خاصة في فير.

في المدرسة، أعجب الأولاد بي، وايضاً الفتيات، الذين سافرت معهم في رحلات مدرسية عبر ريف فير وضواحيها، كل صباح، ننشد نشيد المدافع. كانت هناك بنت، دورا أوجيي[38]، كانت نجولة للغاية، وظلت دائمًا قريبة مني. لقد أحببتها كثيرًا، لكنني تجنبت بعناية مقابلة والدها، وهو رجل عجوز بمظهر خاص مثل قبطان القراصنة بسبب ساقه الخشبية.

كان هناك أيضًا طفل آخر، مثلي حصل بالفعل على شهادته، براغانتي[39]، وهو طفل إيطالي مفعم بالحيوية والخبث

38 - Dora Augier
39 - Bragantti

تعاطفت معه على الفور. نظراً لأننا أنهينا بالفعل برنامج المدرسة، اقترح مدير المدرسة، السيد مادلين[40]، الذي لم يرغب في رؤيتنا نشعر بالملل على مدار العام، اقترح علينا على إنشاء تعاونية واستخدام الأموال لتصميم صحيفة مدرسية.

حصلنا على مطبعة قديمة تم شراؤها بسعر منخفض جداً ، واستعدنا أحرفًا مطبوعة مستعملة أو خطوط قديمة من الطابعات وكذلك من الصحيفة اليومية المحلية، ولم نشعر بالاستياء من التخلص منها أثناء القيام بعمل جيد لمدرستنا. كان عملنا ممتعًا ومربحًا. قمنا ببيع الصحيفة لملء خزائن التعاونية وشراء معدات جديدة أكثر كفاءة. قضيت أنا وبراغانتي العام الدراسي في اكتشاف مبادئ الطباعة، وطريقة طباعة الرسومات بالكمية التي نريدها، والنقش. عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، كنت متحمسًا للطباعة.

40 - Madeline

كان أخي بول[41] في سن العمل، وقرر والداي ليشكر خالي على كرمه، بأنه سيساعده في الأسواق. يبيع ليون ادوات الخياطة في الساحات المحيطة. و المشكلة أن كلاهما بول وليون كانا يتمتعان بشخصية سيئة، ولم يكن ليون معتادًا على التراجع. من نزاع إلى خلاف، وكانت الأسرة بأكملها هي التي تعاني من شجارهما. لتهدئة الروح المعنوية، قررت والدتي ذات يوم أنه نظرًا لأنني حصلت بالفعل على شهادتي وكنت أكثر ادب وهادئ، سأترك المدرسة لأحل محل بول لمساعدة خالي. كان هذا كابوس بالنسبة لي، لأنه لديا حساسية من التجارة، والذي جعلني اضطر إلى التخلي عن المطبعة المدرسية الرائعة. ناهيك عن أن خالي كان لديه الهوس المؤسف لتوبيخ مساعديه بالركلات الخلفية.

كان بإمكاني أن أصبح بمرور الوقت بائع بارع، ولكن الإذلال العلني، من ناحية أخرى،جعلني ارفض هذا العمل. بعد بضعة أسابيع في البرد وسوء معاملة ليون،

41 - Paul

ركضت للعمل في المصنع المحلي، حتى أنني كنت أغش في عمري - لأنني لم أكن في الرابعة عشرة من عمري بعد. قامت الشركة العامة للكهرباء[42] والتي تقوم بتصنيع لوحات تحكم الطائرات للجيش الفرنسي.

كنت سأقبل أي شيء بدلاً من العمل في الأسواق. لكن اتضح أنني أحببت المصنع. أرى في شفتيك أنك تتساءلي ما الذي يمكن أن أجده لطيفًا هناك. لقد كان عالما جديد بالنسبة لي، حيث التقيت بأشخاص مهمة.

وبما أنني كنت شابًا مراهقاً، تم تعييني كمتدرب وعينوني في قسم الأسلاك مع النساء. أراك تبتسمي ستصابي بخيبة أمل، لقد كانوا جميعًا أكبر مني بكثير، ولم يكن لدي أي فرصة. من ناحية أخرى، أصبحت المقرب منهم، وأخذت هذا الدور على محمل الجد. تعلمت الكثير. كانت هناك إمرأة لطيفة وكانت من المفترض أن تكون في العشرينات من عمرها. إسمها سيسيل[43]. كانت مؤذية

42 - Société générale électrique
43 - Cécile

ومضحكة. وكانت تدخن. وقالت: "أنت لست رجلاً بعد لذا يمكنني إخبارك إذا كنت أكبر سنًا، فسيكون ذلك غير مناسب... أو: "تعال وقبلني يا أدولف. هنا، على شفتين، أنت لست محبوبًا جدًا... " ثم انفجرت ضاحكة. أعتقد أنها كانت تتمتع بإشمئزازي قليلاً.

كان هناك أيضًا بعض الرجال الذين أصبحوا أصدقائي. جاك[44]، رجل ريفي، وجان باير[45]، قرمزي ابن تشيتيمي[46] المسيس للغاية، الذي أثار إعجابي كثيرًا لأنه سجن لضربه رأس والده المدمن على الكحول بمطرقة لأن والده كان يضرب والدته. يغنى تينو روسي[47]، وخاصة أغاني البلدية[48]، الأغاني الثورية. كان متمردا. كان لديه كل الكاريزما التي حلمت بها، بينما كنت لا أزال أحاول منح نفسي القدرة. في المصنع، تعلمت أن أعتبر نفسي كبير. لا

44 - Jacques
45 - Jean Bayer
46 - Ch’timi
47 - Tino Rossi
48 - la Commune

تضحك. كل سنوات مراهقتي تدوم بضعة أشهر هناك. اكتشفت السياسة هناك. كنت حرا ومستقلا لأول مرة. لهذا السبب هي مهمة.

ثم، ذات يوم، وصلوا... كان ذلك في جوان 1940. كنت قد اشتريت دراجة لقطع ثمانية كيلومترات التي تفصل المنزل عن المصنع. بول، الذي لم يتحمل غضب ليون، انضم إلي في المصنع، ولكن في خدمة أخرى. كنت دائما منشغلا في محاولت التغلب على سرعة دراجتي عندما رأيتهم يتقدمون على الطريق نحو مدينة فير. الدبابات الجديدة تماماً، كما لو كانوا يغادرون المصنع. والجنود ذوي الأحذية الرائعة والزي الرسمي الذي لا تشوبه شائبة. لقد فهمت ما كان يقصده والدي عندما رأى الجنود الفرنسيين ذاهبين بملابسهم العسكرية الغير منسقة، وبعضهم بدون خوذات، والبعض الآخر ببنادق قديمة، لقد تنهد: "هذه المرة، بالتأكيد، نحن في ورطة، وليس مع مثل هذا الجيش سننتصر في الحرب. "كنت وحدي على الطريق، وجهاً لوجه معهم. استدرت

الى اليكو[49]، وهو يدوس بسرعة كبيرة. لم أكن أعرف أنهم كانوا قريبين جدًا. بالنسبة لي، كان التهديد بعيدًا. ومع ذلك، عندما اندلعت الحرب، رأيت مئات اللاجئين يفرون أمام الجيش الألماني، ويحملون كل ما لديهم على طول الطرق. جاءوا من بلجيكا وشمال فرنسا. حتى أننا قمنا بإيوائهم، وأخبرونا عن مسيرتهم التي لا نهاية لها، والتي تخللها القصف. ثم عادوا إلى مكان آخر. ولم نتحرك.

ذات مرة، بدأ ليون في تحميل الشاحنة، مستعدًا للذهاب والاختفاء، لكنه أخيرًا لم يرغب في تصديق ذلك، واعتقد أن الوقت الذهاب لم يحن بعد والمغادرة ستكون لاحقًا. لم يرغب أحد في تصديق أن الحرب ستتجذر.

تم إغلاق المصنع بمجرد وصول الألمان، وبعد فترة استأنف نشاطه، لحساب الطيران الألماني، مع حظر توظيف اليهود.

49 - illico

من اليهود، كان هناك اثنان فقط. تم إخراجي أنا وبول من الباب. أثناء اصطحابنا إلى الخارج، سمعت صوتًا يرتفع من خلف المستوطنين:

- ألو، ألو، هنا لندن، راديو باريس يكذب...

تعرفت على الفور على صديقي جان باير، الذي بطريقته أظهر لنا تضامنه. أشادت بنا النساء، وصفر بعض العمال للاحتجاج على طردنا، لكن قادة ورشة العمل سرعان ما وضعوا حدًا للعنف. رأيت عيون سيسيليا مشتعلة. كانت الحرب قد دخلت للتو الى فير.

بدلاً من العودة إلى الأسواق، سارعت للرد على إعلان من متدرب صبغ. كان بوسمارد[50] مهندسًا كيميائيًا، وهو ضابط صف سابق في الجيش الفرنسي، تم تسريحه لأسباب صحية. وظفني ليحل محل عامله الذي تم أسره. في البداية، وجدني صغيرًا جدًا لدرجة أن وظيفتي اقتصرت على إشعال الغلاية[51]. لكنني وسعت واجباتي بسرعة. كنا نفتقر

50 - Boussemard

51 - la chaudière

إلى كل شيء، وعندما أصبح من الصعب العثور على الملابس بأسعار معقولة، كان أكثر ما اضطررنا إلى صبغه هو الزي العسكري والقبعات من حرب العالمية الأولى، والتي كان لا بد من تغييرها من الكاكي إلى البني أو الأزرق الداكن أو الأسود أي إلى ملابس مدنية. عمل شاق ومتعب، خاصة في الشتاء. كان من الضروري شطف القطع في النهر، بينما كانت درجات الحرارة تتجمد. كانت ملابسي الرطبة تتجمد عليّ وكانت اصابع يدي تتجمد وتوجعني، لكنني كنت أتقاضى راتبًا، وقبل كل شيء، هذا هو المكان الذي أجريت فيه تجاربي الكيميائية الأولى. عندما تم وضع الصبغة في ماء الخزان حيث تم نقع الملابس، أصبح الماء كله أسود. عندما رأيت، بدهشة، أنه بمجرد الانتهاء من الصبغة، كان الثوب أسود بالفعل، لكن الماء أصبح صافياً مرة أخرى مثل مياه الينابيع، حصلت على معلومة جديدة. تم تثبيت كل الصبغة على النسيج وليس على الماء. وأوضح لي المهندس بوسمارد «هذا ما يشير إلى نجاح العملية».

بعد أن فتنت، طلبت منه بعد ذلك عينات من الأصباغ لتجربة على قطع الأقمشة التي استمرت في ورشة والدي، والذي كان يعمل خياط في المنزل.

كل يوم، من خلال تحريك الملابس في وعاء، كنت أطرح أسئلة جديدة، وفي المساء، أجريت تجاربي سراً. لقد وجدت طريقي. كان اهتمامي بالكيمياء وعنادي يُسَلي بوسمارد.

- حتى هذا الحين، كان لدي عمال راضون عن أداء عملهم بشكل جيد. معك، يجب التحدث طوال الوقت.

خلف طبيعته الصدئة إلى حد ما، شعر بالإطراء لأن شخصًا ما، للمرة الأولى، كان مهتمًا بمعرفته. كان يشرح لي الكيمياء مثل وصفات الطبخ. معه، كان كل شيء بسيطًا. لذا، كما ترى، إذا كنت مهتمًا بتغير لون الأحبار، فقد كان في البداية صانع صبغ جيد، للتخلص من البقع على الملابس.

أدركت على الفور أنه يمكننا فعل كل شيء إذا كنا عنيدين ووجدنا الصيغ والمعادلات الصحيحة. سرعان ما

حصلت على دليل على ذلك. كما تعلمون، كان بحثي الأول عن الأحبار التي لا تمحى، والتي تمكنت من محوها جميعاً.

منذ ذلك الحين، في هذا المعمل للصباغة، أصبحت العامل المشرف على الطلبات الصعبة، إن لم نقل مستحيلة. فمن المدن المحيطة، حصلت على قفازات العرسان المصنوعة من الدانتيل الملطخة وفساتين زفاف حريرية. كل ما يفترض أنه لا يمكن استرداده كان تخصصي ومسؤوليتي.

المشكل الذي يتكرر لعشاق الكيمياء المبتدئين هي إدارة الضرر المادي. في البداية، لإجراء تجاربي، استخدمت مطبخ عائلة والدتي والمقالي والغسالة. ولكن بعد بعض المغامرات، بما في ذلك عدة انفجارات بما في ذلك انفجار مع اندلاع حريق، تم حظر المواد الكيميائية من المنزل.

منذ أن كنت عاملاً ماهرًا واعتدت على أداء مهام مختلفة لخالي، تمكنت من إقناعه بالسماح لي باستخدام منزله القديم المهجور لإنشاء مختبري. وفي ذلك الوقت، كنت أركب الدراجة كل يوم ,امر أمام صيدلية فير، دون الانتباه

إليها. حتى اليوم الذي اكتشفت فيها شيئًا جديدًا في واجهة الصيدلية. كان مختبر الكيميائي معروضًا للبيع: بالونات، قرون، أنبوب ولفائف التبريد، كنز حقيقي، لم أجرؤ حتى على طلب سعره. في الأيام الموالية، مررت ومررت ؛ كان المختبر لا يزال هناك. بعد أسبوع، قررت أخيرًا الدخول.

كان السيد برانكورت، الصيدلي، يرتب علب الدواء وهو يصفر.

- «هل تريد شيئا ما، ياصغير ؟» سألني وهو يشاهد عيني متجهة نحو مختبر الكيمياء.

- اه... لا، أخيرًا، هل ترغب في معرفة السعر؟

«ماذا تريد أن تفعل به ؟»

- الكيمياء.

- أي نوع من الكيمياء ؟

- كل شيء. تجارب. أعمل في معمل الصباغة، وقد جربت بالفعل تغير لون الأحبار. والآن أود أن أذهب إلى أبعد من ذلك.

لم يعطني السعر. لكن كان من السهل أن أفهم أنه إذا أردت كل العناصر، فسيكلفني ذلك ثروة. أراني المعدات، وحتى الأشياء الأخرى، مثل المجهر النحاسي الرأسي، التي كنت متأكدًا من أنني لا أستطيع الحصول عليها أبدًا. نظر إلي وأنا أتعجب من كل آلة، وقد كان متعاطف معي بعض الشيء. تحدثنا عن الكيمياء. كان عبقرياً . فهو دكتور في الصيدلة.

- هل من الممكن شراء المختبر شيئًا فشيئًا ؟ لقد سألته على استحياء.

- إذا أردت، سأحتفظ به لك. ستأتي بمجرد أن تتمكن من دفع ثمن جزء من المختبر.

لقد وفرت جميع رواتبي، واحدًا تلو الآخر، انضمت الأجزاء المختلفة من المختبر إلى منزل خالي القديم.لقد باعها برانكورت لي أرخص بعشر مرات من قيمتها، وحتى أعطاني المجهر الرائع مجاناً . في وقت فراغي، ابتلعت كتباً كاملة من التركيبات الكيميائية. وفي سوق الخردة في مدينة

فير، تمكنت من الحصول على نسخة أصلية من أطروحة مارسيلين بيرثيلوت[52]، أحد آباء الكيمياء. لقد ابتلعت كل ما وجدته، وفقًا للنصيحة العملية لمجلة المنازل الفقيرة[53]، حيث وجدت ألف وصفة فعالة جدًا التي كانت تستعملها الجدة!

لتحسين معرفتي، اذهب أيضًا مرة كل الأسبوع لمساعدة مجاناً الكيميائي في معمل الزبدة، والذي في المقابل، يمنحني معرفته النظرية، بالإضافة إلى علبة صغيرة من الزبدة. فالمزارعين الذين يبيعون حليبهم لمعمل الزبدة وفقًا لنسبة محتوى الدهن. بغض النظر عن الحجم أو الوزن، يتم احتساب الدهون فقط، مما جعل من الممكن تجنب الغش المحتمل للخبيث الذي كان يريد إطالة حليبه بالماء. ما كان علينا القيام به لم يكن معقدًا للغاية. كان كافياً لغمس الميثيلين الأزرق في عينة من الحليب، وحساب وقت تغير لون الحبر بحمض اللاكتيك. قد تبدو هذه المعلومات تافهة

52 - traité de Marcellin Berthelot
53 -Revue des chaumières

بالنسبة لكِ، أليس كذلك ؟ أنا أيضًا لم أكن أتخيل أبدًا أنه سيكون بفضلها أن يتم تجنيدي من قبل المقاومة أثناء الحرب العالمية الثانية.

منذ وصول الألمان، بصرف النظر عن فصلي من المصنع، لم يتغير شيء يذكر. كانت الحرب هناك، ومع ذلك بدأت وكأنها مرت من هنا ولكنها بعيدةً، دون أن تصل إلينا حقًا. في فير، لم تكن هناك معركة. لقد دخل الجنود الألمان دون عوائق، وتصرفوا بطريقة متحضرة، ودفعوا دون أي تردد. كان التجار سعداء.

بالطبع، كانت هناك قوانين فيشي الأولى. لم يعد لدينا نحن اليهود الحق في الحصول على حساب شيك بريدي أو دفتر توفير. بأمر مؤرخ 3 أكتوبر 1940، كان علينا أن نعلن ونصرح أنفسنا لمركز الشرطة.

أتذكر أنني رافقت والدي في هذه الرحلة. كنا معروفين في المنطقة، ويرجع الفضل في ذلك جزئيًا إلى سمعة خالي الشريفة. أوضح ضابط الشرطة لوالدي أننا كأرجنتينيين لم

نضطر إلى إعلان أنفسنا يهودًا. لكن والدي أراد أن يكون تصريحه لا تشوبه شائبة في أداء واجبه المدني تجاه فرنسا. شعرت أن الموظف لم يكن في عجلة من أمره لتسجيلنا، أصر علينا أن نذهب. عبثا. للأسف، أدخل في ملفه أسمائنا وتواريخ ميلادنا وعنواننا. بعد أيام قليلة، التقينا صدفة ضابط الشرطة في الشارع. حيث خاطب وديًا والدي بابتسامة صغيرة على شفتيه:

- سيد كامينسكي، لقد ضللت ملفاتك، أو ربما سقطت في موقدي.

- سأعود غدا لإعادة التسجيل.

- لكن ليس من الضروري!

- نعم، إذا، غدا.

هذه المرة كنا على القائمة. لارتداء النجمة الصفراء، كان والدي أقل دقة. وقال «إذا أنقذتنا جنسيتنا فلن نرتديها».

ومع ذلك، وقعت الأحداث المؤلمة في النهاية. ليس بالضبط مثلما كنا متوقعين، بالمناسبة. في أحد أيام الأحد، جاء

الزوجان ديموي[54]، صاحب بيت الدعارة في المدينة، يطرقان باب منزل العائلة برفقة ضابط ألماني. أرادوا «زيارة» المنزل. خالي، الذي لم يكن فخوراً بمنزله الجميل. بينما كانوا يصعدون الطابق العلوي، في غرف النوم، سمعت صراخًا، ثم رأيت ليون يركل أرداف الضابط الألماني من أعلى الدرج، ألقى الضابط إلى أسفل السلم في حادث مروع. كنت في وضع جيد لمعرفة ركلات الخال ليون. لو كان أحد الديموي الذي أخذها، لكنت ضحكت، لكن هناك شعرت بالذهول. صرخ خالي على عتبة الباب:

- منزلي، بيت دعارة! ابدا!

في الأيام الموالية، انتظرت بقلق عواقب هذا الحادث. لمدة شهر، لم يحدث شيء. ثم في إحدى الأمسيات، وصل اثنان من رجال الدرك، من أصدقاء ليون القدامى، إلى منزلنا في كارثة. حقيقة أنهم كانوا يرتدون ملابس مدنية لا تبشر بالخير.

54 - Demoy

- كيكي[55]، يجب أن نأتي ونوقفك صباح الغد. عليك أن تهرب وتفر من هنا.
- أين ؟
- حيث تريد، ولكن بعيدًا.

غادر خالي المنزل بدون حقيبة، بالكاد بعض اللوازم ضرورية. وقفز في أول قطار نحو باريس.

بعد بضعة أسابيع، عاد نفس رجال الدرك لرؤيتنا. أرادوا تحذير والدتي من أن الجستابو[56] اعترضت رسالة أرسلتها بالبريد إلى شقيقها. كان لديهم عنوانه في باريس. أنا أعرف ما هو رأيك. كيف يمكن أن يكونوا ساذجين إلى هذا الحد ويستمرون في المراسلة ؟ ما زلت لا أستطيع شرح ذلك لنفسي. كانوا فاقدين للوعي تمامًا.

لم يكن لدينا الهاتف. استقلت والدتي القطار بدورها لتحذير أخيه قبل فوات الأوان. "مجرد رحلة ذهابًا وإيابًا، وداعًا يا أطفال. "ثم استؤنفت الحياة، مع كل المشاكل

55 - هو الاسم المستعار لخالي ليون
56 - Gestapo

الصغيرة في الحياة اليومية. الأزمة ونقص كل شيء. لم يتبق أي شيء، حتى الضروريات الأساسية، وأصبح التموين أكثر صعوبة. بفضل مختبر الكيمياء الخاص بي، عرفت الآن كيفية صنع الصابون برماد الصودا وصناعة الشموع - وهو منتج مطلوب للغاية بسبب انقطاع التيار الكهربائي - باستخدام البارافين والشمع. كان الصيدلي برانكورت يطلب بانتظام الصابون ضد الجرب الذي كان يحتدم في المنطقة.

وجدت أيضًا موردًا في مدينة فلارس[57] الذي عرض علي جميع المنتجات التي لم يعد بإمكانه بيعها، مما سمح لي بتوزيع جميع إنتاجي مجانًا. ذات يوم، أعطاني مئات الأرطال من الملح الكبير المخلوط بأكسيد الحديد ولم يستطع أحد فعل أي شيء آخر. كان الجميع يفتقر إلى الملح الخالص، لأنه كان ينظمه النازيون لمنع المزارعين من تمليح خنازيرهم وإبقائها مختبئة بدلاً من إرسالها إلى ألمانيا للحصول على الطعام. قمت بإذابة الملح وتصفيته. تركت أكسيد الحديد، الأثقل من

57 - Flers

الملح، بالاستقرار في القاع، واستعدت الملح على السطح حتى يجف ويتبلور. بعد أيام قليلة، أصبح نقياً مرة أخرى. كان لدي الكثير لتطهيره لدرجة أنني شاركته مع المزارعين وأظهرت لهم كيفية القيام بذلك. كان الجميع هناك لعدة أشهر. لهذا السبب، كنا في فير، لفترة طويلة أقل جوعاً من أي مكان آخر.

مع كل هذه الإنشغالات بالإضافة إلى عملي، قضيت القليل من الوقت في المنزل. لم تَعُدْ أمي، وبعد أسبوع ذهب والدي وبول لإحضارها. عادوا بعد يومين وطمأنونا. لقد أصيبت بما لا أعرفه من ميكروب، وتم نقلها إلى المستشفى في باريس. لا شيء خطير، على ما يبدو. لقد مرت الأيام دون أن يخبرونا بعد.

سرعان ما انتشرت سمعتي كمصنع للصابون المجاني في جميع أنحاء المدينة. كان النساء، قبل الاخرين يفتقرن إلى الصابون. كنت اقوم بدورة على المنازل لأوزع الصابون وأنا

أركب الدراجة، وقد سمح لي ذلك برؤية دورا، صديقتي السابقة حيث كنا نذهب معا الى المدرسة.

اضطرت المسكينة إلى مقاطعة تعليمها لرعاية والدها، الذي كان مريضًا جدًا والذي توقف بمرور الوقت عن تخويفي.

بفضل قطع الصابون التي كنت اوزعها مجانا، ظللت على اتصال أيضًا بزملائي السابقين في المصنع. أحببت رؤية سيسيل مرة أخرى. على الرغم من أن الأوقات كانت صعبة، إلا أنها كانت لا تزال مضحكة. باستثناء هذه المرة رحبت بي وهي في حالة سيئة.

«واو، لقد رجعت». هل تريد أن تدخن ؟

- لا شكرا لك.

- بُوف... لأنك ما زلت لست رجلاً ، يجب أن تحاول أنا أدخن أكثر في الأيام الحزينة.

- لماذا أنت حزينة ؟

- ألست على علم ؟

- حول ماذا ؟

- جان باير، الذي كان يعمل معنا في المصنع.

«ماذا فعل ؟»

- تم رميه بالرصاص.

كان يومًا شتويًا ممطرًا في نهاية عام 1940. عدت بالدراجة وقمت بالدواسة مثل الملعون، بدون هذف، عبر سهل نورمان. جان باير، ميت. أول شخص محبوب أخذته الحرب مني. هو ونكاته الساخرة، وسجارته الأبدية مقروصة في زاوية شفتيه، طرقه غير المألوفة. نظرت إلى الوراء في كل اللحظات التي قضيتها في محاولة أن أبدو مثله. وكنت اسير ضد الريح. وفي حيرة من أمري في اضطراب الذكريات، أدركت فجأة الأسوأ. أمي كانت ميتة لقد فهمت الأمر هكذا. كان لدي الكثير من الماء على خدي في ذلك اليوم، وليس فقط مياه الأمطار. كان من الضروري معرفة وفاة جون للتوقف عن كوني أعمى. ما هو المرض الذي يمكن أن يبقيها في المستشفى لفترة طويلة ؟

منذ أن أخبرنا والدي قصة الميكروب هذه، حبست نفسي في صمت عميق. كيف لم أفهم ؟

فقط أختي الصغيرة بولين، التي كانت تبلغ من العمر عشر سنوات فقط، أعربت بوضوح عن قلقها.

عند عودتي إلى المنزل، وضعت والدي أمام الأمر الواقع، واعترف. عثرت شركة السكك الحديدية على جثتها على السكك الحديدية. كانت عائدة بالقطار من باريس، حيث كان لديها الوقت لتحذير أخوها ليون، الذي فر على الفور. كان بول قد رافق والدي للتعرف على الجثة، ولهذا السبب غابوا يومين. كان بول مصدومًا جدًا، حيث رأى «الرأس منفصلاً عن الجسد وقطع الدماغ»، لدرجة أنه فضل عدم إخبارنا بأي شيء، لنا الصغار. لكن والدي كان يجب أن يحذرنا. وزعم المفتشون المسؤولون عن التحقيق أنها فتحت باب قطار الخارجي معتقدة أنه باب المرحاض. وهو ايضا ما اراد بول دائما ان يصدقه حتى اليوم. اتصل والدي بمحام باريسي لتوضيح الأمر، لكنه كان يهوديًا، وبعد ذلك

بوقت قصير تم القبض عليه وترحيله. في رأيي، فرضية الحادث هي اختفاء. بالنسبة لي، تم دفعها، إنه اغتيال.

- لكن لا أحد يستطيع إثبات ذلك.

قل، إذا قيل لك إنني سقطت من القطار لخلط الباب الخارجي مع باب المرحاض، فماذا ستقول ؟

حسناً، هذا ما وقع! علاوة على ذلك، بعد أيام قليلة، جاء حدث لتأكيد رأيي: طلبت منا رسالة من كوماندانتور[58] مغادرة منزل ليون، بطلب من الإدارة العسكرية الألمانية ومنحها للزوجين ديموي مقابل ثمن حدده مجلس المدينة.

أخذ الديموي انتقامهم. حيث تحول المنزل إلى بيت دعارة للضباط الألمان، لم يفشل في ملء الحرب بأكملها. يقال أن الكحول والفتيات كانا لذيذين ورخيصين.

أعطتنا بلدية فير مسكنًا آخر، في ساحة القطار، في منزل سيدة عجوز لم يكن لها رأي. كل يوم تقريبًا كنت أزور برانكور، الصيدلي. ومنذ وفاة والدتي، كنت ألقي بنفسي في

58 - مسؤول كبير في مدينة فير

الكيمياء بمفردي، وكان هذا هو السبب الوحيد للعيش. كان برانكورت هناك لمساعدتي كلما تعثرت في بحثي، قدم لي الكثير من النصائح. لكن ليس فقط. كنا نتحدث عن كل شيء، الحرب على وجه الخصوص. لقد كان إنسانيًا عظيمًا، وعرف كيف يستمع إلي، وأصبح تدريجيًا مثل والدي الروحي.

في صيف عام 1942، أعلن راديو لندن أول خبر جديد يحمل الأمل. معركة ستالينجراد. حيث واجه الجيش الألماني أخيرًا مقاومة. سمعت أيضًا أن تخريب القوافل الألمانية آخذ في التكثيف، وأن الجماعات كانت تنظم. ردا على هذه الهجمات، قررت الإدارة الألمانية الاستيلاء على جميع رجال المدينة لمراقبة خطوط السكك الحديدية بالتناوب في الليل. نوع من احتجاز الرهائن المنظم، لأنه في حالة وقوع هجوم، يتم إطلاق النار على الحراس. لم أكن كبيرًا في السن بعد، لكنني كنت لا أزال أذهب إلى هناك، بدلاً من والدي وبول، لألتقي بالصيدلي برانكورت. لا أعرف

بالضبط كيف، لكن خلال مناقشاتنا فهمت أنه كان ضابط استخبارات في المكتب الفرنسي الثاني التابع لديغول، وأن صيدليته كانت مجرد غطاء. كان على اتصال بجماعات العمل التخريبية للقوافل في منطقة نورماندي. لم أكن أريد أن أبكي موتاي دون أن أفعل أي شيء. كان يعلم ذلك. ذات ليلة، بينما كنا نشرب قهوة مزيفة، نحرس خطوط السكك الحديدية ونحارب ضد النوم، قال:

- إذا أوضحت لك كيفية القيام بذلك، فهل ستوافق على صنع منتجات لي أكثر خطورة من الصابون ؟

منذ الوقت الذي انتظرت فيه هذا الاقتراح، دون أن أجرؤ على الحديث عنه!

- إنتبه، إنه عمل معقد. من الضروري الانتباه إلى الجرعات.

منذ ذلك اليوم، بالإضافة إلى الصابون والشموع والملح، صنعت منتجات أكثر ضررًا، لتآكل خطوط النقل، وصدأ أجزاء السكك الحديدية، وكذلك المفجرات الصغيرة. من خلال المشاركة في التخريب، لأول مرة لم أعد أشعر

بالعجز التام في مواجهة وفاة والدتي وصديقي جون. كان لدي على الأقل شعور بالانتقام. وكنت نخورًا، كنت مرنًا.

الجزء 3

سجن درانسي

عندما جاء الألمان لإيقافي، في صيف عام 1943، كنت في الصباغة مع أخي الصغير أنجل، الذي وظفته. أمرونا باتباعهم، وجعلونا نركب شاحنة من القماش المشمع تابعة للجيش. كانت بالفعل بقية أفراد عائلتي بالداخل، وكان الشيخ أوجيي ذو الساق الخشبية وابنته دورا، صديقتي في مسارات المدرسة. عدد قليل للغاية من المقبوض عليهم: هذا كل ما تبقى من يهود فير. عندما رأيت والدي، كنت آمل أن يخبرني بأي شيء حتى يطمئني، لكنه لم يكن هناك ما يقوله. عملت مثل الجميع. لم أحتج. ولا أعرف شيء. لم يسأل أحد إلى أين نحن ذاهبون. سافرنا لمدة ساعتين. توقفت الشاحنة أخيرًا ووقفنا جميعًا معًا في زنزانة في

لامالادريري[59]، سجن كاين[60] النموذجي الشهير. سبعة أشخاص في عشرة أمتار مربعة. لا مكان للنوم، باستثناء الأب أوجيي، الذي كان كبيرًا في السن ومريضًا. لمدة يومين، لم يأتِ حارس لرؤيتنا، ولم نشرب شيئًا، ولم نأكل شيئًا. لقد تم نسياننا.

ثم بدأ أوجيي يتأوه، مستلقيًا على قشته، وفمه مفتوحًا، وعيناه مفتوحة ومتجهة نحو السقف، والدموع تتدحرج في جوف تجاعيده. اتكأت عليه دورا، لكن الرجل العجوز كان يحتضر، وأصبح الأنين أكثر جمالًا، ويتخلل كل أنفاسه. حاولت أن أتنفس بوتيرته الخاصة، لأتحمل معه. قرع والدي على الباب لتنبيه الحراس أن الرجل على وشك الموت. لقد قام أبي بفوضى لدرجة أن ضابطًا جاء لرؤيته في النهاية.

«هذا الرجل خاض الحرب العالمية الأولى 1914إلى جانبكم، من أجل ألمانيا». لقد فقد ساقه هناك. لا يمكنك تركه يموت في السجن!

59 - La Maladrerie
60 - Caen

غادر الضابط دون أن ينطق بكلمة واحدة. وطلب أوجيي من والدي أن ينشد له الكاديش[61]. رأيت والدي ينهض ويتلو له صلاة الموتى. كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذه الصلاة، لم أكن أعرف أن والدي كان على علم بها، وفي هذا السجن، تمزيق صمت لعدة أيام، اتخذت النصوص الدينية التي يحملها صوت والدي معنى خاصًا. كنت أعلم أن السجن كان خطوة واحدة فقط، وأنه في النهاية سيكون هناك معسكرات، وربما الموت. قبل النهوض للنشيد، وضع والدي عينيه على كل واحد منا. في ذلك اليوم غنى النبيء سليمان لنا جميعًا.

لقد تم إطلاق سراح أوجيي، لكن ليس ابنته. وقد وعد والدي بالاعتناء بها كما لو كانت ابنته، وصنعنا مكانًا لدورا في عائلتنا، حتى لا تظل يتيمة. في اليوم التالي، تم دفعنا في قطار مع سجناء يهود آخرين من المنطقة. حافلات كاملة " أفرغ "ركابهم الذين دفعهم الجنود إلى داخل

61 - le kaddish

عربات القطار. كان مئات الأشخاص، من جميع الأعمار، من جميع الطبقات الاجتماعية، يتراكمون هناك، بينما ارتفعت شائعة درانسي بالفعل فوق الصخب العام.

ذهب بول حول العربة، وسأل الجميع:

- شخص ما لديه ورق ؟ هل لديكم ورق ؟ قلم ؟

لقد تم اعتقال البعض في المنزل وأخذوا الأمتعة.

وجد بول منهم ما كان يبحث عنه، وعاد إلينا.

- ماذا تفعل؟

- أكتب إلى قنصل الأرجنتين.

- لماذا ؟

- انظر. كلهم يحملون النجمة. ليس نحن. إذا كان بإمكان شخص ما أن يفعل شيئًا لنا، فهو القنصل. نحن محميون.

كتب عدة رسائل. كلها شبيهة وكأنها اوراق منسوخة، مع أسمائنا وتاريخنا ووجهتنا، حتى نطالب الأرجنتين بتحريرنا. إنطلق القطار. وزع بول الرسائل، قدر استطاعته، على عمال السكك الحديدية، حتى أنه ألقى البقية من النافذة. كل ما

تبقى هو الأمل في أن تدفع الروح الطيبة طابع البريد وترسلها.

دعني أصف لك (درانسي) مدينة محاطة بالأسلاك الشائكة. مباني من خمسة طوابق، قضبان، غير مكتملة، تشكل على حرف U حول فناء مربع شاسع. لا توجد أبواب. لا نوافذ. لا أقسام. موقع خرساني مسلح غادر في حالة هيكل عظمي. سجن بدون جدران لحمايتنا من العيون والبرد. لا شيء في الأفق سوى الحراس فوق رؤوسنا، ظل التهديد للأبراج العملاقة الخمسة، مساكن قوات الاحتلال الألمانية.

قصر التيارات الهوائية، ليؤخذ بالمعنى الحرفي كما في المجازي.رالرياح بالطبع، ولكن أيضًا النزلاء الذين وصلوا وغادروا بالعربات. كنا بالآلاف. أربعون لكل غرفة. الرجال والنساء ينفصلون ليلاً عبارة عن مزرعة النمل. لم يبق أحد في درانسي. هناك قاموا بفرزهم، قبل إرسال القوافل إلى المعسكرات المختلفة في أوروبا.

وصل البعض للتو وأنهم كانوا يغادرون بالفعل. قال الألمان «معسكرات العمل». هل رأينا من قبل كبار السن والأطفال البالغين من العمر عامين بالكاد قادرين على العمل ؟ لم نعد في بداية الحرب. سمع الجميع عن غارة فيل ديف[62]. كانت القوافل، كما علمنا، لها نفس الوجهة: بتشيبويي[63].

في اليوم السابق للمغادرة، كان هناك صدى لدموع أولئك الذين تم قصهم للتو، والذين بقوا على السلم في انتظار الفجر بسبب نقص الأسرة في الغرف.

بدا وكأنه منزل مجنون. عندما سمعتهم، فكرت في بولين، أختي الصغيرة، ودورا، الموجدتان في قسم النساء. كنت آمل حتى الصباح أن يكونوا قادرين على النوم، وأنهم لم يدركوا أي شيء. دورا. كما وعد والدي لأوجيي، جعلناها واحدة منا. لسوء الحظ، كان لهذا الاعتماد تأثير فقط على أنفسنا. بمجرد

62 - Vél’d’Hiv

63 - وهي كلمة يستعملها اليهود في درانسي لتعيين معسكرات الموقت

وصولها، تم وضعها في الطابق السلفي، اولئك الذين يمكن ترحيلهم. فعل والدي كل شيء ليتم التعرف عليها على أنها ابنته، حتى أنه حصل على موعد مع ألويس برونر، مدير المعسكر. لكن دورا كانت فرنسية، وكان برونر قاطعًا. إجابته جعلت والدي يطوى:

- إذا لم تستطع الانفصال عنها، كما تقول، يمكنني أن أجعل الأسرة بأكملها مكانًا في القافلة القادمة.

بعد أيام قليلة من هذه المقابلة الشريرة، ظهر اسم دورا على قائمة المغادرة. عندما غادرت، لم نتمكن من فعل أي شيء، ولم يمحو الوقت الشعور الهائل بالذنب الذي احتفظت به.

كان الآخرون يغادرون، ونحن باقون. كانت القاعدة هي ألف في كل قافلة، وكان برونر من النوع المنقط على الأرقام. إذا غاب شخص ما عن المنادات، كان على آخر أن يأخذ مكانه.

كان من الممكن أن يكون المعسكر مزدحمًا يومًا ما ويكاد يكون فارغًا بعد ذلك ببعض الوقت، حتى عادت مواكب السجناء لملئه مرة أخرى، حتماً. اليهود،ضغار، كبار، أشقر، بني... كان علي أن أعرف دراسي لأدرك أنني لا أعرف شيئًا عنهم.

كان هناك عدد قليل جدًا من اليهود في فير. ليفي [64] الذي وظف والدي، أوجيي ونحن، وعدد قليل من الآخرين. قالت الدعاية النازية أسوأ الأشياء، وقدمت أوصافًا كاريكاتورية لم أتعرف فيها على نفسي، وبدا أن السكان يوافقون. لقد سمعت تصريحات معادية للسامية طوال الحرب، وسمحت لهم بالمرور دون أن أدرك ذلك.

كان الناس يقولون لي:

- إنه خطأ اليهود، هؤلاء اليهود القذرين.
- لكننا نحن أيضاً يهود.
- نعم، لكنكم لستم أنتم، أنتم مثلنا». بينما الآخرين...

---

64 - Lévy.

هل كانوا يعرفون فقط كيف كان الآخرون ؟ لم يكن لدي أي فكرة. في درانسي، اكتشفت اليهود وتنوعهم. أحببتهم، أحببت نفسي من خلالهم، شعرت بأنني يهودي ولم يتركني ذلك أبدًا.

تعلمت الجبر والحساب في درانسي، من رجل عجوز كان أستاذًا في البوليتكنيك، عندما كان لا يزال لليهود الحق في التدريس. كل يوم كرس لي ساعات كاملة. أسرتني العلاقة بين الرياضيات والكيمياء. أردت أن أعرف كل شيء، قمت بتدوين الملاحظات وتعلمتها عن ظهر قلب في الليل حتى أتمكن من الانتقال إلى الدرس التالي في اليوم التالي. بفضل الرجل العجوز، كان تكويني النظري قادرًا على الاستمرار، داخل القلعة نفسها. لقد جذبه تعطشي للمعرفة، وأعتقد أن كلانا كان لديه حاجة أساسية وغير عقلانية لهذه الدروس، لأن هذه كانت اللحظات الوحيدة التي سمحت لنا بنسيان حالتنا كمعتقلين. كنت آخر طالب له.

ذات يوم، في وقت الدرس، لم يعد هناك. لم يكن يريد أن يخبرني مسبقًا أنه مدرج في القائمة، ربما لتجنيبنا وداعًا صعبًا. كان وعيي السياسي ينمو أيضًا. المناقشات التي لا نهاية لها التي أجريتها مع جان باير في المصنع، أو مع برانكورت أثناء حراسة خطوط سكة حديد فير، واصلت ذلك مع إرنست أبنزيلر، الأشقر ذو العيون الزرقاء الذي كان بإمكانه الوقوف بشكل مثالي للإعلان الذي يروج للسباق الآري. كنت في السابعة عشرة، وكان في الثامنة عشرة. قال إنه اعتقل عن طريق الخطأ. لأنه تم ختانه.

قال «مختن ولكن ليست يهودي».

ودعا إلى فحص اللجنة العلمية الألمانية المتخصصة في قضايا العرق، لأنه كان متأكدًا من أنه لا يمكن أن تنتهي إلا إلى غروره. ذكرني بصديقي جون بنبرته الحازمة وروحه الحية. قال لي كثيرًا: «لو كنت يهوديًا، لكنت صهيونيًا».

اعتقدت، مثل والدي، أن دولة لليهود كانت مدينة فاضلة. اعتقدت أنه بغض النظر عن الانتماء الديني، يجب أن يشعر

الجميع بأنهم في وطنهم أينما كانوا، وأن الدين لا ينبغي أن يتطابق مع الأمة. مع إرنست، لا يوجد موضوع لم نتحدث عنه. تبادلنا وجهات نظرنا، نظرينا حول كل شيء، السياسة، الفلسفة، مُثلنا العليا. حتى أننا تحدثنا عن اللاهوت، وخاصة هو، لأنني لم أكن أعرف شيئًا عنه. لقد تأثرت بمعرفته باليهودية، وهو ليس يهوديًا. معًا، اخترعنا عالمًا آخر. عالم أفضل.

في غضون ثلاثة أشهر، أجريت عددًا لا يحصى من اللقاءات الرائعة والغنية بلا حدود. لقد ربطت الكثير من الصداقات، لرؤية هؤلاء الأصدقاء يتركونني واحدًا تلو الآخر، تم ترحيلهم. أنا، عاجز. بصفتي أرجنتينيًا، كان لي الحق في العمل داخل المخيم. كنت رسام بناء. على الجدران التي غطيتها باللون الأبيض، كانت هناك نقوش وأسماء وتواريخ ورسائل لم أرغب في محوها لأنها ربما كانت آخر علامات حياة هؤلاء الأشخاص. لقد قبض علي في حالة

تلبس بسبب إعادة صياغتي بقطعة من الحديد للنقوش التي كنت قد محوتها للتو بفرشاة.

تم تعييني في الغسيل، لمنعي من القيام بأشياء أخرى. «الحماقة». لسبب غير محدد، كان ألويس برونر، الذي كان يتفقد العسكر كل يوم، يقف دائمًا أمامي لتقليل من قيمتي. أمامه، كان علينا أن نغمض أعيننا. لكنني لم أفعل. لقد بقيت انظر اليه بنفس النظرة التي يقوم بها. نيابة عن دورا وآخرين. نظراً لأن الجميع سيموتون هناك وبقيت هناك، لم أكن أهتم بالعواقب. لم أعد خائف. أتذكر نظرة برونر، عيناه السوداوين الصغيرتين، ثاقبة، منغمسة في عيني. كل يوم كان يفر ويتجاهل غطرستي ويغادر دون أن يقول أي شيء. لا أعرف لماذا لم يقل أي شيء. لم أفهم قط. ربما أثارت المطالب الملحة للقنصلية الأرجنتينية بالإفراج عنا فضوله، ربما كان ذلك لمجرد أن اسمي أدولف.

- كيف يمكنك الخروج من دراسي ؟

رسائل (بول) إلى قنصل (الأرجنتين) أنقذتنا مكثنا في المعسكر لمدة ثلاثة أشهر. كان هذا هو الحد الأقصى. وبالتالي، فإننا مدينون لبقائنا للجبن الدبلوماسي لحكومة اختارت، حتى لا تدير ظهرها لأمريكا الشمالية القوية دون خرق اتفاقياتها الاقتصادية مع ألمانيا النازية، أن تعلن نفسها محايدة. الحياد غير موجود. إن عدم القيام بأي شيء، وعدم قول أي شيء، هو بالفعل شريك.

عندما أخبرني والدي أنه سيتم إطلاق سراحنا، كنت على وشك أن أرفض. اخرج عندما يحكم على الآخرين بالإعدام.

لماذا نحن وليس هم ؟ تمكن سليمان من إقناعي بأنني هنا لا أخدم أي شيء، بينما في الخارج، ربما... على الفور، فكرت في برانكورت والمفجرات التي كنت أصنعها في فير. كان مكاني هناك بجانبه. كان علي أن أعود، مهما حدث.

وجدنا أنفسنا في الخارج، في باريس، بدون فلس واحد في جيبنا، مع عشرات الرسائل من سجناء درانسي مخبأة في بطانة ستراتنا. كانت القوانين المعادية لليهود أكثر انتشارًا في باريس من أي مكان آخر. ما زلنا لم نحمل النجمة الصفراء، لكن ختم الحبر الأحمر منتشر على أوراقنا. لم نتمكن من الذهاب إلى الفندق أو العودة إلى نورماندي أو حتى شراء ما نأكله.

الحرية الصعبة. لم أر باريس منذ مغادرتها الى فير عام 1938. لقد تغيرت المدينة كثيرًا. كانت اللافتات تحمل علامات مزدوجة، الفرنسية والألمانية. ارتدت واجهات المتجر لافتات «ممنوع على اليهود». كانت الجدران مغطاة بملصقات عليها رسومات لليهود بأنوف معقوفة وآذان وأظافر كبيرة على شكل مخالب. كان الضباط الألمان يمرون على الطريق في سيارات رائعة جديدة تمامًا، والتي تتناقض بشكل شنيع مع بؤس باريس الفقير. نصحنا بالذهاب إلى UGIF. بعد التجول مثل الأرواح المفقودة، مع اقتراب حظر التجول

دون أن نجد أي حل آخر، هذا ما فعلناه. صعدنا في أخر عربة مترو، الدرجة الثالثة، مخصصة لليهود. لم يكن بول يريد أن يتبعنا، لقد غادر إلى جهته. شعر أن منازل UGIF كانت فخًا، وكان على حق. كان UGIF يهود تعاونوا مع النازيين. تم وضعنا في دار العجزة قديمة في شوازي لوراء[65]، في فال دي مارن[66]، حيث تم إطعامنا ورعايتنا. جعلتني إقامتي في درانسي نحيف للغاية لدرجة أنني لا أستطيع الوقوف على ساقيي، وآلام في ركبتي. عندما استعدت أخيراً بعض قوتي، كان الذهاب إلى المكتبات في أرصفة السين لشراء كتب الكيمياء هناك. أردت إيجاد طريقة لصنع متفجرات قوية قبل العودة إلى النظام برانكورت.

إلى جانب ذلك، بمجرد إطلاق سراحي، كتبت له رسالة - رصينة جدًا، لا شيء يساوم بالطبع - لإبلاغه أنني على قيد الحياة. أجاب - لم أكن أتمنى الكثير - برسالة دافئة طويلة، مليئة بالتشجيع واللطف، ذكرني فيها بأنه سيكون دائمًا

65 - Choisy-le-Roi
66 - Val-de-Marne

مستعدًا لمساعدتي، مهما كانت التكلفة. هذه الرسالة احتفظت بها تحت وسادتي حتى لا تتركني، حتى في الليل، مثل حاملة الحظ.

كنت هناك لمدة عشرة أيام تقريبًا عندما سمعت، في منتصف الليل، حوالي الساعة الرابعة صباحًا، ضجيج السيارات. تم قطع المحركات مباشرة تحت نوافذي. خطوات الشرطة. عندما صعدوا، ابتلعت رسالة برانكورت. لقد أكلتها. لقد مر وقت طويل لم أستطع تجاوزه، لكن بما أنني تمكنت من ابتلاع الضروريات، ألقيت ما تبقى في المرحاض وأطلقت عليها الماء. دخلت الشرطة الغرفة وأبلغتني أن لدي عشر دقائق للاستعداد للمغادرة. أخذت كل كتب الكيمياء الخاصة بي، وكتب اخرى عديدة، ولأنني كنت لا أزال ضعيفًا ولم استطيع حملها، ساعدني أحدهم بأدب شديد. اعتقدت أن هذا الرجل كان يحمل ما كنت أحاول محاربته به.

العودة إلى دراسي. إن الانطباع الرهيب عن "لقد رايته"، "لقد رأيته" يعتدي علينا. هذه المرة، عندما وصلنا، احتج والدي. يبدو أن هناك خطأ. يقول البعض، «نعم، هناك أمر بإيقافهم». يقول آخرون لا. وأخيرًا، تم إطلاق سراحنا بعد أربع وعشرين ساعة. هناك، أمام المخرج، نلتقي بمجموعة من الأشخاص محاطين برجال شرطة يتقدمون نحو دراسي. سمعهم والدي يتحدثون بمزيج من الإسبانية واليديشية، غريبة على يهود الأرجنتين. من أي بلد أنت لقد طلب منهم ذلك

- نحن أرجنتينيون.
- لكن... والاتفاقات الدبلوماسية ؟
- انتهى الأمر. يعتقلون جميع الأرجنتينيين.

لقد تم حل الاتفاقات الألمانية الأرجنتينية، وداعًا لدرعنا. نحن مدينون بحريتنا لسوء التواصل بين الدرك الفرنسي وقوات الأمن الخاصة وإدارة دراسي. في غضون ساعات قليلة، ربما كنا في الداخل مرة اخرى.

دائما نفس المشكلة: لم يكن لدينا مكان نذهب إليه. وجدنا أنفسنا في منزل آخر لـ UGIF، في شارع لامارك، في الدائرة 18، حان الوقت للعثور على شيء آخر، لأنه هذه المرة تم تعليقنا، كان علينا الاختباء.

في اليوم التالي، كان والدي بعيدًا، وعند عودته جمعنا معًا في مجلس الأسرة.

- عدت للاتصال بأصدقاء قدامى لم أرهم مرة أخرى منذ سنوات. شيوخ من روسيا، من البوند. سيتعين علينا التفرق. سيغادر كل واحد الى جهته.

- حتى أنا ؟ سألت بولين مع تريمولو في صوتها، من سن الثالثة عشرة، خائفة من فكرة الانفصال عنا.

- سيتم وضع كل واحد منكم في مزرعة. لا أعرف حتى الآن أين أو كيف. لكن، أولاً، سنحصل على أوراق مزيفة. علينا أن نعطي صور هوية، ويريدون أن يذهب شاب إلى هناك.

(أدولف)، أنا أعتمد عليك لديك موعد الآن أعطيت وصفك. الاتصال الخاص بك يسمى البطريق.

أوراق مزورة... لقد تعلمت في مثل هذا الاحترام للشرعية لدرجة أنني أعترف لك أنني لم أفكر في الأمر أبدًا حتى ذلك الحين... بعد ساعات قليلة، وصلت إلى الاجتماع، ووفقًا للتعليمات، انتظرت بجوار تمثال موليير، أمام كوليج دو فرانس، وأنا أحمل كتاب في يدي. في ذهابًا وإيابًا للمارة، ومعظمهم من الطلاب، أنتظر، ولا أحد يأتي. من وقت لآخر أبحث عن شخص قد يبدو وجهه يشبه الشخص المقاوم الذي صنعته في ذهني. لا أعرف لماذا، أتخيل شخصًا يشبه جان باير، رائع، متأكد منه، بطرق غير رسمية.

- أدولف.

أستدير وأجد نفسي أنف لأنف مع شاب بني بشعر مجعد، صغير وقليل السمنة، الذي يحييني بشكل طبيعي، كما لو كنا نعرف بعضنا البعض دائمًا، حتى لا يبدو اجتماعنا مريبًا.

- البطريق ؟

ندخل إلى كولاج دي فرانس، بعد أن تحقق من عدم وجود أحد يتبعنا.

- هل لديك الصور ؟

بسرعة، أعطيتهم له ويضعهم في جيبه، دون مقاطعة سيرنا في الممرات.

- سنحاول الاحتفاظ بالأحرف الأولى من أسمائك الحقيقية للأوراق. لقد ولدت في أي عام ؟

— 1925.

- سنضع 26 لتجديد شبابك. سوف يتجنبك STO. بالنسبة للوظيفة، سنضعك طالباً.

- لا، هذا غير ممكن! لا بد لي من العمل لكسب لقمة العيش.

- هل لديك وظيفة ؟

- نعم، أنا صانع صبغ.

في هذه المرحلة، يقترب منا طالب ويمشي بالقرب منا.

البطريق يغير نغمة.

«هل تتذكرها ؟» لوسيان! تخيل أنني رأيتها، هكذا، بالصدفة. الآن هي تمارس القانون، وما زالت تعيش مع والديها... الطالب يتفوق علينا، والبطريق يتولى المسؤولية.

«قلت أنك صانع صبغ ؟»

«نعم، هذا كل شيء».

«ولكن بعد ذلك تعرف كيفية إزالة بقع الحبر ؟»

- نعم، بل هو تخصصي. أنا أعمل في الكيمياء.

- لكن لأحبار لا تمحى ؟

- غير موجود، كل شيء يمكن أن يختفي.

مرة أخرى، يمر الطلاب بجانبنا. يلقي البطريق نظرة دائرية ويتحدث معي عن شيء آخر، صديق من المفترض أن أعرفه، أصيب بالأنفلونزا ويعتذر عن عدم تمكنه من القدوم إلى عشاء الغد. لقد بدأت أفهم هذه العملية، ونحن نتبادل التفاهات قبل استئناف المناقشة حيث انتهت.

- لدينا مشكلة مع حبر واترمان الأزرق. من المستحيل محوه، فهو يقاوم كل شيء. هل تعرف كيف تفعل ذلك ؟

- لا. يجب تحليله لمعرفة مما يتكون.

- أعلم أن هذا أزرق الميثيل.

- إذن الأمر بسيط للغاية. يجب استخدام عامل اختزال، حمض اللاكتيك.

هل أنت واثق

إذا كنت متأكدا ؟ و كيف! أخبرته عن كيمياء الألبان في فير، وكتب الكيمياء التي تم ابتلاعها، والبقع الموجودة على الملابس والصابون والشموع وحتى المفجرات. يدقق في رأسًا على عقب، ويسألني أخيرًا السؤال الذي توقعته:

- هل أنت مهتم بالعمل معنا ؟

بعد يومين، التقيت مرة به أخرى، في نفس الوقت، في نفس المكان، لاستعادة الأوراق المزيفة للعائلة.

الآن أنا جوليان أدولف كيلر، نفس الاسم الأخير لأنجيل وبولين، أصبح والدي جورج فيرنت. كلنا "من أصول

فرنسية"، لقد تحصلنا للتو "على الجنسية الفرنسية"من قبل دوائر المقاومة.

نظرًا لوجود العديد من المارة حولنا، أخبرني البطريق عن ابنة عمه التي كانت ستتزوج، لكن خطيبها تركها وفر، وقد... وأخشى أنه لن يخبرني عن الاقتراح الذي قدمه لي. منذ يومين لم أعد أنام، لذلك تأثرت. عندما انفصلنا، طلب مني الانتقال إلى منزل الشاب، وهي مؤسسة بروتستانتية يديرها جيش الخلاص، وأضاف:

- سوف نتصل بك.

لمدة ثلاثة أيام، تم اختباري لمعرفة ما إذا كنت من النوع الذي أتحدث عنه. جاء طالب طب، وهو أيضًا من سكان منزل الشاب، لزيارتي كل ليلة. لقد كان ودودًا جدًا، أو يجب أن أقول أيضًا... سألني الكثير من الأسئلة عني وعن ذكرياتي وعائلتي. بالطبع، التزمت بالإجابات الرسمية.

كنت جوليان كيلر، صانع صبغ، ابن مزارعين من ليون، هذا كل شيء. في المساء الرابع، عاد برفقة البطريق الذي أخذني

إلى فندق في بلاس موبير. وفي غرفة عادية، كان ينتظرنا رجلان ". تم تقديم في كل "جيراف "و" هيرون "، وكلاهما في الخامس والعشرين من عمرهما، تحت اسمهما EIF. لم يسألوني سؤالاً، لكنهم تحدثوا كثيرًا... لي. عنهم، فهمت أنه تم إجراء تحقيق وأنهم يعرفون كل شيء، حتى موت والدتي. طلب مني جيراف الجلوس في المكتب ووضع بطاقة هوية فارغة أمامي، بالإضافة إلى ورقة تحتوي على المعلومات التي سيتم حملها على البطاقة. كل ما كان علي فعله هو نسخ جميع العناوين بعناية، مع كتابة من قبل سكرتير مجلس المدينةالمتخصص على شهادة التعليم الإبتدائي فقط. كان بإمكان أي شخص أن يفعل ذلك، لقد كانت مجرد طقوس ابتدائية، لكنني لا أعرف لماذا، كنت متوتر للغاية. كان أول عمل تزوير لي.

لن أنسى أبدًا الغرفة المظلمة، ورائحة المكتب الخشبي الذي أضاءه مصباح صغير، والقلم والحبر، ووجود البطريق وجيراف وهيرون خلفي، الذين نظروا بصمت من فوق

كتفي. وقعت على بطاقة الهوية باسم فرنسي، وقدمتها لهم. كنت قد تجاوزت للتو مسارًا لم يكن لدي أي فكرة عن بداية حياة طويلة كمزوّر.

الجزء4

العودة الى باريس

مارس 1944. بعدما مشيت طول شارع القصر الملكي[67]، وصلت إلى الفندق مونتبينسي[68] متعب. ومنذ أن أصبحت لا أستعمل المترو، حيث اعتدت على المشي بسرعة دون إرهاق. عند الاستقبال، سألت السيدة لامبرت. وهي سيدة قصيرة تخبرني بالغرفة في الطابق الأول. لقد أحاط بي الشك، منذ إعلان هذا الموعد، وبدأ يمو هذا الشك كلما أصعد الدرج المؤدي إلى غرفة لامبرت. إذا كان نخفًا، فقد تم القبض علي. مع العلم أن انعدام الثقة، في وقت الحرب، لاتزال أحسن وسائل البقاء على قيد الحياة، أمشي في الممر وأبحث بسريعة عن بوابات الخروج التي سأستعملها لو وقعت

67 - Palais-Royal
68 - Montpensier

في ورطة. نحن في الطابق الأول. يوجد مصعد وسلم ونافذة في الممر تطل على الشارع. إذا اضطررت للهروب، فإن الطريقة الأكثر أمانًا ستكون القفز عبر النافذة. أخاطر، في أسوأ الأحوال، سأصاب بالتواء أو كسر. كإجراء أمان، أفتح النافذة الآن، لا يدري أحد.

في الخارج، السماء مسحب وتغرق المدينة في ظلام دامس. نظرة أخيرة على ساعتي. الساعة السابعة عشر وقت موعدي. في وقت سابق من بعد الظهر، وصل لوتر إلى المختبر، عائدًا من اجتماع مع ألبرت أكربيرج، خليفة جاك بولفرت في منصب رئيس السادس، وأمرني بالذهاب وإلقاء حزمة من بطاقات التسريح الفارغة لرجل لم أسمع به من قبل، السيد لامبرت، في فندق مونبنسير.

لقد رأيت أنه من المدهش أنه لا يذهب بنفسه، بعد كل شيء هذا هو دوره. ثم ترك لي هذا الاسم، لامبرت، مشكوكًا فيه.

عادة، كان لدى جهات الاتصال الخاصة بي أسماء totem و EIF، وإلا فقد كانوا من النساء. علاوة على كل ذلك، لقد أيقظت فكرة الموعد في فندق، ومع مجهول في داخلي أكثر الغرائز جنوناً . لقد احتجت.

«لماذا لا تذهب إلى هناك ؟»

- يريد رؤيتك أنت.

لماذا أراد هذا الرجل رؤيتي ؟ لا يوجد فكرة اضطررت إلى ترك بعض القلق يظهر، لأن لوتر رأى أنه من المناسب طمأنتي.

-لا تقلق، إنه واحد منا.

لكنه لم يقل شيئًا أكثر وعاد إلى دفاتره.

لذلك أخذت البطاقات وغادرت. كان هذا ما كان عليه في ذلك الوقت.

تحدثنا قليلاً، وكان من غير المناسب مناقشة الأوامر. الغرفة 18. أطرق الباب. يدعوني صوت لطيف وجاد للدخول، ها

أنا في صالة جناح فندق بزخرفة برجوازية. يواجهني، رجل يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، مثقف، وعلى أنفه نظارات.

- السيد لامبرت ؟

أشعر بالراحة قليلاً عندما أكتشف في الجزء السفلي من نظرته قصيرة النظر نفس القدر من عدم الثقة تقريبًا كما في نظري. إذا كان هذا الرجل يخافني، فذلك لأنه بالتأكيد ليس هنا لتوقيفي.

يسترخي وجه الرجل شيئًا فشيئًا، حتى يبدو مريحًا جدًا. ربما يكون شكلي الضعيف هو الذي هدئه، أو ببساطة أنني أتوافق جيدًا مع الوصف الذي قدم له عني.

- موريس كاشود، قدم نفسه بنبرة ودية، أمسك بصراحة بيدي.

كلمة واحدة تكفي لتلاشي شكوكي. كاشود، أعرف هذا الاسم، ويمكنني القول إن هذا هو اسمنا بالفعل، لأنه رئيس خدمات الوثائق المزيفة MUR[69] في المنطقة الجنوبية.

69 - Mouvements unis de Résistance

لقد سمعت عنه مرارًا وتكرارًا، لكننا لم نتقابل أبدًا. كما علمت، أن مقره في نيس، لدينا مراسلات تقنية. غالبًا ما يطلب مني لوتر كتابة أحدث النتائج التي توصلت إليها وإرسالها إلى مختبرات الأوراق المزورة الأخرى، وأهمها مختبرات غرونوبل ونيس. سمعت أيضًا أنه منذ إنشاء MLN مؤخرًا، كان كشود مسؤولاً عن مركزية طلبات الأوراق المزيفة على المستوى الوطني، عبر جميع الشبكات، وهذا يجعله، بطريقة ما، أعلى زعيم هرمي لي. إن الاجتماع بهذه الطريقة، بدون وسطاء، وبناءً على طلبه، ليس حدثًا تافهًا. في هذه اللحظة بالذات، أفهم أنني دخلت للتو ساحة الكبار.

يدعوني كاشود للجلوس على أحد الكراسي ذات الذراعين التي تحيط بطاولة قهوة صغيرة. أتظاهر بأنني لا أتأثر وأحاول أن أبدو غير رسمي قدر الإمكان. بينما أجلس بشكل مريح، أرى رأسًا يمر عبر تشابك الباب الذي يطل على غرفة النوم. الرأس ينظر في اتجاهنا، ثم يختفي دون أن يقدم نفسه. بالكاد كان لدي الوقت لتمييز صورة ظلية. نظرًا

لقضيته، أعتقد أنه يجب أن يكون حارسه الشخصي. أما بالنسبة لغرفة المعيشة، يشرح لي كاشود أسباب وجودي معه.

يبدأ في الحديث:

- لقد سمعت الكثير عنك وعن مهاراتك. مرتبك، يتأرجح بين الحياء والفخر، أبدأ في تطبيق ما تعلمته في الكيمياء والصباغة.

- هل تعرف حبرًا لطيفًا للمراسلات ؟

سؤال متقلب من مزوّر لآخر بالطبع، أعرف الكثير منهم. ليس هناك شك في أنه هو نفسه يجب أن يعرف أشياء عن هذا الموضوع. بالحكم على أن السؤال يهدف بالتأكيد إلى اختبار معرفتي، ألعب اللعبة، وأبدأ في الخدش على ورق ست صيغ حبر لطيفة. في هذه المرحلة، اقتحم الرجل المختفي في وقت سابق الى غرفة الإستقبال وسيتكئ على الحائط أكثر. بينما أنا مشغول بعملي، لا أهتم به بشكل خاص، لكنني ما زلت ألاحظ هذا الرأس وهذا النهج

المؤكد الذي ليس غريبًا تمامًا علي. بالنسبة للحارس الشخصي، أجده أميرياً ، وتصرفاً خاصًا، ممزوجًا بالكثير من الغطرسة في ذوقي. إذا كنت معجبًا بأناقته، فأنا لا أقدر على الإطلاق الطريقة التي تصرف بها معي.

أركز أكثر في الصيغ الخاصة بي، وأنفي على أوراقي، وأشعر أنه يقترب مني بلطف. عندما أرفع رأسي، يكون على مسافة قريبة، ويميل فوقي.

- ما هو اسمك؟ يسألني بسلطة.

- جوليان.

- نعم، ولكن ما هو اسم عائلتك ؟

- كيلر.

تمر بضع ثوان. ما زلت ألاحظ وصفة أحباري، وأدرك مظهره الذي لا يطاق، والذي لا يزال لا يخذلني. وهو لا يزال يقترب، لدرجة أن أنفانا يلمسان بعضهما البعض تقريبًا. يفتشني، يفحصني، إذا كان بإمكانه فعل ذلك بعدسة

مكبرة، فمن المحتمل أنه لن يمانع. أنا على بعد إصبعين من النهوض، في عصبية، عندما صرخ:

- أدولف ؟!

إرتفعت نبضات قلب. لا أحد، بخلاف أولئك الموجودين في المختبر، يمكنه معرفة اسمي الحقيقي.

- أدولف كامينسكي، أضاف، وجهه مفاجئ، درانسي!

ثم فتحت عيني واسعة على هذه الشخصية الفريدة، وأخيراً تعرفت عليه.

- إرنست أبنزيلر!

- هذا! يصرخ بالنقر على الطاولة، لذلك أنت «تقني»!

إرنست، كيف لم أتعرف عليه ؟ وهذا، نعم، يا لها من مفاجأة!

تبادل إرنست، «المختن ولكن ليس يهودي»، شجاعته الدرانسي ضد بدلة جديدة، والتحول هو لدرجة أنني مذهول تمامًا. ما زلت مندهشًا للنظر إليه من الرأس إلى أخمص القدمين وهو يهز جسده الكبير بحركات واسعة، ويكرر بلا

كلل، مثل القرص الفاسد، نفس الجملة دائمًا: «حسنًا إذن!»
بعد ثلاثة أشهر في درانسي، كنت أنا وعائلتي الوحيدين الذين أطلق سراحهم من المعسكر. وإرنست، الذي نفى دائمًا، عند رحيلنا، أن يكون يهوديًا، ثم لم يكن لديه سوى كلمته وفمه الملاك للدفاع عن قضيته. كانت فرص رؤيتنا مرة أخرى ضئيلة للغاية.

- هل أنت من السادس ؟

- نعم، وأنت MLN ؟

- لا، أنا من حركة الشباب الصهيوني (MJS) الملحقة بمنظمة القتال اليهودية (OJC). قالها بنبرة فخر. كان القتال هو الكلمة المفضلة لإرنست.

ثم عاد إلي ذكرى كل مرة، في درانسي، قال لي: «لو كنت يهوديًا، لكنت صهيونيًا»، «لو كنت يهوديًا، كنت سأحمل السلاح، كنت سأذهب إلى الجبهة للقتال». تذكرت أيضًا الازدراء الذي أظهره لجميع أولئك الذين قبلوا بارتداء النجمة، كل أولئك الذين ذهبوا، المطيعين، إلى مقر البلديات

الفرنسية، معتقدين أن طاعتهم المدنية ستضمن بقائهم على قيد الحياة. ألم يكن هذا ما فعلناه أنا وأبي ؟ قال إرنست إنه إذا كان اليهود قد طاردوا دائمًا، فذلك لأنهم ببساطة الضحايا المثاليون، بسبب روحهم في الاستقالة والخضوع ونفورهم من المعركة.

يطرطق إرنست أصابعه وتظهر ابتسامة خبيثة على شفتيه عندما يستخرج من درج وثيقة برأس الرايخ.

- لقد خدعتك في دراسي، أليس كذلك ؟ لقد خدعتهم أيضًا، اللجنة العلمية المفاجئة. وبرونر، كنت قد رأيت رأسه عندما أريته هذه الورقة. انتظر.

أعطاني رسالة من اللجنة العلمية الموقعة من قبل الأستاذ الشهير مونتاندون: شهادة الغرابة، تفيد أنه بعد فحص طبي شامل، يتوافق إرنست مع جميع معايير العرق الآري، باستثناء، بالطبع، التفاصيل الدقيقة للقلفة المفقودة، بسبب الشبكية، تحدد الشهادة. نعم، لقد خدعني. آمنت، مثل أي شخص آخر، بقصة عمليته. لقد جعلها قوية. والشيء الأكثر

روعة في التاريخ هو أنه من أجل فحص قضيته من قبل اللجنة العلمية، كان عليه أن يلصق شهادة ميلاد وشهادة معمودية بملفه. هذه الأوراق، صنعتها، في مختبر السادس، دون أن أعرف أنها مخصصة له! لدينا الكثير لنقوله لأنفسنا! والآن هناك شيء يربطنا ببعضنا رأى إرنست مثلي في دراستي آلاف الجماجم تقص، وسمع الأنين في الليل. هذا يقربنا أكثر.

هكذا تعلمت أن إرنست ليس يهوديًا فحسب، بل ابن حاخام نمساوي، سري منذ سن الثالثة عشرة، ومقاتل في المقاومة لفترة طويلة.

أولاً، مطلق النار الشاب، الذي لوحظ بسبب رباطة جأشه غير العادية، صعد إرنست بسرعة إلى الرتب، حتى عُهد إليه بمهام الإرهاب ضد النازيين. أصبح أحد أفضل عملاء النخبة في فرنسا، ويشرف الآن على فريق من الرماة، أثناء تنظيم الهجمات المستهدفة والإشراف عليها.

إرنست، «القاتل» للشبكة، هو أيضًا خبير في فن إسكات الجانحين.

يوضح بتقليد مسدس لتوضيح وجهة نظره: «عليك فقط القضاء على بعضها». الآخرون، إذا لم يرغبوا في الخداع بدورهم، ينتهي بهم الأمر بالصمت.

تذوب ضحكة إرنست المتوهجة تدريجياً في صمت.

شهد كاشود أفراح لم شملنا ونسى قصته عن الأحبار الودية. نحن ننتقل إلى أشياء خطيرة. أما بالنسبة لإرنست، فهذا ليس مجاله.

بعد صخب بداية الاجتماع، يستمع، ويلتزم الصمت الديني، يسحب أنبوبه، ثم يتشكل «O» بفمه، الذي تنجو منه جولات صغيرة من الدخان. في الجو المريح لجناح الفندق، يقدم لي كاشود استبيانًا تقنياً. "هل يمكنك إعادة إنتاج العلامات المائية المطبوعة ؟ الطوابع في راحة ؟ تغيير لون الحبر على الأوراق القديمة دون الإضرار بلون شيخوخة الورق ؟ لإعطاء ورقة جديدة مظهر ورقة قديمة ؟ "... لكل

ما أجيب به نعم، حتى لو كنت أحيانًا لا أعرف بالضبط كيف أفعل ذلك ؛ أعتقد أنني سأجد من خلال حفر عقلي، مقتنعا بأنه لا يوجد شيء مستحيل. لطالما وجدته. أتساءل إلى أين ستقودنا هذه الأسئلة، يبدو لي أنها مجرد مقدمة لطلب أكثر تعقيدًا.

في الواقع، بعد فترة، قاطع كاشود وضم يديه أمام فمه كعلامة على التفكير.

- لدينا مشكلة مع المصور الباريسي. حتى الآن، قام بالعمل بسلاسة، ثم أبطأ الإنتاج، والآن يعلن لنا أنه يوقف كل شيء لأنه يخشى أن يراقبه موظفوه. إنها ضربة قاسية للمقاومة... أنت تعرف كيف تنجز كل شيء، هل ستكون قادرًا على إنشاء مختبر لالتقاط الصور ؟

لا أعرف شيئًا على الإطلاق عن التقاط الصور، لكنني أعرف قدرتي على التعلم بسرعة، لذلك، بالنسبة لكل شيء آخر، أجيب بنعم، لكنني أسأل شرطًا، وهو القدرة على متابعة تدريب قصير في جهاز التصوير المعني.

- مساعدي رينيه بولسكي سيرتب هذا.
أغادر هذا الموعد مع طلبية جديدة تتمثل في طباعة أمر بتسريح، وبسرعة بالطبع، كالمعتاد، ومختبر التقاط الصور لتركيبه.

كاشود، كان راضٍ عن مقابلتي، كان سيتمكن من العودة إلى نيس. من الآن فصاعدًا، كان يسافر بين نيس وباريس، حتى يستقر في باريس بشكل نهائي بعد بضعة أشهر. كنا سنرى بعضنا البعض عدة مرات.
في طريق العودة، توجهت الى أرصفة بائعي الكتب القديمة أبحث عن كتب حول التقاط الصور. وعند أحد البائعة وجدت على الرف مجلدين من أعمال لوكلارك فن التصوير[70] والذي سيصبح كتابي بجانب سريري للأيام القادمة.

في صباح اليوم التالي، طرقت باب مخبر السيد غورمار[71] لالتقاط الصور، في شارع سان دوني.

70 - L.P. Clerc, La Technique photographique
71 - Goumard

قال لي الرجل الصغير والنحيف والشديد، الذي قدرت عمره بحوالي الخمسين:

- لنذهب إلى مكتبي، سنتحدث بهدوء أكبر.

مررنا عبر ورشة العمل حيث كان عشرات الرجال يعملون على آلات ضخمة. مصنع حقيقي.

آلة النسخ التي تكاثر فيها مصابيح قوسية، أواني قشط، أواني نقش إسقاط، أواني متأرجحة، لفائف حبر، تحوطات، حبوب أو جناح. إذا كان الأمر كذلك، ورشة التقاط الصور، فسأجد صعوبة في تلبية طلب كاشود.

دعاني جومارد لدخول مكتب بدون نافذة وأغلق الباب خلفه في دورتين. اشتكى وهو يهمس:

- أنا لا أثق في عمالي. شوووت!

هؤلاء سيبيعون أرواحهم إلى النازيين للحصول على حصة خبز إضافية! حسنًا، يبدو أنك تريد أن تصبح ملتقطًا للصور.

اعرف اننا لا نصبح هكذا ايها الشاب انا مدرس في مدرسة استيين يدرس طلابي لمدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك

يستغرق الأمر ثلاث سنوات أخرى كمتدرب، ويمكنني أن أخبرك أننا لا نعرف كل شيء عن التقاط الصور حتى تعمل مدة عشر سنوات على الأقل من المهنة. إذا كان عمرك ستة عشر عامًا فيجب تقريبا نفس الفترة وهو ما قد يفاجئني، فربما يمكنك أن تصبح مصوراً. ربما تصبح مصوراً، قلت ربما.

- لا أريد أن أصبح مصوراً محترفاً. أريد فقط...

أخيراً عرفت... تعلم بعض الأشياء الصغيرة، إعادة إنتاج الأختام على سبيل المثال.

"قلت إنني لا أريد أن أساعد بعد الآن، إنه أمر خطير للغاية. هنا العمال يراقبون، أنا متأكد. عندما أعمل في الليل، أحيانًا تكون هناك آثار متبقية في اليوم التالي على الآلات. والخونة في كل مكان.

- أنت من أي شبكة يا (كيلر) ؟

- MLN.

- كنت من CMO (المنظمة المدنية والعسكرية)، لكن منذ أن كانوا مع الاشتراكيين، ذهبت إلى MLN.

الاشتراكيون، شوووت... لماذا لا تعمل مع اليهود، طالما نحن هناك!

هل حاول غومارد البصق على الأرض بقوله "اليهود "؟

أعتقد ذلك. كنت قد فهمت للتو سبب اتخاذ كاشود الاحتياطات لتحذيري من أنني يجب أن أعلن نفسي كعميل لـ MLN، وليس في السادس.

قلت: "لقد انتهى الأمر الآن، لم أعد أساعد أحداً، وتابع دون أن يمنحني الوقت للرد.

"في هذه الحالة، أنا آسف لأنني أساءت استخدام وقتك، سيد جومارد، سأغادر... لقد قطعني.

- إذا وافقت على مساعدتك، فذلك لأن ريني أخبرني أنك أنت من وجد حبر ووترمان. آه، نحن رقم تم تسخين العقول بحثًا عن تركيبة تغير اللون. حمض اللاكتيك! ومع ذلك، قمت ببعض الكيمياء أيضًا، لكنني لم أكن لأجدها. حمض

اللاكتيك. أنت، كلير، شخص جيد. وبعد ذلك لن ندع هؤلاء الأوغاد يحولون بلادنا إلى مقاطعة جرمانية!

كنت أرغب في البصق في وجهه في الجزء السفلي من فكري وأدير الكعب عن طريق إغلاق الباب، لكنني كنت بحاجة إلى هذا التدريب كثيرًا لدرجة أنه لم يكن لدي خيار آخر.

لحسن الحظ، كان تدريبي في غومارد أسرع مما كان متوقعًا، ويجب أن أقول إنني لم أكن أفعل أي شيء أسوأ.

لم أتخيل أن أكون قادرًا على تخزين الكثير من المعرفة في مثل هذا الوقت القصير، لكنني أعتقد أن كراهية جومارد للأجانب وحيويته المثيرة للاشمئزاز دفعتني إلى تجاوز نفسي حتى أتمكن من الاستغناء عنه في أسرع وقت ممكن. كان يحق للجميع الحصول عليها، اليهود، الإنجليز، الملونين، ولكن بشكل خاص البوش. أتذكر إحدى مناقشاتنا الأخيرة.

- عنصري، أنا ؟ شوووت! بالتأكيد لا. أحب البولنديين عندما يكونون في بولندا، والأتراك عندما يكونون في تركيا.

واليهود، عليهم فقط للعثور على بلد، شوووت! أن يكون بعيد قدر الإمكان.

فكرة أن غومارد، دون أن يدرك ذلك، دافع عن فكرة الصهيونية قد أسعدني. ذات مرة، تناولت مسألة المثليين جنسياً، متسائلاً عما إذا كان غومارد يتخيل لهم بلدًا بعيدًا أيضًا.

- شوووت! عند الجنون! لقد تذمر.

لا، لن أفتقد غومارد.

منذ اجتماعنا، كاشود، من جانبه، لم يترك لي لحظة راحة. كلما فعلت أكثر، سأل أكثر.

حتى أنه ذهب إلى حد المطالبة لي ببطاقات الشرطة. ودائمًا، بالطبع، أجبت بنعم، وأهملت تعبي وصحتي. كان الأداء هو هوسي الوحيد.

كنا في جوان 1944. لقد مرت شهور منذ أن وطأت قدمي في منتصف النهار. الآن بعد أن قمت بتركيب مختبر التقاط الصور الخاص بي في الغرفة في الطابق العلوي من منزلي

الداخلي، كانت رحلاتي الوحيدة هي رحلات العودة اليومية بين شارع جاكوب وشارع القديسين. إذا كنت قد رأيت الصيف يصل، كان ذلك فقط من خلال نافذة المختبر السادس. صيف بدا حارا. كنا جميعًا، نحن الخمسة، محشورين تحت الرق، نعاني من الرائحة الكريهة السامة للمواد الكيميائية.

لذلك لم أكن راضياً، في ذلك اليوم، عن الخروج للعثور إرنست، الذي كان لدي موعد معه. أعطاني فرصة لتنفس الهواء من الخارج تحت أوج الشمس والاستماع إلى حفيف الرياح في الأشجار المورقة شعورًا بالحرية لم أختبره لفترة طويلة. بدا أن باريس تعيش كما لو لم يحدث شيء. كانت الفتيات يركبن الدراجات ويحملن قبعاتهن لمنعه من الطيران بعيدًا.

جاء ضحك الأطفال إلي من زاوية الشارع، حيث كان فئة من الأولاد يلعبون، تحت إشراف شخص مستبيد.

إذا لم يكن ركاب السيارة الرياضية التي كانت تسير بسرعة نحو الأفق يرتدون الزي النازي، لكان من الممكن تصديق شهر جوان العادي للغاية.

سارعت إلى نوتردام حيث كان بالفعل إرنست ينتظرني. من المؤكد أن كاشود لا يزال لديه أحد هذه الطلبات غير العملية لتقديم، بشكل عاجل، بالطبع. لقد رأيت إرنست عدة مرات منذ اللقاء في فندق مونبنسير. اجتماعات التخفي، وقت تبادل الوثائق. ولا يتعلق الأمر بإطالة أمد المناقشات، فقد حان وقت العمل. لكن هذه المرة، لم يتحدث معي عن أوراق مزورة.

قال لي عندما وصلت أمامه: «اتبعني، لدي شيء عاجل لأخبرك به».

نزلنا معًا نسير على طول ضفاف نهر السين.

قال لي: "إنه هناك، الفيلق اليهودي على وشك أن يرى النور. تخيل أدولف، كل تيارات المقاومة اليهودية تقاتل تحت نفس شعار النبالة. أنت، EIF والسادس، نحن MJS و

(الجيش اليهودي). إذا جمعنا بين إمكانياتنا، فسيكون لدينا وزن أكبر.

- نحن جميعًا معًا بالفعل. كلنا نعمل معاً

- نعم، لكنها هذه المرة مسألة اندماج وإظهار أن المقاومة اليهودية موحدة. في الجبهة، ينتظر الرجال فقط حتى تتجمع الإشارة بأوامر من الفيلق اليهودي. الفيلق اليهودي الشهير، إرنست حلم به لفترة طويلة.

كان هو والعديد من الآخرين يفكرون منذ بداية الحرب في إنشاء جيش يجمع كل اليهود المتاحين والراغبين، والذي سيصرخ بوجوده للعالم بأسره أن اليهود يعرفون أيضًا كيف يدافعون عن أنفسهم، يقاتلون، وقبل كل شيء يمكنهم هزيمة.

- أنا على اتصال بوكيل من لندن. وبفضله، تلقينا بالفعل أسلحة، وتابع، وسيظل آخرون يصلون. يريدني أن أذكر مدى شبكتنا، وعدد المقاتلين، وعلينا أن نظهر أننا كثيرون

ومنظمون. ملف معي عنوان المختبر وأسماء أولئك الذين يعملون هناك.

- الأسماء والعناوين، لكن هل أنت مجنون تمامًا ؟ أنا لا أعطي عنوان المختبر، ولا أسماء أي شخص.

«أنت لا تثق، أليس كذلك ؟»

- ثق بنفسك، نعم. طالما أنك لا تضع قوائم.

من هو هذا الرجل الذي زودك بالأسلحة ؟ من أخبرك أنه ليس فخًا ؟

- لا يوجد فخ، كل شيء آمن. تم إرساله إلينا من قبل لندن. لقد مررنا به بالفعل ولم تكن هناك مشاكل.

ما أسمه

- تشارلز بوريل. قم بأبحاثك بنفسك إذا أردت، لكن هل تعتقد بصراحة أن كاشود سيثق بأي شخص ؟

- كاشود يثق به ؟

«منذ أن أخبرتك» لذا ؟

- لا تعتمد علي.

رأيت الجسم العضلي الهيكلي لإرنست يتأرجح. من السخط، ابتعد واتخذ بعض الخطوات العصبية. ضربت الرياح بعنف أجزاء غاباردين، وحتى من الخلف، تميز بغضبه.

عندما التفت إلي، أصبح زرقة عينيه محجوبة بعمق. لقد تحداني، بنظرة لشحذ جيش بأكمله. لكنني، الذي لم يوجه عيني إلى برونر، لن أحاصر إرنست.

«أنت جبان،» ألقى في وجهي، «أنت خائف». الخوف من ضربك.

كان من الواضح أن إرنست كان يأمل في الحصول على رد فعل مني، لكنني لم أترك أي شيء، وليس عنوانًا، وليس القليل من المعلومات، وقد دعمت بشدة نظرته الجليدية، حتى أدار كعبيه وابتعد دون وداع. تبعته بعيني. عندما كانت صورته الظلية على بعد نقطة واحدة فقط، علمت أنني فقدت أحد أعز أصدقائي.

أخذت طريق العودة، الحلق معقود. هل كنت على حق ؟

كانت مشكلة العلاقات مع لندن أنه كان من الصعب التحقق من كل شيء. من تحدث مع من ؟ لم نكن نعرف ذلك أبدًا. ومع ذلك، إذا كان كاشود يثق، فذلك لأن العملية يجب أن تكون آمنة. كنت فريسة لألف شك، وعند عودتي لم يفشل لوتر في ملاحظة ذلك. شرحت له المشكلة.

«لم تقل شيئًا، أتمنى ؟»

- لا، لا شيء على الإطلاق.

- حسنًا، سأتحدث عن هذا في الاجتماع القادم من السادس، وسنرى ما يعتقده الآخرون.

«ولكن ما رأيك في ذلك ؟»

- مثلك. المختبر قبل كل شيء.

عندما ذهب لوتر إلى الاجتماع السادس، لم يكن الوحيد الذي أثار هذه القضية. كان المسؤولون على علم أيضًا.

كان الجميع يتحدث عن قناة توريد الأسلحة الجديدة هذه للفيلق اليهودي. كان من المقرر بالفعل بدء التنظيم. ولكن، في نهاية الاجتماع، تقرر أخيرًا عدم مشاركة الدورة

السادسة، حتى لو كان ذلك يعني المرور في أعين الآخرين لما لم نكن عليه. الجبناء.

في الشهر التالي سمعنا أخبارًا مروعة من دراناسي. كانت القوافل أكثر عددًا من أي وقت مضى.

لقد أذهلتني الأرقام.

وقع الصيف علي مع الكثير من المفاجآت السيئة والألم.

في الوقت نفسه، لم يكن كل شيء يسير كما كنت أتمنى. مع موادي المؤقتة، أعطاني التصوير الكثير من الالتواء. كانت هناك إخفاقات، واضطررت إلى البدء من الصفر دون أن أفقد هدوئي، دون أن أشعر بالإحباط.

في بعض الأحيان لم أستطع التعامل مع الطلب بسبب ضيق الوقت، وتم التضحية بالأسماء في نهاية القائمة. لم أستطع تحمل ذلك. بسبب التعب، كنت أخشى أكثر فأكثر أخطاء عدم الانتباه، أصبحت متوترة ومذعورة. في الخارج، اعتقدت أنني أتابع باستمرار. كان لدي شعور سيء. كنت أذهب عبر عدة كتل قبل الذهاب إلى مختبر السادس، للتأكد من أن هذا

الشخص هناك، أو ذلك الشخص هنا، لم يكن شرطيًا أو جاسوسًا. كان بائع الكتب دائمًا يبدو مظللًا، الجزار والخباز أيضًا. وهذا الزوجان على مقاعد البدلاء، ألم ينظروا في اتجاهي قبل التظاهر بتبادل القبلة ؟ مرة أخرى، في شك، كنت أغير المسارات.

مرهقة! من وجهة نظر صحية، كان رد فعل جسدي سيئًا إلى حد ما على تعاقب الليالي البيضاء ونقص التغذية. لقد صُدمت وأغمي علي كثيرًا.

لكن ما أقلقني قبل كل شيء هو حالة عيني اليمنى، والتي كانت تضايقني بشكل مستمر لبعض الوقت، بما في ذلك في الليل، بحيث استغرق الأمر أكثر من نصف ساعة في الصباح لخلع الجفون دون تمزيق رموشي.

لا يوجد وقت كافٍ لرؤية الطبيب، ومع ذلك كان لدي قناعة حميمة بأن بصري كان يتساقط أكثر فأكثر. صدقني، فقدان العين، بالنسبة للمزوّر، هو أسوأ مأساة.

خلال الأسبوع الأخير من شهر جويلية، وصل لوتر إلى المختبر في كارثة، رسول أخبار من شأنها أن توجه لي ضربة مروعة. كان الجستابو قد اعتقل للتو جميع المسؤولين الرئيسيين المسؤولين عن MJS و BP، ولكن أيضًا بعض الشبكات الهولندية و FTP-MOI. كان من بينهم كاشود وإرنست.

تم الاعتقال في اجتماع تم تنظيمه بمبادرة من العميل المزعوم في لندن الذي زرع الخلاف بيني وبين إرنست قبل شهر. كم كان أنفي جيدًا! بالتضحية بصداقتي من أجل إرنست، كنت على الأقل قد أنقذت مختبر السادس، وجميع الرفاق الآخرين في نفس المناسبة. هذا الرجل الذي قدم نفسه لهم تحت اسم تشارلز بوريل وادعى جهاز المخابرات البريطاني، كان في الواقع ألمانيًا، عميلًا لـ ابوهر[72].

سقط رفاقنا في اللافتة وتم اختيارهم بمجرد وصولهم إلى الموعد. لم أستطع أن اصدقه...

---

72 - Abwehr

كانت الكارثة مضاعفة. من ناحية، تأثرت جميع فروع OJC، باستثناء السادس. هل ستتمكن المنظمة من العمل بدون قادتها الرئيسيين ؟ ربما.

كنا نأمل ذلك. في المجمعات، على أي حال، واصل المقاتلون النضال وكانوا منظمين بشكل جيد ومستقلين بما يكفي للصمود. لكن كم من الوقت ؟

من الناحية النفسية، أدى اعتقال إرنست وخاصة اعتقال كاشود إلى إبادتي. كاشود، كنت أعتقد أنه لا يمكن المساس به.

- اللعنة على كل المعسكر، اذهب للاختباء! أمر لوتر بضجة في الصوت الذي خان محنته.

عندما وجدته شاحباً، استجوبته.

- ألم تعطي عنوان المختبر ؟

«لا، أنت أيضا ؟»

بالطبع لا

- نحن لا نعرف أبدا. من الأفضل ترك ثلاثة أيام تمر، إنه أكثر حكمة.

هرعت إلى حزم بعض الفوط والأوراق والمواد الكيميائية في حقيبة، في حالة اكتشاف المختبر عند عودتي. أما بالنسبة لمواد التقاط الصور المتبقية في منزلي الداخلي، فلم تكن هناك حاجة لاستلامها، وكان من الأفضل عدم الرجوع إلى هناك، لأنه إذا تم اتباعي، سيصبح المكان معروفاً بالضرورة. عند المغادرة، أضاف لوتر، الذي بدا أنه لم يخبرنا بكل شيء، بشكل خطير:

- هذا ليس كل شيء. مات كاشود تحت التعذيب.

كاشود «مات تحت التعذيب».

وصلت إلينا جميع معلومات اعتقالهم بتفصيل كبير. في فريسنيس، كما هو الحال في جميع السجون، كانت للجدران آذان، وكان لشبكاتنا شركاء.

علمت أنهم بخير في اللكمات والركلات، لكنهم عانوا أيضًا من اختبار حوض الاستحمام. من ناحية أخرى، تم تعيين

كاشود رئيسًا لترك وعانى من «أسوأ الإذلال»، وفقًا للشروط الدقيقة التي أبلغتني بها. أوقفت تفاصيل التعذيب الذي تعرض له، وخيالي للقيام بالباقي. «إذلال». هذه الكلمة أخفت ما لا يوصف.

تم إخبارنا بوضوح بالتتمة. عندما سلم الجستابو رفاقنا إلى ابوهر، عاد كاشود لأنه كان في حالة سيئة.

تقريبا ميت في الواقع. لم نتمكن من فعل أي شيء آخر. اهتم الجستابو بإكماله عن طريق تأرجحه فوق منحدر الدرج، تحت عيون الآخرين. تحطم كاشود خمسة طوابق أدناه.

بالنسبة له، انتهت القصة عند هذا الحد، وسأستغرق وقتًا طويلاً للتعافي.

أما الآخرون، فقد كانوا ينتظرون الآن دورهم في سجن فريسنيس، المحبوسين في طابور الإعدام. ظللت على يقين من أنه حتى تحت التعذيب، لم يتحدث أي منهم أو سيتحدث، وأن الشبكات لن يتم تفكيكها.

قلنا قبل المغادرة «هنا، في نفس الساعة، في ثلاثة أيام». والأفضل ألا نفكر في عواقب ثلاثة أيام من عدم نشاط المختبر إذا لم نرغب في العودة مبتلياً بالذنب.

كان لدي بعض الجهير في جيبي للعثور على لوح. وجدت ملجأ في فندق طلابي صغير في شارع تشودي. نظراً لعدم وجود حقيبة سفر لدي، أخذت غرفة لليلة واحدة فقط، والتي خططت لتمديدها بعد ذلك، حتى لا أثار شكوك موظف الاستقبال. لا يجب أن أضع قدمي في المختبر تحت أي ظرف من الظروف، لكن الاتصال بالشبكة لم ينقطع.

لقد وضعنا تقنية بسيطة بما يكفي لمواصلة إجراء الاتصالات. كل يوم في الساعة الحادية عشرة، كان أحد عملائنا عند مفترق طرق أحد الشوارع في الحي. يوم الاثنين، كان أمام السوربون، يوم الثلاثاء، في نوتردام، إلخ.

إذا لم أرغب في شل تسليم الأوراق المزيفة تماماً لمدة ثلاثة أيام، فمن المؤكد أنني لن أفوت الموعد في اليوم التالي. بالكاد تم تثبيتي في غرفتي الجديدة، وأغلقت الستائر وفتحت

حقيبتي الثمينة. وهي يحتوي على بطاقات الهوية الضرورية للغاية، وأوراق التسريح، وبطاقات التغذية، وشهادات الميلاد، وشهادات المعمودية الفارغة. طوابع، أحبار من جميع الألوان. كان كافياً للاستمرار، حتى في الحركة البطيئة.

في اليوم التالي، في جامعة السوربون، كان البطريق ينتظرني. بدا مرتاحًا لرؤيتي. كان يخشى ألا آتي. كان هذا الارتباط مختلفًا عن الآخرين. أخذنا الوقت الكافي للتحدث بإسهاب. كما أثر اعتقالنا بشكل كبير عليه، وكان قلقًا بشأن معنوياتي.

منذ أن كان المجند الخاص بي، وكنت الأصغر سنًا، احتفظ معي بسلوك أبوي ووقائي، كما لو كان يشعر بالمسؤولية، وحتى الآن كان يضمن دائمًا عدم حدوث أي شيء لي. تنهد طويلا قبل أن يأخذ الكلمة.

"اسمع، أعلم أن المختبر مغلق لفترة من الوقت.

لكن إذا لم يكن لدي الأوراق، فلا يمكنني فعل أي شيء.
تعلمون كان لدي مجموعتين من ثلاثين طفلا لجلب في الأسبوع. نحن في القرف.

- لدي أوراقك.
- كيف ؟

«جئت لأعطيهم لك». لقد صنعتهم هذه الليلة.

- مستحيل لا أصدق!

تبادلنا حقائبنا، غادر بحقيبة الوثائق المزورة، وأنا بالفارغة.

بعد ثلاثة أيام، وفي نفس الوقت، صعدت سلم شارع القديسين. من شارع ليشودي، لم يتبعني أحد. ولكن عندما فتحت الباب، كانت سوزي وهيرتا هناك بالفعل، كل واحدة في مكان عملها. لم يتم اكتشاف المختبر، ولكن لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين علينا القيام به.

كنا قد عدنا للتو إلى العمل، عندما ظهر لوتر في الغرفة، ووجهه أبيض أكثر من أي وقت مضى.

- لقد قبضوا على البطريق والأطفال!

في الوقت نفسه، علمنا بوصول مجموعة تسمى «إرهابيون خطرون» إلى درنسي، قادمين من السجون، حيث سارع برونر إلى حبسهم تحت الأرض في المعسكر، تحت مراقبة شديدة وعالية.

وقد أثار وصولهم الإثارة بين المعتقلين، لأن هؤلاء الرجال كانوا مكبلين بالاغلال، وعلى وجوههم الهزيلة تحمل أثار التعذيب. قيل لنا إنهم كانوا في الثلاثين من العمر تقريباً. من يمكن أن يكون هؤلاء الرجال الذين أطلق عليهم (برونر) بالإرهابيين ؟ لم يستغرق الأمر منا وقتًا طويلاً لأخذ فكرة عنهم. وفقًا للأوصاف، كان هؤلاء رفاقنا، إرنست وجميع أولئك الذين كانوا مع كاشود وقت الاعتقال.

- ماذا يفعلون في درانسي ؟

كان من السهل فهم ذلك. كانت قوات الحلفاء تتقدم نحو العاصمة، وكان النازيون في ورطة، لذلك كان برونر متحمسًا. بدلاً من ترك الأمر لإدارة السجن لإطلاق النار عليهم، أراد أن يفعل ذلك بنفسه. إذا هُزم، فلن يعود

إلى ألمانيا خالي الوفاض، ويمكنه أن يعرض على الفوهرر ثلاثين من أكثر أعضاء المقاومة اليهودية نشاطًا. لقد وعد أصدقائي بمصيرهم المأساوي، وسوف ينقلون الى الموت في القافلة المقبلة.

- والبطريق ؟

لقد علمت بعد بضعة أيام أن البطريق استقل قافلة إلى أوشفيتز مع ثلاثين طفلاً كان مسؤولاً عنه. لم يهرب هو ولا الصغار.

الجزء 5

نهاية الحرب العالمية الثانية

في صيف 1945، أي ما يقرب من عام، عادت الحياة مرة أخرى حيث توقفت. لكن الحرب لم تنته بعد، وما زلت أعمل في تزوير الوثائق.

ففي اليوم التالي لتحرير باريس، قبل عام، تطوعت للانضمام إلى الجيش للانضمام إلى مناطق القتال بصفة مسعف. كنت أرغب في مواصلة العمل بطريقة أو بأخرى لإنهاء الحرب، ولكن بدون سلاح.

كانت الأجهزة السرية للجيش الفرنسي تبحث عن مزوّر للسماح لعملائهم، الذين تم انزالهم خلف خطوط العدو، باكتشاف معسكرات الاعتقال السرية والغير معروفة، بما في ذلك تلك التي أجريت فيها التجارب الطبية على البشر، قبل أن يدمر النازيون جميع الأدلة على فظائعهم. كان الناس

قد تحدثوا عني. وإسمي أصبح معروف. ذات يوم، جاء رجلان إلى الثكنة التي تم تعييني فيها. كان المقدم بوميس بارير، رئيس مركز الاتصال والتوثيق (CLD) التابع للمديرية العامة للدراسات والبحوث (DGER)، أو إذا أردت، مصلحة التجسس ومكافحة التجسس للجيش الفرنسي. وكان برفقته القائد ميليت المسؤول عن مهام التجسس.

مباشرة بعد ذلك، توليت مهامي الجديدة في المديرية العامة للدراسات والبحوث. كانت خدمتنا ملحقة بوزارة أسرى الحرب والمبعدين (MPGD)، التي كان وزيرها جنديًا شابًا بالكاد يبلغ ثلاثين عامًا، تبدوا نظرته باردة، إسمه فرانسوا ميتران. انتقلت بين عشية وضحاها إلى رتبة ملازم ثان، جميع النفقات التي يغطيها الجيش، في فندق دوازي، بالقرب من ساحة النجمة في باريس، مع طابق كامل من CLD، وحتى سيارة وسائق. لقد أصبحت مزورًا للدولة، ومكانة جديدة، وربما حتى مهنة في المنظور. كما هو مطلوب بموجب قواعد السرية والاستخبارات، كان علي أن أتصرف تحت هوية

مزدوجة، وقد احتفظت بهوية المقاومة، جوليان أدولف كيلر. مع الجميع، العائلة، الأصدقاء، وقدماء السادس، كنت أتظاهر بأنني عامل مكتب بسيط بالوزارة.

لمدة عام، حتى استسلام قوات المحور وتحرير المعسكرات، قمت بعمل وثائق مزورة ألمانية. مباشرة بعد وصولي تحصلت على نماذج من خرائط الطريق وتذاكر السكك الحديدية وبطاقات الهوية وجوازات السفر والبطاقات العسكرية. كان من الضروري أيضًا عمل أوراق للعمال الأجانب في ألمانيا، للسماح لضباط المخابرات الذين لا يتحدثون الألمانية بالتخلي عن أنفسهم كمتطوعين في STO. من الواضح، نظراً للإلحاح وكمية الأوراق المزيفة التي يجب صنعها، تعرضت لضغوط سريعة. كان دائمًا حساسًا وضروريًا ألا يكون الخطأ قابلاً للكشف. لم أضطر أبدًا إلى صنع بطاقات هوية ألمانية من قبل، وكانت لديهم خصائص جديدة بالنسبة لي. حيث كانت تحتوي على علامات مائية شفافة وغير شفافة. اختلفت صلابة الورق والوزن وتقنيات

التلوين. بالطبع، كان لدي المزيد من الوسائل التقنية، يمكنني شراء معدات عالية الأداء، لكن كان من الضروري إجراء عدد كبير من التجارب، واللجوء دائمًا إلى البراعة.

لقد كنت قد استعدت جميع معداتي من مختبر السادس ومختبر الشارع يعقوب، منزلي الداخلي السابق. على أرضيتي، قمت بتركيب غرفة مظلمة في غرف منفصلة، ورشة لالتقاط الصور، ومطبعة أخرى، ومكتب تعبئة، وغرفة لتغيير اللون، أحدهما لتصنيع الورق، والآخر الذي حكمت فيه آلة الخياطة القديمة "سانجير" الخاصة بي، نفس الذي اعتاد والدي أن يصنع بدلات زبائنه، والتي كنت أستخدمها لقطع الطوابع الضريبية. لقد طبعتها مباشرة على ورق لامع، ولصنع الثقوب، استبدلت إبرة الخياطة بإبرة حقنة بحجم الثقوب بالضبط.

في ذلك الصباح، كانت الساعة الخامسة فقط عندما دخلت أشعة الشمس الأولى غرفتي في فندق دوازي. من النافذة، لدي منظر لسماء عديمة اللون مع سحابة غريبة قليلاً

مهترئة. أرتدي معطفي وأتطلع إلى الخروج. وصل ضباط المخابرات الستة الجدد ليلاً. سيكون لدي الكثير لأفعله في الأيام القليلة المقبلة.

يأخذني سائقي، الذي ينتظرني كل صباح عند سفح الفندق، إلى DGER والحدائق أمام المبنى. الرائد (ميليت) يرحب بي ويفتح الباب للمبنى يبدو وكأنه ممثل أفلام أمريكي، بفكه المربع وشعره الأسود القصير، صمم الخط على الجانب. وظيفته في DGER هي تدريب العملاء على التجسس العسكري قبل إرسالهم إلى ميدان العدو. التدريب البدني والنظري. بصرف النظر عنه، فهو ينام في نفس المكان، فإن مبنى CLD، وهو مبنى من أربعة طوابق يتكون من مكاتب صغيرة مصطفة حول ممر طويل، فارغ تماماً في مثل هذه الساعة الصباحية. أما الطابق الذي أعمل فيه فهو في الأعلى. إنه كل الطابق تحت تصرفي تماماً، باستثناء المساحة الموجودة خلف الباب التي لا تزال مغلقة، والتي لا يحمل المفتاح سوى الرائد مايليت. رافقت مايليت على الدرج

وأدخل معه على الجانب الآخر من الباب. تم ترتيب هذا الجزء كشقة كبيرة بها غرف نوم ومطبخ وحمام.
لا يُسمح لأي شخص الدخول هناك، باستثناء مايليت وأنا، ولا يسمح بالدخول إليه أو الاتصال بالقاطنين فيها.

فضباط المخابرات، الذين اعتادوا النوم بعين واحدة فقط، يظهرون على عتبة غرفهم. مايليت يقدمهم لي واحدا تلو الآخر.

ستة من رجال حرب العصابات الشباب، من ذوي العضلات الجيدة، تم اختيارهم بدقة من بين أفضل ضباط الجيش، الذين أكملوا للتو شهرين من الاستعداد العسكري الشاق في منزل في إحدى الضواحي إلى الموقع السري. سيتم إرسالهم إلى ألمانيا ثلاثة ثم ثلاثة. تتكون كل مجموعة من رئيس للإشراف على العمليات، وراديو وعامل تسلل.

لكي تنجح عملية الإنزال، من الضروري تزويد كل منهم بكل الأدلة التي تدل على وجوده في البلاد. أوراق الهوية، وتصاريح العمل، وإيصالات الإيجار، وتذاكر تسجيل

الوصول إلى المتجر، وبطاقات المكتبة، وتذاكر الحافلات أو السينما، وتذاكر السكك الحديدية لمدينة معينة، في تاريخ كذا، وأدوية وصفة طبية للربو، ورسالة مشفرة قديمة من والدته أو خطيبته، مختومة ومختومة بالخدمة البريدية. كل شيء يمكن للرجل أن يحتفظ به على نفسه والذي، في حالة القبض عليه، يمكن أن ينقذ حياته. هذا يعني، بالطبع، أن كل وثيقة مصنوعة في قطعة واحدة ولم يتبق شيء للصدفة.

أمامي أسبوع لأخترع للجميع ماضياً جديدًا ذا مصداقية ولأقدم دليلًا عليه، مع التأكد قبل كل شيء من أن غلافهم سهل الاستيعاب بالنسبة لهم، أو الاختلاط قليلاً بالكاذب أو الاعتماد على تجربتهم لبناء قصة أخرى. ساعات طويلة من الصيانة ضرورية حتى قبل التصنيع. في ذلك اليوم، أنا محظوظ. اثنان منهم من الألزاسيين، ويتحدثون الألمانية بطلاقة ويعرفون حتى المناطق التي سيهبطون فيها بالمظلات. بالنسبة للآخرين، الأمر أكثر تعقيدًا، لأنه يجب إعادة اختراع كل شيء.

تستمر الاجتماعات والمقابلات دون توقف طوال هذا اليوم الضيق. هذا هو الحال في كل مرة يمر فيها عملاء جدد عبر CLD قبل القفزة الكبيرة. هناك الكثير لنفعله حتى لا نرى الوقت يمر، ننسى أن نأكل. بالفعل، يحل الليل، وعاد الجميع إلى المنزل عندما أغادر المكان. يتم تنظيم اجتماع خاص الليلة، وأتطلع إلى الذهاب إليه. لقاء مع جميع الرفاق السابقين للمقاومة لم يترك لي عملي حتى الآن سوى القليل من الراحة لدرجة أنني، في الغالب، لم أرهم مرة أخرى. ولكن هذه الليلة كنا كثيرون، حوالي الثلاثين، في هذا المقصف الصغير الرخيص في شارع كلود برنارد. أجد أولئك من السادس، جيراف، أكريبيرج، هيرون، أوتر، نينوفار، سوزي، هيرتا، رينيه بولسكي، نائب كاشود. من الجيد رؤية بعضنا البعض مرة أخرى. ترحب بي نينوفار بحرارة، وتقدم لي كأسًا من النبيذ وتخبرني عن دراسات الكيمياء التي قررت مواصلتها. كلانا يناقش للحظة، عندما فجأة، في خضم الصخب والصخب العام، أتعرف على ضحكة،

مألوفة جدًا، ترتفع من مؤخرة الغرفة. والنظر إليه، من أنا بجانبه ؟ نظرة شابة وطويلة وأشقر وأنابيب منقار وفولاذية. لا داعي لتقديم العروض التقديمية، فقد كان إرنست أبنزيلر، برفقة هنري بوهوريليس وجاك لازاروس، الذين كانوا جميعًا جزءًا من قافلة برونر الأخيرة! على الفور، لا أفهم أي شيء عن ذلك. كرد فعل أول، أتساءل عما إذا كان النبيذ غير مسدود. أعتقد أنني أرى الناس يعودون، الأشباح، إنه جنون! هل لدي رؤى ؟ هل أنا أوهم ؟
هل هي العاطفة، أم ربما صدمة ما بعد الصدمة الشهيرة التي يتحدث عنها الجميع ؟ والآخرون، هل يرون مثلي ؟

في غرفة المطعم، لا أحد يبدو مندهشًا، الجميع يضحك ويشرب ويدخن ويتحدث بصوت عالٍ. أفسح المجال للوصول إليهم، وبين رشقتين من الضحك وبعض الأشرطة في الخلف، أخبروني عن هروبهم.
باستخدام بعض الأدوات، تمكنوا من قطع قضبان نافذة العربة. وبما أن القطار، الذي توقف باستمرار بسبب تخريب

المقاومة على الخط، لم يتقدم إلا إلى سان كوينتين[73] في أربعة أيام، في إحدى الليالي كان بعضهم يفر ويصل إلى العاصمة مع بضع جروح قليلة وجوع في المعدة. لم أر إرنست منذ اليوم الذي رفضت فيه إعطائها عنوان المختبر السادس، لكن هذا الحادث الذي وقع وقتها بيننا قد انتهى. هو الذي اقترب من الموت في كثير من الأحيان، هرب مرة أخرى من مخالب برونر. إنه حي، هذا هو المهم اليوم. وكما ستفهمي لاحقًا، لا يزال لدينا، أنا وإرنست، بعض المهام لإنجازها معًا، من أجل معركة أخرى.

لكن دعونا نترك إرنست جانبًا ونسكن للحظة بيير موشينيك، المدعو «بييرو»، والذي التقيت به لأول مرة خلال هذا المساء. كان بييرو، البالغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، عضوًا سابقًا في الجيش اليهودي، بعد رحيل موريس كاشود، تولى مسؤولية المختبر بسبب أوراق مزورة في نيس. خلال الحرب، منعتنا المسافة بين باريس ونيس من رؤية

73 - Saint-Quentin

بعضنا البعض، لكننا غالبًا ما نتراسل بالحبر السري الودود. كان أشقر بعيون زرقاء بدا دائمًا مرتاحًا جدًا. كان لديه فن تأليف جمل جميلة، والحماس الموحد، وقبل كل شيء، هذه الطريقة الخاصة لمخاطبة الحشد من خلال النظر في أعين الجميع، حتى يشعر الجميع بأنهم معنيين. لقد تعامل ببراعة مع فن التنفس والصمت، وعرف كيف يجعل التشويق يدوم. دائمًا يحكي نكتة أو مزحة، أو حكاية، أو قصة أو تُروى وكأنها تخرج من قبعته. علاوة على ذلك، كان سحره مدمرًا مع النساء. لكنه، قبل كل شيء، كان إنسانيًا. كان لديه تعاطفي منذ أول تبادل للكلمات. جاء إلي وأصر على معرفة ما كنت أفعله منذ التحرير. بالطبع، أعطيته الرواية الرسمية لأنشطتي: ملازم في الجيش. بدا الأمر محبطًا لأنني لم أكن متاحًا، وسأشرح السبب قريبًا.

بعد أسبوع، كان مقر DGER يغلي. لقد عرفنا للتو استسلام قوات المحور. تم إلغاء رحيل العملاء الذين احتفظنا بهم في مكان سري، وتوقف إنتاجي للأوراق المزورة الألمانية

فجأة. كنت قد بدأت في إتلاف الوثائق عندما جاء رئيسي، العقيد بوميس بارير، للتحدث معي عن حالة طوارئ جديدة. لم تعد مسألة أوراق مزورة، بل مسألة رسم خرائط شاقة للهند الصينية بهدف الاستيلاء المحتمل من قبل قوة الحكم الفرنسي للمستعمرة. لقد أطيعت دون تردد، كان الأمر أمرًا. ولكن عندما تجمعت البطاقات تحت عدسة التكاثر الخاصة بي، كان لدي شعور عميق بالخلاف مع نفسي. لم أعد أشعر بمكاني. لم يكن التجسس العسكري في وقت السلم يهمني، وأخذني احتمال المشاركة في الحرب الاستعمارية القادمة إلى قلبي وأرعبني. لم أقرر أبدًا أن أكون مزيفًا. الجيش، أقل من ذلك بكثير.

ما فعلته في الماضي هو أنه كان علي ذلك، ولم يكن لدي خيار آخر. كنت أعلم أنه بعد رسم الخرائط سيُطلب مني إعداد أوراق كاذبة لحرب لا شرعية لها في نظري والتي، مثل أي حرب، ستوقع ضحايا أبرياء. لن أكون قادرًا على إطاعة الأوامر التي ستتبع، ليس لأن العمل في حد ذاته

أزعجني، ولكن لأن أخلاقياتي منعتني: إذا كان تمرد الهند الصينية سيحدث، ألا يجب أن أقارنه بما كانت عليه المقاومة للفرنسيين ؟

لم يكن المصطلح موجودًا في ذلك الوقت، لكنني كنت مناهضًا للاستعمار بشدة. في اليوم التالي، قررت، على الرغم من عناد رؤسائي على البقاء معهم، قررت أن أستقيل.

بالكاد تم إبلاغ بييرو بإستقالتي حتى بدأ يبحث عني في كل مكان. كان لوتر هو من وجدني بعد بضعة أسابيع. عشت كرجل بائس في حي فقير صغير في شارع دي تشارينتون، بدون ماء و كهرباء، وحاولت إعادة دمجي قدر المستطاع من خلال تنفيذ أعمال تصوير صغيرة.

رأيت بييرو مرة، ثم اثنان، ثم ثلاثة. كان في كل مرة متحمسًا جدًا، ونفاد صبره أكثر فأكثر، وكأنه بطارية كهرباء حقيقية...

عندما ناشدني بييرو وأوضح لي أن عمل مجموعته كان يهدف إلى السماح للناجين من المعسكرات النازية بالهجرة

بشكل غير قانوني إلى فلسطين، رفضت أولاً. على الرغم من أنه استخدم كل الحجج، وأخبرني أنه سيصبح عدة مئات من الآلاف من الناس، إلا أنني بقيت على رأيي. رفضت استئناف الأنشطة غير القانونية الآن بعد انتهاء الحرب.

- ما الذي جعلك تغير رأيك ؟

- لإزالة قناعتي، أخذني بييرو مع IG إلى معسكرات اللاجئين في ألمانيا. كان ذلك في يناير 1946. كنا أربعة على متن الجيب. لقد عبرنا الحدود الألمانية لأكثر من ساعة عندما خصص أحدهم معسكرًا ضخمًا من الطوب في المسافة، والذي وضع خلفه مجموعة من الثكنات المنخفضة والمستطيلة، أقيمت في منتصف حقل بمظهر موحل.

وفجأة رأيتهم، على الجانب الآخر من الأسلاك الشائكة، يرتدون أزياء مخططة من السجناء. كان هناك مئات الأشخاص يقتربون منا ببطء ويستجوبوننا من خلال نظراتهم البائسة. كنت أعرف ما يمكن توقعه عندما قبلت هذه الرحلة وقد أعددت نفسي لها، ولكن أمام سحابة الأزياء

السوداء والبيضاء التي في غضون بضع دقائق اجتمعت على طول الأسلاك الشائكة، فوجئت للحظة أريد التخلي عن الخروج من السيارة.

يمكنني التحدث إلى أحدهم، الذي كان يتحدث الفرنسية بطلاقة. كان بولنديًا، مدرسًا سابقًا للغة الفرنسية. حذرني من أنه لن تطأ قدمه بلاده أبدًا ما لم يمت. ألقى الجميع نفس الخطاب. لقد خانتهم حكومات بلدانهم، وستذكرهم الأراضي الأوروبية دائمًا بالفظائع التي تعرضوا لها. لا شيء يمكن أن يكسر عزمهم، حتى لو كان ذلك يعني البقاء في هذه المعسكرات في الإنتظار أو التعفن لسنوات إذا كان ذلك ضروريًا، للحصول أخيرًا على تأشيرة دخول لفلسطين. وهنا، أقيم تضامن معين. أعادت العائلات إنشاء نفسها - لقد ولد الأطفال، والبالغون تبنوا أطفالًا ليسوا أطفالهم - ولم يفصل أي شيء، باستثناء الموت، وكرروا القطب من خلال إلقاء نظرة مؤثرة على امرأة تجلس مع طفلها، والتي فهمت أنها أصبحت عائلتها الجديدة.

وأكثر ما صدمني خلال هذه الرحلة القصيرة هو اكتشاف اثناء العودة، الأطفال المتوحشة التي تتجول بالقرب من المعسكرات.

في البداية، تم الاتفاق على أن يأخذني IG لرؤية العديد من معسكرات النازحين حولها، لكن واحدًا فقط كان كافياً، وفي الليل، طلبت العودة مباشرة إلى باريس. فجأة، عند منعطف، ظهرت صور ظلية دقيقة مزروعة في منتصف الطريق. على الأقل خمسة عشر شخص، بدا أنهم يريدون منع مرورنا. عندما اقتربنا، أدركت، في ضوء المنارات، أنهم أطفال مسلحون بالعصي. لم يكن عمرهم أربعة عشر عامًا. كان البعض صغيرًا جدًا، ربما في السادسة أو السابعة من العمر. أطفأ السائق مصابيحه الأمامية، ووخفض سرعته، لكنه لم يتوقف. لم أفهم على الفور سبب سحب IG لأسلحتهم ووجهتهم نحو الأطفال، الذين انطووا بشكل غير قانوني على الجانبين، دون ترك أي خوف يظهر. لم يتركوا لنا سوى ممر ضيق للمناورة، وبينما كنت أقوم بمعرفة هذه

الوجوه، ضرب أحدهم قبضته بعنف على نافذتي من خلال الصراخ بشيء غير مفهوم ونظرة طفل أخافتني وفيها الكثير من الكراهية والغضب. لم يكن أمام السائق خيار ثاني سوى الإسراع في إخراج السيارة من هذا الحشد، التي كانت محاطة مرة أخرى، معرضة لخطر إصابة القليل منهم. بالكاد مررنا تجمعوا الأطفال علينا من الخلف وهم يرشقوننا بالحجارة والعصي، بينما كانت سيارة الجيب تغرق في الليل. أوضح لي أحد IG أن هؤلاء كانوا أطفالًا على قيد الحياة كانوا يتجولون في معسكرات الاعتقال التي تم إطلاق سراحهم منها، وتم تنظيمهم في عصابات خارجة عن القانون، ويهاجمون المزارع والمنازل للعثور على الطعام وترويع السكان المحيطين. مات آباؤهم على يد النازيين، وتركوا لأجهزتهم الخاصة، وأظهروا عنفًا نادرًا ضد البالغين، الذين اعتبروهم جميعًا أعداء. الطريق الذي انخرطنا فيه سار بالقرب من مخيم للاجئين الأيتام. هناك وضعهم الآلاف بالقوة.

عندما وصل المحررون، تم العثور على معظمهم في منتصف الجثث ، كان عليهم أن يتعاملوا مع البقاء على قيد الحياة أحيانًا لعدة أشهر، ولم يعودوا يثقون شخصياً. على مدى عشرات الكيلومترات، بينما واصلنا طريقنا، رأينا شرائط أخرى تأتي من الخنادق أثناء مرور الجيب.

أعادت هذه الرحلة إحياء صدمة التحرير في داخلي. فقط عندما تم طرد المحتل من المنطقة، عانيت من خيبة أملي الكبيرة الأولى. لقد حلمت بالنصر، لقد تشبثت بهذا الأمل بكل قوتي، وكان لدي السذاجة للاعتقاد بأنه سيؤدي في أعقابه إلى نهاية ازدراء السكان، نهاية العنصرية. تركني عدد اللاجئين الذين لم يكن لدى أحد حل لهم في حيرة ورعب. كانت فلسطين لا تزال تحت الانتداب البريطاني وقدمت إنجلترا الكتاب الأبيض، الذي سمح بالهجرة هناك فقط في انخفاض، بينما وصلت طلبات التأشيرة إلى أرقام قياسية، مئات الآلاف. واستمر الوضع. تم حظر كل شيء. شعرت بتعاطف قوي مع أولئك الناجين الذين لم يكن أحد يريدهم،

وأولئك الأطفال الذين لم يعودوا يؤمنون بأي شيء والذين يجب أن يتصالحوا مع العالم، أولئك الرجال والنساء الذين أرادوا العثور على أرض بعيدة لإعادة بناء أنفسهم، محميين من الاضطهاد. لمرة واحدة، أرادوا أن يكونوا سادة مصيرهم. أرادوا الهجرة إلى فلسطين. أنا شخصياً، بغض النظر عن مكان وجودي، لم أكن صهيونيًا. لكنني دافعت بقوة عن فكرة أن كل فرد، خاصة إذا تم مطاردته وكانت حياته في خطر، يمكنه التمتع بالحق في التنقل بحرية، وعبور الحدود، واختيار وجهة منفاه. بمجرد عودتي إلى باريس، التقطت الهاتف واتصلت برقم بييرو، الذي كنت أعرف أنه ينتظر مكالمتي بفارغ الصبر.

الجزء 6

مزور الوثائق لليهود

لقد نزل الظلام لفترة. نحن الأن في أكتوبر 1947. غطيت نوافذ الغرفة بورق أسود قاتم حتى لا يتم إكتشافي من طرف الجيران الفضوليون، لأن ضوء الغرفة لا ينطفي أبداً. الحذر الدائم واجب.

كانت طلبات إرنست جاهزةً منذ فترة طويلة. بالنسبة له واثنين من رجاله، جوازات السفر ورخص القيادة والبطاقات المصاحبة للمجموعات السياحية. من ناحية أخرى، أعلم مسبقًا أنني سأجد صعوبة في الاكتفاء بنتيجة التأشيرة الجماعية من البرازيل التي طالب بها السيد بول، هذا الختم الكبير الذي سيتم استخدامه لنقل 300 شخص إلى فلسطين. لدي مشكلة مع النموذج الذي أعطي لي. تم سحق

أحرف الطباعة جدًا من جانب واحد وتحدث الحبر تاركًا البقع. هل يحتوي الختم الأصلي عن عمد على نخاخ وأخطاء في التصنيع ؟ هل يجب أن أصحح الأمر أم لا ؟ إذا كان لدي على الأقل نموذجان مختلفان في حوزتي، كما أطلب دائمًا، يمكنني مقارنتهما، ومعرفة مكان إجراء بعض التعديلات. بعد تحليل المجهر الطويل، ليس لدي خيار سوى الاستقراء. قررت تقليل بقع الحبر دون إزالتها، وبالكاد أصحح الحروف المسحوقة. ألتقط صورة للنموذج، ثم التقاط الصور في راحة أقوم بتشكيلها بالمطاط عن طريق تسخينها للحصول على اختبار سلبي للحاجز. بشكل عام، لتسخين الفوط العادية، أستخدم الفولكانيزر[74] الذي تم شراؤه تجاريًا، والذي يستخدم لإصلاح غرف هواء الدراجات، ولكن في هذه الحالة، للحصول على تأشيرة أكبر بكثير، أستخدم طريقتي القديمة الجيدة: المفارقة. لطالما كان بحوزتي أحدث نماذج الحديد، دون أن أقوم بكي القميص.

---

74 - vulcanisateur

لقد اشتريت للتو واحدة من أوائل المكواة الكهربائية لربة المنزل، بدون منظم حرارة، لكنني معتاد جدًا على ذلك لدرجة أنني اضطررت فقط إلى الاقتراب من الحديد على بعد بضعة سنتيمترات من خدي لتقدير الحرارة، إلى درجة واحدة. من خلال التبريد، يصبح المخزن المؤقت السالب صعبًا مرة أخرى، ويمكنني أن أجعل الموجب. ثم قمت بتحليل حبر الأصل قبل خلط ألواني للحصول على نفس الشيء تمامًا، وهو نوع أحمر من الحشرات. بالنسبة للون، لا أواجه أي صعوبة خاصة، ولكن بعد التحقق من الضوء الاصطناعي والأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء، أجد حيلتين تهدف إلى منع التزوير: يحتوي الحبر على مادة تعطي مزيدًا من اللمعان، ومادة فوسفورية تظهر فقط للأشعة فوق البنفسجية. لحسن الحظ، من أجل التألق، لدي خبرة في عملي عند المقاومة و DGER، وأنا أعلم أنني سأتمكن من إعادة تشكيلها من خلال دمج الصمغ العربي، ولكن لا يزال يتعين إجراء عدد من الاختبارات للعثور على الجرعة المناسبة.

أما بالنسبة لفسفرة الحبر، فهناك بعضها يتم الكشف عنه أو لا يتم الكشف عنه وفقًا لسرعة الضوء، وهنا مرة أخرى من الضروري البحث عن الاختبار والتفكير فيه. وبعد عدة ساعات، يمكنني أخيرًا تقدير النتيجة ومقارنة الحاجزين. لقد قللت من البقع وسحقت الرسائل، لكنني لست راضيًا عن طابعي الكاذب. إنه الآن حاد جدًا ومثالي جدًا مقارنة بالأصل لدرجة يصعب تصديقها. في شك، من الأفضل أن نبدأ من جديد.

- لمن كنت تعمل بالضبط ؟

- كنت الآن أخدم Aliyah Beth[75] ، شبكة الهجرة السرية للناجين من معسكرات النازية الى فلسطين. عملت مع معظم أولئك الذين شكلوا شبكة نيس، والذين أصبحوا الآن مقاومين في هاغانا فرنسا. وكما هو الحال دائمًا، وكالعادة كان

75- عليا، وهو مصطلح عبري للهجرة إلى الأرض المقدسة. بيث، الحرف «B» من الأبجدية، يعبر عن الطبيعة السرية لتنظيم هذه الهجرة.

دائمًا ينتظر مني المعجزات، وطلب المزيد، والتي لا يستطيع القيام بها رجل واحد.

عند عودتي من ألمانيا، في فندق خاص في شارع كليبر بدا وكأنه سفارة حكومية سرية، عرّفني بييرو على أبراهام بولونسكي، وقال «السيد بول»، مبتكر الجيش اليهودي، الذي أقسمت كل مجموعة المنطقة الجنوبية أمامه. كان رجلاً صغيرًا، لكنه فرض نفسه من خلال مكانته وموقفه كقائد. أكسبته سلطته كأمير حرب لقب «نابليون الصغير».

كانت هناك خلافات سياسية كبيرة داخل المنظمة، ولكن لأننا كنا نسعى لتحقيق نفس الهدف، علينا أن نترك خلافاتنا الحزبية لتوحيد قوانا. ومع ذلك، كان أقرب أصدقائي مثلي من الاتجاه الروسي قبل الحرب: الماركسي، المدافع عن فكرة العمل الجماعي والكيبوتس. كان لدينا كل دوافعنا للمشاركة في هذه الهجرة غير الشرعية. لقد اختلفوا من واحد لآخر. بالنسبة لبييرو، على سبيل المثال، كان

مستقبل الشباب هو الأكثر أهمية. أراد مساعدتهم على إعادة الاندماج. ولذلك اقترن عمله بإنشاء مزارع مدرسية للشباب ولم شمل الأسر المفككة. كان هناك دائمًا في نهجه الذي أصبح فيما بعد مهنة. واسترشد آخرون، مثل السيد بول ونائبه، بفكرة إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، كما ورد بالفعل في وعد بلفور، وهو حلم تشبث به جميع الصهاينة. ثم كان هناك من كان مساعدة الناجين على الذهاب إلى فلسطين هو الاستمرار المنطقي للمقاومة. لقد أدوا اليمين الدستورية. أرادت الغالبية العظمى منهم العيش هناك بمجرد أن تسمح النتيجة السياسية بذلك. ولكن، فيما يتعلق بي، كانت حرية تنقل الشعوب على المحك قبل كل شيء. ربما بسبب طفولتي، أو بسبب ميراث عائلتي، سنوات من المنفى القسري الذي عانى منه والداي. ثم احتفظت بهذه الذكرى المؤلمة لمحاولتنا الأولى للهجرة إلى فرنسا. كان عمري آنذاك خمس سنوات فقط. بعد شهر من القارب من بوينس آيرس

إلى مرسيليا، طُردنا بعد أيام قليلة من وصولنا وأجبرنا على اللجوء إلى تركيا، على أمل الحصول على تصاريح.

كان الانتظار طويلاً، عامين اضطررنا خلالهما إلى النجاة من بؤس خانق. وكانت ولادة أختي الصغيرة عقبة أخرى في جهودنا الإدارية. نظرًا لأنها لم تولد في الأرجنتين، رفضت الحكومة الأرجنتينية جنسيتها. أما بالنسبة للسلطات التركية، فقد عارضت تجنيسها لأنها لم «يتُصور» في تركيا. كان هناك فراغ قانوني حولها منع عودتنا إلى فرنسا. هنا، فهمت حقًا معنى كلمة «أوراق»، هذه الوثيقة التي لا غنى عنها للقدرة على التوزيع القانوني من دولة إلى أخرى، والتي، بالنسبة لعائلة مثل عائلتي، تتجول من المنفى إلى المنفى لعقود، ثبت أنها معقدة بشكل خاص للحصول عليها. إذا حاولت أن أخبركم بقصص طفولتي هذه، فذلك لأنه في تركيا، أدركت شيئين أساسيين، اللذان حكما فيما بعد وشرطا معظم أعمال المقاومة في حياتي. الأول هو قوة المال والظلم الذي يولده، والثاني هو أنه بدون أوراق يحكم على المرء بالجمود.

دعونا نعود إلى حيث كنا. داخل الهاغانا، أصبح السيد بول، نائبه، بييرو، أو إرنست، الذي كان دائمًا يتعامل مع المهام الخطرة، الآن جهات اتصالي. كانت مهمة معظم ضباط الشبكة هي تنسيق عمليات الهروب من المعسكرات، حتى الصعود إلى الموانئ. كانت المعسكرات في ألمانيا والنمسا وبولندا. لا يتم إفراغ المخيم في وقت واحد. كان من الضروري إرسال المشردين بمجموعات مكونة من ثلاثين شخصاً ، في شاحنات القماش المشمع، لأخذ القليل من كل معسكر للحصول على رقم إجمالي يتراوح بين خمسمائة إلى ثمانمائة ناجٍ بالقوارب. تم تسلل لجان علياء سرا إلى المعسكرات، وعملت مع خدمة إجلاء الأطفال والأسر ولم شملهم (SERE)، وهي وكالة متفق عليها توفر تغطية حكومية رسمية. وبالنسبة للهاربين، كان علي تقديم تأشيرات جماعية مزيفة. يمكن استخدام تأشيرة سياحية واحدة لـ 30 إلى 50 شخصًا، وأحيانًا حتى 100، اعتمادًا على الحالة.

تختلف جنسية الأوراق حسب اللغة التي تتحدث بها مجموعة الناجين. وقوائم الأسماء التي أنشأت عليها التأشيرة تم اختراعها، وهمية تمامًا. عرف كل شخص في المجموعة اسمه المستعار في اللحظة الأخيرة، عند المغادرة.

كان الأمر معقدًا للغاية. لا يزال الكتاب الأبيض يحظر جميع الهجرات، وكان من الضروري للغاية ألا تثير قواربنا شكوك جهاز المخابرات البريطاني، ولهذا السبب كان على تحركات المهاجرين أن تتخذ شكل معسكرات عطلات أو جولات جماعية للبالغين. لم تكن الوجهة النهائية على الوثائق أبدًا. وبما أنه كان من الممكن رصد القوافل بشكل منهجي إذا كان لها جميعًا نفس الأصل، كان لدي أيضًا مجموعة كاملة من الأوراق لإنتاجها، مثل تذاكر السكك الحديدية أو الطوابع الجمركية من بلدان مختلفة.

ومن الضروري أيضا توفير وثائق مزورة لجميع المرافقين والمسؤولين عن الهروب من أوروبا. بالنسبة لهم، أنتجت كل شيء، وتصاريح القيادة، وجوازات السفر، والتأشيرات،

لأنهم نقلوا اللاجئين بالشاحنات واضطروا إلى عبور الحدود. كان هناك أيضًا، بالطبع، أفراد طاقم السفن، ناهيك عن تراخيص الرسو في الموانئ حيث قاموا بتحميل حمولتهم البشرية. في معظم الحالات، كان المسافرون يصعدون رسمياً إلى بلد في أمريكا اللاتينية ولم يتم تحويل المسار إلى الساحل الفلسطيني إلا عندما الإبحار.

لكنني علمت أن عددًا قليلاً جدًا من القوارب تصل إلى الميناء الذي هي متجهة اليه. فبمجرد وصولهم إلى المياه الإقليمية البريطانية لفلسطين، تمنع السفن الحربية البريطانية مرورهم وفي الغالب ترافقهم إلى مواني قبرص، حيث تم إيقاف المهاجرين غير الشرعيين مرة أخرى في مخيمات المشردين، في انتظار التأشيرات التي لم تأت. لكن قبرص كانت بالفعل نصف انتصار: لم تعد ألمانيا أو بولندا، وكان الناجون يقتربون من الوجهة النهائية.

من خلال دمج المنظمة، تعرضت للإعاقة في عملي بسبب الظروف غير المستقرة في منزلي، شارع تشارينتون.

حيث تم تزويدي بغرفة جديدة، في 2 شارع ديكوس، بالقرب من البانثيون، حيث قمت على الفور بتركيب جميع معداتي، كما هو الحال في السادس والأجهزة السرية، مع تحسين بعض الأجزاء المستردة من المختبرات السابقة في المقاومة.

لدي الآن غرفة نظيفة كبيرة تحت تصرفي، أعيد طلاؤها بالكامل باللون الأبيض، وقبل كل شيء، مجهزة بالماء والغاز والكهرباء. كان هناك قسم مالي يمكنه استرداد الأموال للتعامل مع حالات الطوارئ، ولم أكن أعرف بالضبط كيف، ولم يكن ذلك من شأني. لطالما كرهت قصص المال. أعلم فقط أن بييرو قد أنشأ شركتين للاستيراد والتصدير كانتا بمثابة غطاء، مما سمح للمنظمة بتزويدي براتب صغير للتعويض عن التكاليف الفنية، ولكن أيضًا حتى أتمكن من إطعام نفسي في مطاعم رخيصة، لأنني كنت الوحيد الذي لا يحق له الحصول على تذاكر طعام.

على الرغم من أنه قد يبدو لك غير معقول، بعد كل ما فعلته، خاصة بالنسبة للجيش، كنت مرة أخرى في سرية، وبالتالي يدفع لي نقدًا، ولم أكن مسجلاً في أي سجل. بعد أن غادرت المخابرات، اتخذت خطوات للحصول على أوراقي. كل ما كان لدي هو خريطة عسكرية قديمة وإيصال محافظة يعود تاريخه إلى عام 1942 بختم كبير «يهودي». في مركز الشرطة، لم يعد معتادين على رؤية هذا النوع من الوثائق. لقد حدث التحرير قبل أكثر من عام، وكان الجميع مشغولين بتحديث وضعهم لفترة طويلة.

ليست أنا. المفتش الذي استقبلني وجدني مشبوهاً ". أنت مهاجر بدون وثائق، كما يقول، إذا كنت لا تستطيع أن ترينا أوراقك الأرجنتينية خلال الشهر. "

أخيرًا، كان بإمكاني الحصول على أوراقي الأرجنتينية، ولكن بالنسبة لتصريح الإقامة، كان علي إثبات عمل ثابت، لكن لم يكن لدي عمل. تم وضع ختم خدمة الطرد على أوراقي واضطررت إلى العودة بعد خمسة عشر يومًا مع جميع الأدلة

والوثائق المطلوبة، وإلا كان أخذ القارب متجهًا إلى الأرجنتين.

أعادني هذا الختم البسيط إلى جميع الأوراق المعقدة التي كان على والديّ يقديمها بانتظام للسلطات لتجديد تصاريح إقامتنا عندما كنت طفلاً، دائمًا مع الخوف من الترحيل مرة أخرى والاضطرار إلى العودة إلى المنفى.

في ذلك الوقت، كل هذه المبررات، هذه الأدلة، طلبات المواعيد النهائية، وجدتها مرهقة. لكن هذه المرة اعتبرت التهديد بالطرد بمثابة إذلال. كنت غاضباً لأن الإدارة لديها القدرة على إخراجي من المنطقة، عندما عملت من أجل تحرير ومجد بلد اعتقدت أن لدي مكانًا فيه.

أيضًا، عندما انضممت إلى علياء بيث، كانت أول ورقة مزيفة صنعتها مخصصة لي، كما كان الحال عندما انضممت إلى السادس، كما في DGER، كطقوس. لم يكن استئناف عملي المزيف قرارًا سهلاً. تذكرت أول تزوير لي.

كانت صحة عملي آنذاك لا جدال فيها. وتجاوز القانون أمر ضروري. لكن ألم أتحول إلى عدم شرعية دون العودة ؟

كنت متأكد دائمًا من أن معرفتي وتقنياتي لا تخدم سوى القضايا المشروعة. لطالما كنت حريصًا على عدم المساومة على إحساسي بالأخلاق والشرف.

لكنني عندما كنت خارج القانون مرة أخرى، وكنت أتساءل عما إذا كنت قد أدركت أنه بحلول الوقت الذي أدركت فيه أول تزوير لي، لم أكن قد وقعت في العتاد الذي سأواجه صعوبة في التخلص منه طوال حياتي.

في ذلك اليوم وصل إرنست إلى المختبر في الصباح الباكر لالتقاط أوراقه، حاملاً معه حقيبة ضخمة وحقيبة كبيرة من القماش تحتوي على أسلحة. مدفع رشاش، مدفع رشاش من طراز Sten، مسدس، الكثير من الخراطيش، محملات Sten، بلاستيك وصواعق، والتي أرادني أن أستمر في الانتظار. في انتظار ماذا ؟ لم أكن أعرف. احتفظ إرنست بغطرسته من سنوات الحرب. كان عمله دائمًا ذا كفاءة

رهيبة، ولا يمكن لأحد أن يشك في ولائه الشديد، لكنه ظل غير متوقع.

من المستحيل معرفة الضربة التي كان يحضر لها، وبدا دائمًا أنه يستعد للعديد في كل مرة. لقد اعتدنا أنا وهو على عدم طرح أسئلة حول مهامنا. لم أحتج على الحقيبة. لم أغمض عيني على الليل وأنهيت أخيرًا أحجية التأشيرة البرازيلية، كنت في عجلة من أمري لتناول الإفطار قبل تسليم السيد بول.

ذهبنا إلى مقهى وأكلنا ترتينا، وبعدها رافقني إلى مكاتب الهاغانا. استقبلنا بول بشكل منفصل وأعطى كل واحد تعليماتنا الجديدة.

غادرت مع تأشيرة مدغشقر، وأوراق لرئيس القبطان، وتذاكر الصعود لليوم التالي. ليس وقت التهدئة. وهكذا كان منذ فشل الخروج. كان الخروج انقلابًا للقوة نظمته الهاغانا من أجل علياء بيت. سفينة أمريكية تحمل ناجين، لم تعد بالمئات، بل بالآلاف، لأول مرة. وهناك عدد قياسي من

الناجين بلغ خمسة آلاف شخص وصلوا بصورة غير مشروعة إلى فرنسا، وقد شرعوا هناك من بور - دو - بوك، في جنوب فرنسا، مصممين على فرض الحصار بأي ثمن وعدم قبول أي انحراف عن قبرص.

عندما علمنا أن الخروج قد فشل، وأنه سيتم إعادة الركاب قسراً إلى سجن بالسفن الإنجليزية، عند نقطة انطلاقهم، هرع جميع أعضاء المنظمة برفقة العديد من المتعاطفين إلى بلدة بورت دو بوك الصغيرة الهادئة.وكنت معهم. كان صيفًا حارًا. كان الجو حارًا. كانت المدينة، المكتظة فجأة، تعمل بحركة بطيئة. ملأنا الشواطئ والأزقة، ووجدنا في كل مفترق طرق أصدقاء، رفاق EIF. من بعيد، شاهدنا وصول القوارب. كان الصحفيون يستثمرون في الميناء. الشرطة أيضا.

كنا ننتظر جميعًا. تبعت الأيام وشبهت بعضها البعض. الشاطئ، المظاهرات، المشي، ونبدأ من جديد. عطلة تقريبية، مقارنة بالوحدة والظلام في مختبري. كل أصدقائي كانوا

حاضرين من خلال مراقبتهم، إذا كنت مرتاحًا في الماء كما هو الحال على الرمال، والأجسام الرياضية، والجلود المتسرعة، أدركت اختلافي. في سن الحادية والعشرين، لم أستطع السباحة، ولم أر البحر من مستعمرة عطلة في بيرك بلاج - كنت في الثامنة من عمري. من ناحية أخرى، كنت أقود طائرة، وقد تدربت هناك من قبل الهاغانا.

إعادة إنتاج أي وثيقة، وصنع المتفجرات، وإخراجي من أي صعوبة فنية، والتي كنت أعرفها أيضًا، ولكن رؤيتها تستمتع، وجدت أنني حُرمت من الحياة لمدة أربع سنوات.

على الشاطئ، في المقهى، في الفندق، في كل مكان، في كل وقت، تحدثنا عن الدولة المستقبلية، أردناها في صورة هذه الأخوة التي لوحظت في بورت دو بوك، سنكون البناة، سنجعلها نموذجًا للمساواة والحرية، وقد تأخرنا بالفعل في التواجد هناك. شيئًا فشيئًا، عندما لم أشعر من قبل بالقلق بشأن الأيديولوجية الصهيونية، بدأت أؤمن بإمكانية قيام

دولة يمكن لليهود أن يعيشوا فيها دون اضطهاد: وإذا كانوا دائمًا مدفوعين من كل مكان، فربما يحتاجون إلى مكان يكونون فيه شرعيين، وحيث يحمي القانون والرأي كل فرد دون تمييز بسبب العرق أو بلد المنشأ أو الجنسية أو الاعتراف. ولو لمداواة جراح مئات السنين من الاضطهاد، كان من المقرر بناء هذا البلد. كان الخروج، كما أردنا جميعًا، آخر معركة لنا قبل النصر.

أدى هذا الحدث إلى اضطرابات دبلوماسية بين إنجلترا وفرنسا، اللتين رفضتا إجبار المرشحين للمنفى على الهبوط. في لندن، كان علينا أن نكون غير سعداء للغاية. في مخيمات النازحين في أوروبا، بدأ 140،000 ناجٍ إضرابًا عن الطعام بدافع التضامن، وعناوين الصحف، وبدا أن الرأي العام يتحرك أخيرًا من أجل قضيتنا. كنت واثقا. ستفسح إنجلترا الطريق في النهاية. مع الرفاق، كنا في نزوة. كنا أقوياء وداعمين. يمكننا وضع علامة على صفحة من التاريخ. قمنا معًا

بتنفيذ قانون تأسيسي، كان مبتهجًا ومبهجًا. نعم، كان هناك شيء تاريخي يحدث.

لكن بعد أسبوع، كان من الضروري الحل بوضوح. لم يكن هناك شيء يحدث. يمكن أن يستمر الوضع لفترة طويلة، بينما لا يزال هناك العديد من القوارب المتبقية. انتهى، الشاطئ وآمال كبيرة. وكان المبدأ التوجيهي الجديد للمنظمة هو مواصلة «علياء بيت»، ومضاعفة عدد السفن وإعطاء الأولوية لمغادرة أولئك الذين عانوا من هذه المحنة. بالنسبة لي، كان يعني ضعف العمل. بالنسبة للمنظمة، كانت الفكرة هي ملء المعسكرات في قبرص حتى تفيض، وبالتالي، الاستمرار في زعزعة استقرار لندن.

قال «الكابتن جاكيل» إن الراحة الوحيدة التي أخذتها من وقت لآخر كانت الذهاب إلى الاجتماعات التي ينظمها جاك لازاروس. في ذلك المساء، أقيم عشاء في منزله وعرض إرنست الانضمام إلي هناك.

كان لازاروس جنديًا محترفًا سابقًا، بعد أن تعرض للإهانة من قبل بيتان[76]، أنشأ جبهة له، وفي وقت لاحق، منظمة القتال اليهودية. كان أيضًا من بين الفارين من القافلة الأخيرة مع إرنست. لم أكن بشكل خاص عقلية محارب قديم، لكنني استخدمت هذه الاجتماعات لرؤية الأصدقاء مرة أخرى. ساعد معظمهم بطريقة أو بأخرى في الهجرة غير الشرعية، وعرفوا أنشطتي من أجل الهاغانا.

جاء إرنست ليصطحبني في المساء بالسيارة. كان برفقته، كما هو الحال في كثير من الأحيان، إزيدور، وهو عضو في الشبكة أيضاً، والذي كان له موهبة إزعاجي. كم مرة أخبرته أنه لا أحد خارج بييرو يجب عليه أن يعرف عنوان المختبر ؟ كان إرنست حقًا يفعل ما يحلو له فعله. البنادق هذا الصباح، ثم المرافق في الليل، كان هذا أكثر من اللازم ليوم واحد. لقد غضبت غضبتي الشهيرة التي أكسبتني سمعة بأنني شخص سيء، وكدت أن لا أركب في السيارة.

---

76 - Pétain

لكن إرنست طمأنني أنه سيأتي لاستعادة «مادته» في الأيام القليلة المقبلة.

لقد استجاب الجميع تقريبًا لدعوة لعازروس. كانت إيتي، أخت جيراف، من قدماء السادس، وهي مقدامة، وتنتمي إلى مجموعة ماركسية نشطة للغاية. في ذلك المساء، ضاعفت محاولاتها للتحدث معي بمفردها. بمجرد أن اقترب إرنست أو بييرو أو إيزيدور، انزلقت بعيدًا إلى غرفة أخرى في الشقة. أخيرًا، عندما كنت على وشك المغادرة، ارتدت معطفها وتسللت بين الضيوف للانضمام إلي في السلم.

- قالت لي في طريق العودة: «ما تفعله جيد». لكن هل توافق على مساعدة أولئك الذين يقاتلون البريطانيين حقًا ؟

- عن ماذا تتحدثين عنه ؟

- أجابت وهي تهمس: «من مجموعة ستيرن».

كنت قد سمعت عن مجموعة ستيرن، التي لم تتردد في تنفيذ هجمات ضد الشرطة والجيش الإنجليزي.

أراد أعضاؤها تحرير البلاد ودمج قوميتهم المتطرفة مع أيديولوجية «اجتماعية ثورية».

بالنسبة لهم، لم يكن عرب فلسطين هم العدو، بل على العكس من ذلك، اعتبروهم حلفاء محتملين للقتال ضد النير الإمبريالي البريطاني. ومع ذلك، أدانت جماعة الهاغانا الأعمال الإرهابية لمجموعة ستيرن، التي عملت على الأرض الدبلوماسية للتفاوض مع إنجلترا. علاوة على ذلك، لم تتردد في تسليم إرهابيي جماعة ستيرن إلى الإنجليز الذين اعدموهم خنقاً . لهذا السبب التزمت إيتي الصمت أمام رفاق الهاغانا. اصطحبتني إلى المنزل، ولم تسمح لي بالعودة حتى قبلت اجتماعًا واحدًا على الأقل مع قادة مجموعة الستيرن في فرنسا.

بعد بضعة أيام، خلال اجتماع لأربعة أعضاء من ستيرن فرانسا، قدمتني إيتي إلى تيبور روزنبرغر، المعروف باسم «فولتير»، العضو السابق في المقاومة المجرية. رجل عظيم وأنيق، مثقف وجذاب، شغوف بالموسيقى والأدب الكلاسيكي، يجيد عدة لغات. أوضح لي أن هناك عدة ميول

داخل مجموعة ستيرن، أنه انفصل تمامًا عن المتطرفين. ومع ذلك، وجد أنه من غير اللائق أن يشن الهاغانا حربًا على الإنجليز بينما يساعدونهم، وأنهم يسلمونهم أعضاء المجموعة. شرح لي مواقفه. كانت الفكرة هي طرد الإنجليز بالطرق، دعنا نقول، بسرعة، مثل الهجمات والكمائن.

كان معظم أعضاء مجموعة ستيرن مطلوبين من قبل الشرطة، وكانوا بحاجة إلى أوراق مزورة للتحرك بحرية وتجنب الشنق. لكن هذا لم يكن كل شيء. احتاج تيبور أيضًا إلى أوراق كاذبة لتنظيم الهجرة غير الشرعية لشيوخ المقاومة المجرية الذين كان قريبًا منهم. أكثر ما أغراني في خطابه هو وجود هذا الفصيل اليهودي العربي في فلسطين.

مثل تيبور، كان لدي هذا المثل الأعلى لدولة يهودية عربية محررة من إنجلترا. بعد التحدث معًا لساعات طويلة، أصبحنا أصدقاء، لكن الإرهاب ظل نقطة اختلافنا. وعلاوة على ذلك، فإن العمل لصالح مجموعة الهاغانا وجماعة ستيرن ينطوي في الوقت نفسه على مخاطر لأنه حتى لو سعت

المنظمتان إلى تحقيق نفس الهدف، فإنهما لا يزالان في حالة حرب مع بعضهما البعض. لكن مهما فعلوا، كانت حياة أعضاء ستيرن المطلوبين في خطر، ولم يكن التاج البريطاني يفعل معهم. لم ينج أي من الذين تم أسرهم من المشنقة. وافقت على إنشاء مختبره والعناية بحالات الطوارئ حتى وجدوا مزيفًا آخر. كان لدي بالفعل شخص ما في ذهني، شخص لن يحتاج إلى تدريب، وبدأت أبحث عنه على عجل... لم تغير سوزي عنوانها وواصلت دراستها في الفنون الجميلة. وجدتها بسهولة ودعوتها لتناول الغداء.

أتذكر ساقها التي كانت ترتعش تحت الطاولة وعيناها تلمعان عندما شرحت لها أنني لا أستطيع العمل لكليهما، أنه من المستحيل تمامًا بالنسبة لي تقسيم جدول أعمالي إلى قسمين، وأنه إذا وصلت عضويتي المزدوجة إلى آذان أي شخص في شبكتي، إرنست أو السيد بول، ستكون كارثة لعملاء ستيرن. لم تسمح لي حتى بالوقت لتقديم طلبي وقطعت كلمتي:

- أريد أن أعمل في مجموعة ستيرن!

منذ ذلك اليوم فصاعدًا، بدأت يومي في مختبر ستيرن، شارع كليرك، لأرى مع سوزي المشاكل التي كانت تواجهها، ثم عدت بسرعة كبيرة إلى شارع اسكتلندا، بينما اتخذت ألف احتياط للتأكد من أنني لم اتبع.

كل شيء سار بشكل مثالي. لقد وجدت طريقة لمساعدة بعضنا البعض دون خيانة. حتى اليوم الذي كلفني فيه ستيرن بعمل نظام ضبط الوقت، عندما كنت دائمًا أعارض بشدة المشاركة في الأعمال الإرهابية. في جميع الشبكات التي عملت بها، لم أكن المزوّر فحسب، بل كنت «الفني». سواء كان الأمر يتعلق ببناء جذوع وحقائب مزدوجة القاع أو صنع أفلام وصور أرشيفية، فإن كل ما ينطوي على مشاكل فنية هو مسؤوليتي. أفهم من الأسئلة المختلسة أن الهجوم الذي كان قيد الإعداد كان موجهًا ضد إرنست بيفين، وزير الخارجية البريطاني، الذي كان يعارض بشدة رحيل القوات الإنجليزية من فلسطين وكان مدافعًا

كبيرًا عن الكتاب الأبيض، الذي يحظر هجرة الناجين من المخيمات هناك. وعلاوة على ذلك، نُسب إليه خطاب معاد للسامية بشكل شنيع.

أثارت هذه القضية مشكلة ضمير خطيرة. لم أرغب في المشاركة في جريمة قتل أحد. كيف يمكنني أن أنظر إلى نفسي وجهاً لوجه إذا شعرت بالمسؤولية الشخصية عن وفاة رجل، حتى لو كان عدوًا ؟ لكن إذا رفضت، فإن شخصًا آخر سيفعل ذلك، كنت متأكدًا.

- ماذا قلت؟

- قبلت. صنعت الساعة التي ستطلق مفجرات القنبلة التي سترش بيفين. كان أحدهم يدعى أفنر سيذهب إلى إنجلترا مع الجهاز، ووضعه في المكان الذي كان من المقرر أن يحدث فيه الهجوم. لقد قابلت أفنر في وقت سابق في مختبر شارع كليرك. لقد كان رجل المهمات الخطيرة لمجموعة ستيرن.

- إرنست لهم. كان قادمًا من فلسطين بجواز سفر مزور مصنوع بشكل سيئ أكسبه استجوابًا مطولًا خرج منه للتو. وبما انه لم يعد قادرا على تحمل هذه المخاطرة، فقد احتاج الى جواز سفر لا تشوبه شائبة.

أخبرني أفنر أنه في المنطقة التي يقع فيها الكيبوتس، يعيش الكيبوتسات في وئام تام مع القرى البدوية المحيطة، وأن أي صراعات تمت تسويتها بين مندوبي القرية ومندوبي الكيبوتس، كل منها يحظى باحترام كبير. أحببت هذه الصورة.

لقد أكدت رغبتي في المغادرة إلى هذا البلد البعيد، المليء بالوعود. عندما قابلت أفنر بعد ذلك بكثير، أخبرني، ليس بدون حزن، أن حرب الاستقلال الإسرائيلية قد دفعت البدو بالتأكيد إلى الخروج من تلك المنطقة.

غادر أفنر مع الحزمة، وكرم مهمته، وعاد إلى فلسطين. من خلال الصحف كان علينا أن نعلم بوفاة بيفين. لكن بعد

أسبوع، لم تتحدث أي صحف عن ذلك، وجلس بيفين، على قيد الحياة، في مجلس الوزراء.

كان على أفنر أن يتساءل لفترة طويلة عن سبب عدم انفجار القنبلة، وإذا قرأ هذه الصفحات اليوم، فسوف يتعلم أن آلية التأخير التي صنعتها لم يتم تصميمها أبدًا لتشغيلها، وفي حالة وجود عجينة ناعمة استبدلت البلاستيك. العدو أم لا، لقد أنقذت حياة.

لم يخبرني أحد عن فشل القنبلة. يمكن تصديق أنني قادر على ذلك، أضحك اليوم. من وجهة نظر استراتيجية بحتة، لم يكن هذا الهجوم في الحقيقة فكرة جيدة للمفاوضات المستقبلية. علاوة على ذلك، كنا قد انتصرنا بالفعل في المعركة الدبلوماسية. أعطى قرار الأمم المتحدة الصادر في نوفمبر 1947 دفعة لعملنا. والواقع أنه كان على الأمم المتحدة في البداية أن تقرر بين اقتراحين: دولتان - واحدة يهودية والأخرى عربية - أو دولة واحدة ثنائية القومية.

في كلتا الحالتين، هُزمت إنجلترا واضطرت إلى الانسحاب. شخصيا، كنت أؤيد الاقتراح الثاني، وهو اقتراح دولة مختلطة، الذي تصورت من أجله العلمانية كأساس للعيش معا، وحدي في نظري لضمان أن يمارس كل فرد دينه، دون أن يملي أحدهما أو الآخر القوانين. طوباوي، هل ستقول ؟ هذا صحيح، كنت، ما زلت.

وأخيرا، قررت الأمم المتحدة إنشاء دولتين منفصلتين، وهو قرار سيدخل حيز النفاذ في 14 ماي 1948، وهو تاريخ معروف جيدا. في غضون ذلك، ظلت بريطانيا العظمى عميلة الإقليم، ولكن كان على قواتها الانسحاب بمجرد إنشاء الدول. لم يكن هذا بالضبط ما كنت أتمناه، لكنه كان بالفعل انتصارًا.

في 14 ماي 1948، وفقًا لقرار الأمم المتحدة، أعلن ديفيد بن غوريون إعلان إنشاء دولة إسرائيل وفقًا للتقسيم المخطط له. في اليوم التالي هاجمت مصر والأردن وسوريا ولبنان الأمة التي ظهرت للتو. في هذا الوقت هاجر معظم

أصدقاء المنظمة إلى فلسطين لبناء البلاد. في مظاريف السيد بول، رأيت صور هوية جميع أصدقائي، الذين اضطررت إلى صنع جوازات سفر وتأشيرات مزورة لهم. عندما رأيت صورة إرنست، علمت أنه لن يأتي أبدًا لالتقاط الأسلحة التي تركها في المنزل. بالنسبة لي، كان علي الانضمام إليهم بمجرد الانتهاء من العمل. لكن الأشهر مرت، ولم أعد أرغب في ذلك. فالحرب هناك كانت تؤذيني. بينما من ناحية سنغني النصر قريبًا، بينما من ناحية أخرى كنا نبكي الهزيمة، واصلت تقليص مرارتي و «بلدي المختلط» مثل كرة على كل قدم. ثم تخيلت دولة تضامن، جماعية، وقبل كل شيء علمانية.

لم أتسامح مع اختيار الدولة الجديدة للدين والفردية، لأن هذا كان كل ما كرهته. دين الدولة يعني، مرة أخرى، خلق فئتين من السكان: اليهود وغيرهم. هل طغى الانتصار على الإنجليز على المثل العليا التي كنا نكافح من أجلها لأكثر من عامين ؟ يمكنني شرح منطقي، ومحاولة الإقناع، ولم يشارك أحد شكوكي، كنت اللائكي الوحيد.

- هل تعني أنك نادم ؟

بالطبع لا أنا نخور بالمشاركة في الهجرة غير الشرعية لعشرات الآلاف من الناجين، وكذلك بالمساهمة في إنشاء دولة إسرائيل، لكنني اتصلت بالسيد بول لأخبره أنني لن أذهب إلى هناك. شرحت له أنني أفضل البلد الذي اختار العلمانية وأصدر إعلان حقوق الإنسان، على الرغم من عدم احترامها دائمًا، على الرغم من أنني ما زلت في السرية. لقد أخذ الأمر بشكل سيء للغاية، لكن بعد كل شيء لم أقسم اليمين في مركز فيينا الدولي، لم أدين له بأي شيء. ذهب كل شيء، باستثناء أنا. لم أراهم مرة أخرى، لكنني أعلم أنهم انتظروا سنوات طويلة من أجلي.

الجزء 7

شبكة فرانسيس دجينسون

فبراير 1961. "ست نساء مسجونات هربن هذه الليلة. ثلاث نساء من فرنسا، واثنتان فرنسيتان مسلمتان من الجزائر ومصرية واحدة، وجميعهم أعضاء نشطون في شبكات دعم جبهة التحرير الوطني. تسلقوا جدران السجن في منتصف الليل... "

قبل أسبوع، علمت من خلال صوت صحفي إذاعة باريس إنتر[77] تفاصيل هروب النساء من سجن لا روكات[78]. كانوا "صديقات "». عجيب، ابتسمت في لحيتي. لقد تحدثنا كثيرًا عن أنفسنا لبعض الوقت، «هؤلاء الفرنسيون الذين

77 - Paris Inter
78 - la Roquette

يدعمون الجزائريين»، أو «حاملات الحقائب»، أو «شغلات عند العبيد[79]»، اعتمادًا على درجة التعاطف التي نتلقاها.
أما قادة الشرطة، فهم قبل كل شيء، مهتمون جدًا بنا. هذه الأشهر القليلة الماضية عاطفية للغاية. فبعد موجة الاعتقالات، من أجل تفكيك شبكة جينسون[80] ثم سجن هنري كوريل[81]، أما أولئك الذين كانوا مثلي، لم يشعروا بعد بالقلق، ولكنهم يقضون ليالي صعبة. القلق والنشوة والأيام ممتلئة جدًا والليالي دائمًا قصيرة جدًا وهذا لأكثر من ثلاث سنوات. في الأخير اعتدنا على العيش بسرعة 100 في الساعة، فقد أصبح الأمر تقريباً طبيعيًا.

كل صباح، أقوم بتقييم الطلبات اليومية. ميشيل فيرك[82]، المعروفة أيضًا باسم «جانيت»، ضابطة الاتصال الخاصة بي، ستأتي لاستعادة ستة «طرود» بلجيكية -

---

79 - les larbins des bougnoules

80 - أول شبكة فرنسية للتضامن مع جبنة التحرير الوطني، والتي تحمل اسم مؤسسها الفيلسوف فرانسيس جينسون

81 - يهودي مصري شيوعي، وهو نائب فرانسيس جينسون في منظمة حاملي الحقائب.

82 - Michèle Firk

بطاقات هوية وجوازات سفر ورخص قيادة - وأربعة سويسرية، حيث أن نصفها هو لفيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا.

فبالأمس، تلقيت زيارة غير متوقعة لرولاند دوما[83]، الذي أعطاني أخبارًا عن فرانسيس جينسون، الذي لا يزال مختبئًا. اشتهر فرانسيس بمحاكمته المدوية[84]، التي حكم عليها غيابيًا، ولا يزال أحد أكثر الرجال مطلوبًا في فرنسا. أعطاني رولاند ثلاث صور مختلفة له، لمواصلة التحرك، يحتاج إل «طرد» فرنسي. لدي أيضًا طلب لجوازات سفر إسبانية تتعلق لمجموعة من ثوار الباسك المطلوبين من قبل شرطة فرانكو. سيتعين عليهم الانتظار لفترة أطول قليلاً. إلحاح اليوم هو الاعتناء بأولئك الذين يوجدون في خطر هنا.

أرتدي معطفي والقفازات ووشاحًا، وأضع حزام

83 - Roland Dumas

84 - جرت محاكمة شبكة جينسون في سبتمبر **1960** لمحاكمة ستة جزائريين وسبعة عشر فرنسيا متهمين بدعم جبهة التحرير الوطني. تركيب نموذج مجلة.

كاميرتي روليفلكس[85] حول رقبتي. يقع ملجئ هيلين كوينات[86] في الحي اللاتيني ؛ من هنا، يمكنني الذهاب راجلاً . في الخارج الرياح تعصف بقوة، وأيضًا هذا الضوء الخاص بضوء الشتاء، وشمس ضعيفة تشع باللونين الأصفر والبرتقالي، وتعطي المارة عيون صافية وبشرة لامعة.

إنها عمارة حجرية قديمة أنيقة للغاية، به رخام ومرايا في المدخل، ودرج حلزوني كبير خطاه مغطاة بسجادة بألوان مبهرجة.

طرقت الباب الأيسر للطابق الخامس

- آه، جوزيف! إنها تصرخ. أنا سعيد لرؤيتك!

- أنا أيضا سعيد جدا.

- لكن أدخل، أدخل، اجلس.

بينما أجلس على أحد الكراسي الصغيرة ذات الذراعين المرتبة في نصف دائرة في غرفة الإستقبال، تهز هيلين شعرها وتقف وقفة عارضات الأزياء التي نراها في المجلات.

85 - Rolleiflex

86 - Hélène Cuenat

- إذن، كيف تجدني بهذا الشعر الأحمر يا يوسف ؟» ماذا تقول ؟

تجلس بجانبي وهي تضحك بقوة.

- آه، لا يمكننا القول إننا نشعر بالملل. يا لها من مغامرة! لم يتم الإنتصار بعد. هل تعلم أن السيارات التي كانت من الواجب أن تكون في انتظارنا تكن موجودة عندما أصبحنا خارج السجن ؟

- أنا أعلم أن الأخبار تسير بسرعة. اضطروا إلى المغادرة بسبب دوريات الشرطة.

- أخيرًا... لقد نجحنا. انقسمنا إلى مجموعتين واستقلنا سيارات أجرة. تخيل أن جاكلين فقدت حذاءًا عند تسلق الحائط، وملابسنا متسخة ومبشورة وممزقة، في منتصف الليل، كنا نبدوا حيليين.

تضحك هيلين ثم تبقى للحظة مبتسمة ومتأملة. تنزلق أصابعها في شعرها المحمر قبل أن تستأنف.

- طبعاً سويسرا أو بلجيكا أو أي مكان آخر. لقد تعبت من التواجد بين أربعة جدران.

- لهذا السبب بالضبط أنا موجود هنا. هل أعددت ملابس مختلفة للصور ؟ لا ينبغي أن يبدو أنها أخذت في نفس اليوم.

على الأرض، تضع كومة من الملابس تبدأ في البحث في هذه الكومة مثل الطفل الذي يكتشف ملابس التنكر في غرفة الأشياء القديمة.

- أعلم، أعلم. يجب أن أغير منظري. أريد بدلةً جيدةً، حتى أبدو كالسكرتيرة، لعبور الحدود. انظر إلى هذا القميص. كيف أبدوا فيه. بالضبط هذا ما أحتاجه!

أحرك رفًا للحصول على جزء من الجدار الأبيض سيكون بمثابة خلفية للصور وأضع كرسيًا أمام هيلين للجلوس.

- هل رأيت الآخرين من قبل ؟

«رأيت جاكلين قبلك فقط».

كيف أحوالها ؟

- مثلك. نفد صبرها. أديري الرأس قليلاً إلى اليمين.

- جيد. ماذا أضع كمهنة على أوراقك ؟

- بروفيسور.

- وكإسم ؟

- ماريفو ميشيل[87]، أحب ذلك.

- ارفعي الذقن قليلا. جيد، يمكنك تغيير ملابسك.

تستمر جلسة التصوير. وعندما يحين وقت مغادرتي، نجد صعوبة في قول وداعًا. أرفض بأذب دعوتها للبقاء وتناول طعام الغداء.

- ربما يوم آخر. اليوم لدي الكثير من العمل.

- أوه نعم، هذا صحيح، أنت دائمًا في عجلة من أمرك، أليس كذلك ؟»

وكالعادة، نقبل بعضنا البعض جيدًا على كلا الخدين دون معرفة عدد الأيام أو الأشهر أو السنوات التي سنرى فيها بعضنا البعض مرة أخرى، لأنه بمجرد الانتهاء من الأوراق، لن أحضرها إليها.

87 - Marivaux Michelle

عند عودتي إلى المختبر، تنتظرني مهمة أخرى. وضعت آلة تصويري في الغرفة المظلمة، وأعبر السقيفة التي تؤدي إلى غرفة الآلات، سميت بهذا الاسم لأنها تضم المواد الضخمة التي أصنع بها مطبوعات فوتوغرافية كبيرة الحجم لعملائي "الرسميين". في أسفل الغرفة على اليمين، تحت أرفف المواد، يتم وضع حقيبتين كبيرين، أو بالأحرى حقائب إرنست، على الأرض. في إحداها، في الأولى الحقيبة الخشبية الضخمة التي تحتوي على بندقية رشاش والرشاش الكبير وكمية كبيرة من الذخيرة، وأترك المختبر وأهبط بشكل مؤلم في الطوابق الخمسة للمبنى. اليوم، سيتم تغير ملكية الأسلحة.

في الآونة الأخيرة، ظهرت منظمة إرهابية سياسية عسكرية تسمى منظمة الجيش السري[88]. الهجمات ضدنا ليست جديدة. منذ البداية، فجرت الجماعات أنصار الجزائر فرنسية قنابلها لإرهاب المدافعين عن القضية الجزائرية. خلال محاكمة جينسون، فإن محامي جينسون، ورولاند دوما،

88 - Organisation armée secrète

ومراد أوصديق، وجاك فيرجيس، كانوا دائماً خائفين في كل مرة يفتحون فيها باب سيارتهم. بعد نشر بيان[89] 121، وقد تم تفجير منازل ومركبات العديد من الأشخاص المعروفين والأقل شهرة. لكن بينما لم يتم الإعلان عن الهجمات في السابق، فإننا نعرف اليوم بالضبط من نتعامل معهم. تحمل الهجمات الآن توقيعًا، وهي تتكاثر، خاصة في أحياء المهاجرين. أصبحت الحانات والمقاهي والفنادق والمتاجر الصغيرة التي يديرها الجزائريون هدفهم المفضل.

كنت على علم بقرار قيادة جبهة التحرير الوطني في فرنسا لنقل شحنة من الأسلحة الإضافية، من ألمانيا أو بلجيكا، لتنظيم الدفاع عن الجزائريين ضد منظمة الجيش السري.

جانيت، ضابطة الاتصال الخاصة بي، كانت ستقوم بالنقل. ستقود سيارة ذات قيعان مزدوجة وسقوف

89 - بيان 121، أو «إعلان الحق في العصيان في الحرب الجزائرية»، وقعه مثقفون وأكاديميون وفنانون فرنسيون مشهورون. يتزامن نشرها مع افتتاح محاكمة جينسون، ويساهم في تأثيرها الإعلامي.

مزدوجة وجوانب مزدوجة، مليئة بالأسلحة. لسوء الحظ، نظرًا لوقت تصنيع التمويه الداخلي للسيارة، كان الوصول بطيئًا.

لذلك كانت عندي فكرة اخرى. حيث تذكرت أنه في فير، عندما كنت أساعد برانكور، قبل ترحيلي إلى درانسي، كنت مكلف بالعثور على مخبأ لإخفاء مجموعة كبيرة من الأسلحة التي هبطت بالمظلة من قبل لندن. عند سفح إحدى الأشجار الكبيرة على طول الحقول المملوكة لرجل عجوز يتمتع بلطف كبير، حفرت أنا وبرانكورت حفرة عميقة جدًا. بصرف النظر عن كلانا، لم يعرف أحد الاختباء، وقد علمت من أرملته أن برانكورت قد مات بعد سنوات قليلة من التحرير في الهند الصينية.

بعد أيام قليلة من حديثي مع جانيت حول هذه الذكرى، تلقيت زيارة من شاب جزائري، بلقاسم رحاني[90]، عضو فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا. لذلك كانت

90 - Belkacem Rhani

مسألة تسليم هذه المجموعة من الحرب العالمية الثانية وإسنادها إلى المنظمة. بعد كل شيء، لم تكن الفكرة مجنونة للغاية، يمكننا أن نأمل ألا يتحرك شيء. بدون انتظار، قمت أنا وبلقاسم بالرحلة إلى فير. وقد وجدت المكان على الفور. بدلاً من الحقل، كان هناك مبنى حديث كبير، جديد تمامًا، أبيض بالكامل. عدنا خالي الوفاض.

من ناحية أخرى، لا تزال هناك أسلحة إرنست، والتي لم أكن أعرف أبدًا ماذا أفعل بها. عبء أهرقني اثني عشر عامًا، وأنا احمله معي خلال كل رحلاتي. كيف يمكنني التخلص منه ؟ من المستحيل التخلص منه: ماذا لو وجده شخص ما واستخدمه؟ أسلمهم؟ لمن ولماذا؟ كيف يمكنني التأكد من عدم استخدامه من طرف اللصوص أو المجرمين؟ حتى الآن، كنت أفضل دائمًا إبقائهم قريبين مني. لكن في هذا الوقت الذي سقط فيه جميع الأصدقاء واحدًا تلو الآخر في أيدي الشرطة، أترك لك تقييم المخاطر: مراقبة واحدة بسيطة كافية لإلقائي بدوري في السجن. كان

إخفاء نشاطي كمزوّر سهلاً: من المحتمل أن يكون كل مصور يمتلك هذه الآلات وهذه المواد الكيميائية وهذه الأدوات. يمكننا إخفاء الوثائق المزورة، والأختمام، كما يمكننا تدميرها، يمكننا إذابة صفائح الزنك بالحمض. من ناحية أخرى، رشاش، ومدفع رشاش، ومسدس، وخراطيش، ومحملات، أكثر من خمسمائة رصاصة 9 ملم، بلاستيك التفجير وصواعق، كما ترى، الأمر أكثر صعوبة.

قدمت محتويات الحقائب إلى بلقاسم، باستثناء المفجرات، لأنني وجدتها قديمة جدًا، وبالتالي فهي خطيرة. ونظرا لوزن المعدات الثقيل، اتفقنا على أنه سيقوم بنقلها على عدة مرات بكميات لا تتجاوز خمسة عشر إلى عشرين كيلوغرام، تفاديا لجذب الانتباه أثناء عمليات النقل سيرا على الأقدام. في اليوم الأول، غادر بحقيبة يد مليئة بالرصاص، والتي كانت ثقيلة للغاية لدرجة أنه مال جسده بالكامل. ولتمويه، وضعت ميزان روبرفال الجميل فوق الذخيرة. وهكذا

أصبحت حقيبة اليد أثقل بالنسبة له، لكنه على الأقل تبرر الوزن. عاد بلقاسم في اليوم التالي وكررنا نفس السيناريو.

في اليوم الثالث، وجد كلانا أنه من الأنسب تغيير الإستراتيجية. على الرغم من أن الشارع هادئ بشكل خاص، إلا أنه كان من الغريب أن يأتي نفس الشخص ثلاثة أيام متتالية إلى نفس المكان ويغادر محملاً بنفس حقيبة اليد، خاصة إذا كان هذا الرجل جزائريًا. فشرطة بابون[91] في ذلك الوقت، تطارد بقوة كل شخص يشبه الجزائريين.

عند وصولي إلى الطابق الأرضي من العمارة، وحقيبتي الثقيلة في متناول اليد، نزلت إلى شارع الصائمين[92]، ثم يميناً إلى شارع سونتيي ثم مرة أخرى إلى اليمين، الى شارع الهلال. وكانت نقطة الالتقاء هي المخبزة. لا يوجد مؤشر آخر. عندما أدفع باب المخبزة يرن جرس. هناك ثلاثة زبائن أمامي. أقف في طابور وأبحث في جيبي بحثًا عن المال لشراء خبزة. تقوم صاحبة المخبزة وهي إمرأة سمينة، حيث تخدم

91 - Papon
92 - des Jeûneurs

الزبون الأول الذي يخرج حاملاً الخبز تحت الذراع. في الخلف، ينفتح باب، ويظهر خباز ملطخ بالدقيق، على رالرأس توك، وقباقيب بيضاء ومئزر، خلف المنضدة. إنه بلقاسم، بالكاد يمكن التعرف عليه في هذا التنكر.

- وبالنسبة لك، ماذا تريد ؟» تسألني الخبازة.

- عصا من الخبز، من فضلك.

بينما تقوم برد الصرف، يشير لي بلقاسم بعلامة، ثم يخرج من المخبزة مع كيس من الخضار. أشكر السيدة، وأخرج من المخبزة واتبع بلقاسم. وعلى بعد ثلاثة أمتار، يستدير يميناً، شارع سونتيي، ثم مرة أخرى إلى اليمين. نحن في شارع سانت جوزيف، حيث لا أحد يمر. يتباطأ، أسرع الخطوة. نلتقي. نقوم بتبادل الحقيبتين. أواصل مباشرة نحو شارع مونمارتر. يستدير لتجنب المحاور الرئيسية. ستستخدم أسلحة إرنست الآن قضية استقلال الجزائر.

الجزء 8

إلتزامي مع الجزائر

- كيف أتيت لمساعدة الجزائريين ؟

تعتقد أن إنضمامي في شبكة مساعدات جزائرينين لم يحدث في يوم واحد. عندما انضممت إلى شبكة جينسون، كنت قلقًا بشأن القضية الجزائرية لعدة سنوات من قبل. ولكن ماذا نفعل، بمفردنا، بدون شبكة وبدون اتصال، إذا لم نكرر أنه يجب علينا القيام بشيء جيد، مقيدين في القهوة مع الأصدقاء ؟ في الأساس، أردت المساعدة، لكنني لم أكن أعرف كيف.

لكن دعونا نعود قليلاً. في عام 1948، عندما هاجر الرفاق إلى إسرائيل، احتفظت بالمختبر في الشارع في اسكتلندا

الذي يحتوي على جميع معداتي، وبما أنه لم يكن لدي مكان أذهب إليه، فقد عشت هناك، وأنام على سرير مخيم بسيط لعدة أشهر.

- وعائلتك ؟

لقد فجرت الحرب عائلتي. وكل واحد يعيش حياته كما يستطيع. كانت أختي على وشك الهجرة إلى إسرائيل. عاش والدي وإخوتي في باريس لكننا لا نلتقي إلا قليلاً جدًا.

في سن الثالثة والعشرين، كنت وحدي، بدون أوراق، بدون دخل ثابت وبدون تصريح «رسمي». كنت أقوم بتقييد الوظائف الصغيرة، كمصور أو صانع صبغ، لكنني ما زلت أقل من قدراتي وتوقعاتي، لأنني كنت بدون شهادة ولم أستطع تقديم أي خبرة مهنية كلاسيكية.

لقد غادر جميع أصدقائي، وللتغلب على وحدتي، ألقيت بنفسي جسدًا وروحًا في التصوير الفوتوغرافي. كل ليلة، كنت أتسلق أسطح المنازل في باريس لالتقاط اللحظة

في المدينة النائمة. وهكذا ولدت طموحاتي الفنية الأولى، وعاد مختبر الأوراق المزيفة، الذي تحول إلى مختبر للتصوير الفوتوغرافي والكيمياء، إلى الوقوف على قدميه. شيئًا فشيئًا، بدأت أتذوق الحياة مرة أخرى.

غالبًا ما رافقني صديق أثناء إجازتي الليلية. كان إرفين بريس[93] شابًا مجريًا كبيرًا في MOI، متحمسًا مثلي. خلال عشاء نظمته زوجته، ظهرت جانين[94]، وهي طالبة شابة وجميلة، في حياتي. وكانت عائلتها بأكملها، من أصل يهودي بولندي، قد ماتوا في معسكرات الإبادة.

نجت جانين وشقيقتها فقط، بفضل الفكرة البارعة لوالديهما لوضعهما في العائلات الألمانية. بعد بضعة أشهر من اجتماعنا، تزوجنا أنا وجانين. فولدت ابنتنا مارث[95] عام 1950. سيرج[96]، شقيقها الصغير، بعد عام. ومع ذلك، فقد

93 - Ervin Preis
94 - Jeannine
95 - Marthe
96 - Serge

استغرق الأمر عامين فقط حتى يتحول زواجنا إلى إخفاق تام.

لقد تغلب الكثير من سوء الفهم على حبنا. وعدت الى سريري في شارع اسكتلندا، محاطًا بالمواد الكيميائية والآلات.

أود أن أصف السنوات التي تلت ذلك بأنها غير مستقرة. غالبًا ما أغير عنواني وعملي وشريكي أيضًا. في الواقع، كانت إعادة إدماجي في الحياة «الطبيعية» صعبة. احتفظت بآثار لا تمحى لطفولتي التي اختصرتها الحرب، لسنوات من السرية، لأولئك الذين لم أتمكن من إنقاذهم، لدراسي. لم أقبل الخروج منه، والكثير من الوجوه تطارد كوابيسي.

من الناحية المهنية، كنت أعرف أيامًا أفضل من غيرها، اعتمادًا على الفترة. انتهى بي الأمر بالعمل في شركة تصوير فوتوغرافي، حيث كنت متخصصًا في التصوير الفوتوغرافي بالتنسيق العملاق لمجموعات الأفلام. مستقل

تمامًا وعلى اتصال وثيق بالمخرجين ومصممي الديكور، شرعت في التصوير بكاميرا بزاوية عريضة 18 × 24، والتي أحملها على ظهري، وبعد الإنتهاء من وضع الصورة على الورق، كنت ألصق الصور مباشرة في استوديوهات السينما. لذلك أتيحت لي الفرصة لالتقاط صور لمشهد ألكسندر تراونر الشهير، الذي كان بشكل ملحوظ مصمم أفلام مارسيل كارني. كما هو الحال دائمًا، لم أكن مهتمًا بالروتين. ما أحببته هو حل المشكلات التقنية، وتعلم عمليات جديدة، والقيام بالبحث. وعندما بدأت، كان المهندس المعماري والمخطط الماركسي أناتول كوب من أوائل زبائني. طلب تنسيقات كبيرة لمنصات الأحداث، والعروض، وواجهات أجنحة عيد لومانيتي، أو حتى المعارض التاريخية حول الموضوعات التي كنت مفتونًا بها، مثل البلدية، أو حياة رومان رولاند أو مناجم الفحم في شمال فرنسا. ثم تخصصت في إعادة إنتاج الأعمال الفنية. عمل تقني دقيق وصعب. كل شيء أحببته. شكل رسامو أصدقائي، ومعظمهم من أمريكا

الجنوبية، وصانعو أفلام، نشطون جدًا في مجال الرسم التجريدي الهندسي والفن البصري، الجزء الأكبر من عملي مع زبائني. لسوء الحظ، أوزوالدو فيغاس، ياكوف أغام، خيسوس سوتو أو كارميلو أردن كوين أو أنطونيو آسيس لم يكونوا فنانين معترف بهم اليوم. في كثير من الأحيان - حتى لا أقول طوال الوقت تقريبًا - كان علي أن أغمض عيني على الفواتير غير المدفوعة.

خلال صيفي 1953 و 1954، قمت برحلتين إلى الجزائر مع كوليت[97]، شريكتي في ذلك الوقت، مصورة مثلي، كان والدها، رجل أعمال يوناني، يعيش في الجزائر منذ فترة طويلة. لقد كان، دعنا نقول، مرحلة جيدة في حياتي. عشت أنا وكوليت في مصنع صغير مهجور، والذي سيطلق عليه اليوم "لوفط[98]"، والذي كان أيضًا بمثابة استوديو تصوير. نلتقط صورًا للديكور الداخلي والمعارض وإعلانات لسلسلة من المتاجر. بفضل الزبائن المستقرين، نتلقى طلبات

97 - Colette
98 - loft

منتظمة بل وكان لنا الوقت للذهاب الى العطلة في الصيف. وكانت تزور والدها بإستمرار بقدر ما تستطيع، وفي تلك الزيارات خلال صيفي 1953-1954 رافقتها.

لقد اكتشفت هناك المشاكل الخطيرة للاستعمار. شعرت بقوة بالتمييز بين فئات السكان، الفرنسيين من ناحية و «الفرنسيون المسلمون» - مثلما نقول في ذلك الوقت حيث كنا فيه مهذبين، على الرغم من أن كلمة «عربي» تخرج بشكل ميكانيكي أكثر من الأفواه - من ناحية أخرى. لقد رأيت العنصرية والتمييز والإذلال العلني.

رأيت الفرنسيين الذين ينادون الجزائريين بدون احترام، في حين يخاطب الجزائري الفرنسي «بالسيد». في مواجهة هذه المشاهد التي جعلتني أشعر بعدم الارتياح الشديد، غالباً ما كنت أشعر بالخجل من نفسي لأنني كنت الأبيض. كنت أشعر بالخجل من أجل فرنسا.

سيكون تعميماً خاطئاً أن نقول إن الجميع كانوا عنصريين. بالطبع قابلت أشخاصاً رائعين، حتى أنهم ناضلوا

من أجل المساواة في الحقوق المدنية بين الفرنسيين و«السكان الأصليين». هكذا تعلمت أنه ليس لديهم نفس الحقوق، وأن القانون الفرنسي جعلهم فئة ثانوية، حيث أنه للفرنسيين الحق في التصويت، ولكن ليس نفس الحق للمسلمين الفرنسيين. ألم أتعلم على مقاعد المدرسة أن الجزائر هي فرنسا ؟ ماذا عن «المساواة» بين المواطنين إذن ؟

هذا البلد الجميل، مع ثقافة غنية بلا حدود، رأيته على كأنه علبة جاهزة للانفجار. إن السلوك المتعالي لمعظم الفرنسيين في الجزائر تجاه الجزائريين، هذه العلاقة الأبوية للمالكين بأشباه العبيد لا يمكن إلا أن تشعل النار التي تم تأجيجها بالفعل. كنت أنا وكوليت نصور الجزائر العاصمة والوجوه الجميلة للأطفال الذين ينظرون إلينا خلف الشباك. هذه الصور تظهر كل جمال الجزائر وأيضا خطورتها.

ففي 1 نوفمبر 1954، اليوم الأول من التمرد، مر دون أن يلاحظه أحد تقريبًا في فرنسا. كنا نتحدث عن الإرهابيين، عن الهجمات الإرهابية. من جانبي، لم أنخدع، كما إنخدعت

خلال مجازر 8 ماي 1945، خلال المظاهرة الأولى لاستقلال الجزائر، والتي تزامنت مع استسلام ألمانيا. في ذلك الوقت، فشلت الصحافة في إخبارنا عن مجازر لعدة مئات من المدنيين. تم تقديم الحدث على أنه ناتج عن الكراهية من جانب المسلمين المتطرفين والمعادين للسامية والمعادين للفرنسا، الذين كانوا يظهرون دعمهم لألمانيا النازية التي سقطت. لقد آمنت بهذا وقتها.

كما تعلمين، لسنوات لم يتحدث أحد عن «حرب» الجزائر. كان ذهاب الجنود الخدمة العسكرية الأوائل الذين تم استدعاؤهم والدعاية حول «تهدئة» الجزائر، في عام 1955، هي التي فتحت عيني، وقلقت كثيراً. في ذاكرتي، لم تبدأ الحرب هنا، حتى لو كان الخطاب الرسمي الكاذب يحاول إخفائه: إذا لم تكن هناك حرب، فلماذا نرسل شباب الخدمة العسكرية إلى هناك ؟

كنت متضامناً مع المتظاهرين من شباب الخدمة العسكرية، لأن لدي بالفعل قناعة حميمة بأن فرنسا ترسل

أطفالها إلى المسلخ. وغاضب جدا ضد ممثلي اليسار : باستثناء التروتسكيين والمسحيين اليساريين، أعلنوا صراحة من أجل استقلال الجزائر. أما الحزب الشيوعي ؟ بقي صامت. أما الحزب الإشتراكي ؟ لا داعي للحديث عنه.

في هذا الوقت قابلت امرأة سوداء شابة أمريكية، اسمها سارة إليزابيث بين[99]، من نيويورك، في لحفل نهاية التصوير الذي نظمه المخرج جان روش[100]. بقينا معاً في تلك السهرة. كانت تتحدث بلغة لطيفة للغاية، وهي خليط من الفرنسية والإنجليزية، تشرب وترقص، وتضحك على حماقتها وأخطائي. في نهاية السهرة، كنت مغرمًا جدًا. ضربة الصاعقة، بكل بساطة. في ذلك الوقت، لم يكن دفتر الطلبات الخاص بي ممتلئًا جدًا، ولحسن الحظ، تم تعييني للتو من قبل شركة تصوير متخصصة في الملصقات السياحية والبطاقات البريدية، حيث كنت على وشك الذهاب للقيام

---

99 - Sarah Elisabeth Penn
100 - Jean Rouch

بروبورتاج لمدة سبعة أشهر على السواحل والشواطئ الأوروبية. فسالتها حينها:

- هل تريد مرافقتي ؟ على الرغم أنه لم تمر سواء بضع أسابيع من لقائنا الأول.

فبحركة سريعة برموشها، كانت كافية، وذهبنا في سيارة صغيرة. كنا نخيم في البرية، ونزرع خيمتنا أينما وجدنا زاوية صغيرة من الجنة الطبيعية الخلابة. التقط صوري في وقت مبكر جدًا من الصباح ونقضي بقية اليوم في اكتشاف المناظر الطبيعية والمدن التي كنا نمر بها حيث كانت سارة إليزابيث، مندهشت من كل شيء. بغض النظر عن نقص الراحة، فقد عشت لأول مرة حياة شاعرية مثالية وبدون سحب. لقد فهمنا بعضنا البعض.

علمتها التصوير، وهي ترسم لوحات جميلة وتصنع مجوهرات مستوحاة من إفريقيا. بالتأكيد، لم نكن أثرياء جدًا، لكننا كنا فنانين وأحرار وسعداء! فالحياة البوهيمية تليق بنا. عملنا بصمت، جنبا إلى جنب ؛ في نهاية النهار وحتى

وقت متأخر من الليل، كنا نبني خططًا ومشاريع للمستقبل. لقد حققنا بالفعل نجاحات فنية ربما، في فرنسا، في الولايات المتحدة. حتى أننا أحببنا أن نتخيل وجه أطفالنا في المستقبل، ونسيت مخاوفي الباريسية، مخاوف الحياة اليومية، التي طغى عليها المخاطر السياسية والسلام والحرب.

بعد عامين مع سارة إليزابيث، حيث أن نصفها كان عبارة عن رحلة عبر السواحل، أصبحت مسألة الذهاب إلى الولايات المتحدة ملحة بشكل متزايد. بدأت أتحدث إلى صاحب العمل، الذي، بعد محاولته إعاقتي، قدم عرضًا غير متوقع: تدريب داخلي في شركته في الولايات المتحدة، تلاه توظيف في الموقع.

غادرت سارة إليزابيث أولاً، وعادت إلى عائلتها. اتفقنا على أن أنضم إليها بعد أربعة أشهر، في أوائل عام 1958، لتنظيم أو بيع أو تكليف الأصدقاء بكل ما لدي. أخبرت من حولي، بأنني سأغادر من أجل أمريكا...

أربعة أشهر هي فترة طويلة. كانت هناك أولاً التهاني والتشجيع و «الموعود، سنأتي ونراك»، ثم استؤنفت الحياة وأصبحت المناقشات السياسية مرة أخرى الموضوع الرئيسي. لأن الوقت كان يمر وتصاعدت الاشتباكات في الجزائر. كنت قلق بشكل متزايد، لكنني ما زلت لا أستطيع إيجاد طريقة للمشاركة بشكل أكبر.

تسبب الصراع في سلسلة من العواقب في فرنسا. بدأت باريس تشعر بالدراما الجزائرية: أصطياد الوجوه، ومراقبة الشرطة المستمرة. لم أكن أعرف الجزائريين شخصياً، لكن أصدقائي في أمريكا الجنوبية أخبروني أنهم غالبًا ما يتم اعتقالهم بسبب شكلهم القريب من شكل سكان البحر الأبيض المتوسط. بالنسبة لي، كان من غير المعقول تمامًا أن تصطاد السلطات الفرنسية الأشخاص ذوي البشرة السمراء مثل مطاردة النازيين للأنف اليهودي قبل بضع سنوات.

وفي أواخر عام 1957، صدرت أولى المنشورات التي تشهد على ممارسة التعذيب على يد الجيش والشرطة الفرنسيين

في الجزائر. كما نعرف ذلك بالفعل، لكن هذه المرة لم يعد من الممكن أن تكون أعمالًا منعزلة. حتى أن بعض كبار القادة العسكريين، الذين يرفضون أن يكونوا شركاء، طلبوا الإعفاء والاستقالة من الجيش الفرنسي. كما البعض، شيوخ المقاومة، لنرى مرة أخرى شبح الجستابو. لقد تغير الضحايا، لكن الأساليب كانت هي نفسها. أكد «انتحار» المحامي علي بومنجل و «اختفاء» موريس أودين أن التعذيب والقتل في الجزائر يتم دون عقاب. إلى هذا تمت إضافة الرقابة. كل من كتب أي نص عن السؤال أو عن استقلال الجزائر، العصيان والهجر، تم القبض عليه على الفور، وتفتيش منزله، ومصادرة الكتابات وتدميرها. كنت قلق للغاية بشأن الشباب الفارين، الذين خاطروا بالسجن مدى الحياة للبقاء في وئام مع ضميرهم. ولكن أكثر من ذلك بالنسبة لأولئك الذين لم يكن لديهم الشجاعة لاختيار العصيان.

ماذا كانوا سيصبحون ؟ الجلادون ؟ الأبطال الموتى للوطن ؟ في كلتا الحالتين، ضحت فرنسا بأطفالها من أجل لا شيء، لأن الجزائر ضاعت لفترة طويلة.

في ذلك الوقت، كنت معتاداً على مقاهي مونبارناس وشارع سان جيرمان. كنت سأستمع إلى موسيقى أمريكا الجنوبية في مقهى ليسكال، وأشرب قهوتي في قلور و سيلاكت و لاريموري مارتينكيز، وخاصة في أولد نايفي، وهو مكان اجتماع للعديد من صانعي الأفلام والصحفيين والمثقفين الآخرين. كنت هناك كل ليلة إبتداءاً من الثامنة مساءاً. كان لدي طاولة هناك، وأتلقى بريدي ومكالماتي الهاتفية، وأنظم اجتماعاتي هناك، والتقي بأصدقائي ورسامي وصانعي الأفلام معظمهم هناك، الصحفي جورج أرنو، الكاتب آرثر أداموف، الكثير من الشخصيات المليئة بالطموح، والعديد من الفتيات الجميلات. قلقون بشأن ما كان يحدث في الجزائر، تحدثنا بشدة عما يجب القيام به - ولم نفعل الكثير في الواقع.

في خريف عام 1957، احتفلت بـ 32 عامًا. مارسيلين لوريدان[101]، صديقة قابلتها هنا، كنت قد رويت لها قصتي ذات يوم عندما عهدت إليها - الناجية من بيركيناو[102]، عادت بطاقة مليئة باليأس، في سن السابع عشرة، وشمًا محفورًا على بشرتها إلى الأبد -، قدمت لي أنيت روجر[103]. طبيبة، من مرسيليا، كانت أنيت شقراء جميلة ونحيفة وأنيقة وذات مزاج مظلم. سرعان ما تعاطفنا، وكما اقترحت، وافقت بسرور على التقاط سلسلة من الصور التي كنت أعمل عليها في اليوم التالي.

لقد كانت جلسة التصوير هذه غريبة إلى حد ما. لا شيء يمكن قوله عن جودة النموذج، لقد كان مثاليًا تمامًا. الحقيقة هي أننا بالكاد عملنا. كانت أنيت فضولية للغاية. أرادت منا أن نتحدث. سرعان ما أدركت أن مارسيلين أخبرتها عن قصصي عن الأوراق الحقيقية المزيفة تحت

101 - Marcelline Loridan
102 - Birkenau
103 - Annette Roger

الاحتلال، لأنها تناولت الموضوع على الفور. عندما أرادت معرفة التفاصيل، أخبرتها بكل شيء، في مونولوج طويل. الحرب العالمية الثانية، المخابرات الخاصة بالجيش الهاغانا وشتيرن. بعد انتهاء قصتي، نشأ صمت بضع ثوان بيننا.

ثم أخذت إلهامها.

- واليوم، هل لا يزال بإمكانك عمل أوراق حقيقية مزيفة ؟»

سألتني، غرقت نظرتها مباشرة في نظري.

- إذا كان السبب يبرر ذلك.

رسمت ابتسامة.

- أعتقد أنك الرجل الذي نحتاجه. هل أنت مستعد لمقابلة (فرانسيس جينسون) ؟

- فرانسيس جينسون، يلقب «بالأستاذ»، لقد عرفته بالفعل بالاسم. من حولي، في الأوساط الفكرية اليسارية، قرأ أو سمع أي شخص كان قلقًا بشأن القضية الجزائرية الكتاب الذي شارك في كتابته مع زوجته، الجزائر الخارجة عن

القانون. ثم كنت قارئًا، في وقتي لمجلة العصور الحديثة[104]، وهي المجلة الفلسفية لجان بول سارتر، وعرفت أنه كان محررها. سمعت أيضًا أنه كان غاضبًا من كامو[105] لأنه وجه انتقادًا سيئًا لكتابه. شخصيًا، لم يكن لدي ما أشكو منه بشأن الجودة الأدبية لكتاب كامو، لكنني أيضًا تخاصمت أيضا مع كامو قبل بضع سنوات في محادثة ساخنة حول الجزائر، حيث لومته على دفئه وعدم تحركه لدفاع عن الجزائريين. لذلك كنت في عجلة من أمري لوضع وجه على اسمه. عقد الاجتماع في شقة مارسيلين في الحي اللاتيني. عندما دخلت غرفة الإستقبال حيث كان فرانسيس ينتظرني، فوجئت بالتعرف عليه. قبل سنوات قليلة، كنت مع أرملة رومان رولاند[106] حيث كنت أقوم بإعادة إنتاج صور أرشيفية لتحرير كتاب عن حياة زوجها، عندما تلقت زيارة صحفي نجول إلى حد ما أراد محاورتها. كان فرانسيس جينسون.

104 - Temps modernes
105 - Camus
106 - Romain Rolland

الآن فرانسيس لم يعد رجل نجول. على العكس من ذلك، أظهر تصميمًا وطاقة مذهلة. شخصية مذهلة من فرانسيس. الفيلسوف الفكري الوجودي، استند في مذهبه إلى فكرة أنه لا ينبغي فصل الفكر عن الأفعال، أو إذا تفضلت، أن مناهضة الاستعمار لا تمارس من خلال البقاء على الهامش في عد النقاط. اهتم بالقضية الجزائرية على مرحلتين. أولاً تحت الاحتلال. تم تجنيده في الجيش الأفريقي خلال الحرب العالمية الثانية، واكتشف أن الجزائر الفرنسية كانت في الغالب فيشيستية[107]، أو لنقل تتعاون مع المحتل الألماني. ثم عاد إلى هناك عام 1948 مع زوجته. أراد أن يعيش بالقرب من المسلمين، ويشاركهم حياتهم اليومية. ثم التقى بنشطاء قوميين. إذا قرر الالتزام التام، شدد على أنه كفرنسي، للحفاظ على فرص الصداقة الفرنسية الجزائرية، وإيقاظ اليسار الفرنسي وأيضًا لأنه كان مثلي، كان مقتنعًا منذ البداية بأن الشعب الجزائري سيحصل على الاستقلال،

107 - vichyste

بمساعدة فرنسا أو ضدها. فكرته: مساعدة الجزائريين على كسب هذه الحرب في أسرع وقت ممكن، لتجنب الخسائر غير الضرورية في الأرواح من كلا الجانبين.

سألني هل أنا موافق على الانضمام إلى الشبكة.

- أجبته: «بالطبع».

- أصر «نعم، لكن الإندماج حقًا».

- حقا، ولكن كيف ؟

- بدوام كامل. القيام بالطباعة. أن تكون قادرًا على الاستجابة بشكل عاجل. العديد من الأوراق، جنسيات مختلفة. وجواز السفر السويسري الشهير، المعصوم من الخطأ... ثم شرع فرانسيس في تعداد لا نهاية له للحاجة إلى أوراق مزورة للشبكة... لم أتخيل أبدًا أن هذا الطلب سيكون هامةً.

جاءني صوت فرانسيس مثل همهمة مخنوقة، بينما ذهبت أفكاري إلى سارة إليزابيث، التي كانت تنتظرني في الولايات المتحدة...

بعد أسبوع، كان لدي موعد مع الذراع الأيمن لفرانسيس جينسون في مقهى لاريموري مارتينيكيز.

- قدم نفسه «دانيال»، واقفًا لمصافحتي، قبل أن يدعوني للجلوس.

هو شخص من البرجوازية. كبير وقوي، يرتدي بدلة وربطة عنق داكنة، جلده مدبوغ عائد من الإجازة الصيفية، ووضعية مميزة، ومحفظة جلدية ناعمة موضوعة على ركبتيه. ابتلع بقية الويسكي قبل الاتصال بنادل المقهى. ويسكي ثان له. أما أنا، فقهوة بالحليب.

منذ البداية، قدمنا أنفسنا لفترة وجيزة. «دانيال»، جاك فينيس اسمه الحقيقي، كان من بوردو وصديق الطفولة لفرانسيس جينسون. والد عائلة هادئة، وعشاق القوارب، وأخصائي الإبحار والصحفي الرياضي في ذلك الوقت، كان يدير دون حماس شركة عائلية صغيرة مختصة في خزف الحمامات قبل الانضمام إلى الشبكة. أخبرني أنه لم يتردد للحظة عندما طلب منه فرانسيس جينسون أن يكون يده

اليمنى وأن يتولى مسؤولية تنظيم الشبكة بأكملها وتنسيق طرق الهروب. والواقع أن شاغله الرئيسي هو تحسين نظام عبور الحدود. لإخلاء الأموال، القادة الجزائريون، يريدون أشخاصًا أو الهاربون، مر دانيال حتى الآن بشكل أساسي عبر الحدود الإسبانية. في في ذلك الوقت، عندما كانت الحرب تتصاعد، كان عدد الفارين يتزايد، وأصبح جمع المساهمات واسع النطاق ومنهجيًا، كان من الملح زيادة الوصول باستخدام جميع الإمكانيات التي توفرها البلدان المجاورة إسبانيا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا.

تم جمع الأموال اللازمة للحفاظ على التمرد، وفرزها، وحسابها في فرنسا، ولكن لا يمكن جمعها إلا في سويسرا. سيكون دانيال الآن جهة اتصالي، وسيحتاج قريبًا إلى أوراق إسبانية وإيطالية وسويسرية وألمانية وبلجيكية وفرنسية للأشخاص المطلوبين ووكلاء الشبكة المعينين في المعبر الحدودي.

عند مغادرته، أعطاني طلبه الأول في ظرف، وأصر على دفع ثمن الإضافة، وحدد موعدًا جديدًا لليوم التالي.

في طريق العودة، شعرت بالارتباك إلى حد ما. ماذا عن هذا الموعد الأول ؟ لقد تحدثنا أكثر من ساعة بقليل.

مثل جينسون، مثلي وكل من انضم إلى الشبكة، كان كرجل فرنسي تعهد، باسم هذه الصداقة الفرنسية الجزائرية، ببنائه، لأن القيم الفرنسية كان يجب أن تكون «حرية – مساواة - أخوة» جزءًا من العمل، لأن استقلال الجزائر كان حتمياً ويجب مساعدتها في كسب المعركة بأسرع ما يمكن إذا كان سيتم إيقاف هذه الفوضى، والتوقف عن إرسال أطفال فرنسا ليموتوا هناك من أجل لا شيء، ولا تفقد ثقة إخواننا الجزائريين تمامًا. كانت قناعاته صادقة وقراءته للأحداث ذات صلة كبيرة، لكن شيئًا ما أزعجني. لم أتمكن من العثور على أول اتصال إيجابي. عندما تركته، كان في الويسكي الثالث. كان لدي انطباع بأن صوته لم يكن واضحًا، وأنه عثر على كلماته، محتقرًا. هل كان ثملاً ؟ لا أعرف، كان

الخطاب ثابتًا. لكن ثلاثة ويسكي في الصباح... هل يمكن لتنظيم شبكة أن يعتمد على كتفيه ؟ كنت متشككا. لأكون صادقًا، حتى أنني وجدت أنه يفتقر بصراحة إلى الجدية. آه، إذا كنت قد عرفت ذلك!

تذكر هذا الدرس: لا تعتمد دائمًا على انطباعك الأول.

لقد قابلت للتو أحد أكثر الرجال فاعلية في الظل الذي عرفته طوال مسيرتي المهنية. في بهو العمارة، ألقيت نظرة على البريد. لا فواتير، ولكن رسالة. أتعرف على كاتب هذا الخط من بين الجميع. تكتب سارة إليزابيث بخط دائري، وأكبر مرتين إلى ثلاث مرات من أي شخص آخر. على الفور يضيق قلبي. صعدت السلم ووضعت الظرفين على الطاولة.

دانيال، تنسيق A4، في الكرافت. سارة إليزابيث، طابع وختم الولايات المتحدة، أبيض، طويل ودقيق، من ورق الكتان، مرتبط بالسكوتش، والذي ربما صنعته بنفسها. على حافة النافذة، يأتي الطائر بيشكين، معتقدًا أنني نسيته. أخرج من جيبي قطعة صغيرة من الخبز وأسحقها وهو يصفر

مثل كل يوم، سيأكل كل شيء ويطير بعيدًا ويعود في اليوم التالي. كيف أحبت هذا الطائر... هذه هي الرسالة الرابعة التي تلقيتها منها منذ رحيلها.

لا أستطيع الإجابة عليها في رسالتها الأخيرة، ملفوفة بورق من الورق المقوى منقوش، ورسم يدويًا، ورسالة بقلم الحبر على طبقة ورقية بالداخل، يبلغ طولها عشر صفحات لأنها تزين كل صفحة بالرسوم التوضيحية والتعليقات، وتسأل: "لماذا لا تكتب لي ؟ أود أن أعرف من سيحل محلي في هذه الأثناء. هل بدأت ببيع ادواتك؟ إنني أتحدث عنك مع أصدقائي لا تنسى أن تأخذ الويسكي على متن القارب لأبي. الجميع ينتظرك. أجبني. "

- ماذا ستقول لي في هذا ؟ لست متأكدًا من أن لدي القلب لمعرفة ذلك.

في الأيام الأخيرة، كان علي أن أتخذ خيارًا أكثر إيلامًا. هي أم هم ؟ الحب أم القضية ؟ لقد نظمنا كل شيء بشكل جيد، وقد غادرت هي الأولى للانضمام إلى عائلتها، وبقيت

لبضعة أشهر أخرى لتسوية العمل اليومي، وبيع كل ما لدي، وتدريب المصور الجديد الذي سيخلفني في العمل.

حتى أنني حصلت على وظيفة في انتظاري هناك، والتي خصصها لي رئيسي في مكتب فرعي. كيف يمكنني أن أخبره أنني لن آتي ؟ لقد كتبت ألف مسودة لشرح صمتي له، لكن نظرًا لحرماني من القوة في كل مرة، لم أجد أبدًا الشجاعة لوضع طابع عليها. سيكون هناك الكثير لقوله، للتوضيح، للكشف، وإجاباتي سيئة للغاية، وغير مكتملة للغاية، سيتعين علينا استئناف كل شيء منذ البداية. هي التي لم تعرف شيئًا عن أفعالي السياسية، هل ستفهم التزامي ؟

غادر الطائر بيشكين دون أن ألاحظ ذلك، ودون ترك فتات. وأخيرًا، لا أفتح ظرف سارة إليزابيث، والذي يوضع في الدرج حيث ينضم إلى بقية مراسلاتها وجميع مسودات الإجابات الخاصة بها.

بدلا من ذلك، أنا أفتح ظرف دانيال. حيث يحتوي على بطاقة هوية ورخصة قيادة بلجيكية يجب أن أقوم

بتزييفها وليس إعادة صناعتها، أي أنه لا يوجد سوى صور الهوية التي يجب استبدالها، وتواريخ الميلاد والمهن التي يجب تغييرها. باستخدام ورق يخص شخصًا آخر، أو مسروقًا أو معارًا أو «ضائعًا» بموافقته، يبدو أن العمل الذي كنت أقوم به في بداية دخولي إلى المقاومة. تم إكمال البيانات يدويًا. يجب أن أحلل الحبر، وأغير لونه، وأعيد كتابته أعلاه. الصورة ببساطة مدبوسة، لكنها مختومة بالراحة في الزاوية، متداخلة على الورق المقوى. الختم الضريبي هو النصف تحت الصورة، وهناك طابع آخر مسطح. ولحسن الحظ، لا يزال لدي في المنزل كل المواد الكيميائية الخاصة بي، أصباغي. حتى أن لدي ألواح التقاط الصور والحمض. المنتجات النقية لا تتضرر أبدًا.

أبدأ بتطوير سبيكة معدنية من اختراعي، والتي تكون نقطة انصهارها منخفضة جدًا. بمجرد أن يتم تسييلها، يجب أن أودع السبيكة مباشرة على الأوراق لأنها ليست ساخنة، وبشكل أكثر دقة على الحاجز المرتفع، ثم أتركها تتصلب.

بالنسبة للوسادة المسطحة، أستخدم حبرًا يحتوي على القليل من الجلسرين، لأنه يظل رطبًا، حيث أعدت رسم الجزء المفقود من الوسادة بدقة على ورق طبقة غير ماص. ثم أضع الطبقة على ورق الجيلاتين الذي سيكون بمثابة حاجز دائم. يمكنني الآن استبدال الصورة بصورة دانيال. يبقى تغيير تاريخ الميلاد والمهنة. أنا أحلل الحبر. إنها صبغة أنيلين سوداء، حبر شائع جدًا، يجب أكسدته لجعله يختفي، ثم يتم تحييده ببخار الأمونيا. أقوم بتطوير محلول من برمنغنات البوتاسيوم وبيسلفيت الصوديوم. وصاحب هذه الأوراق كهربائي، وأعتقد أن دانيال ليس لديه معرفة في هذا المجال. يجب أن أجد شيئاً آخر بعد التفكير، اخترته مهنة الممثل التجاري، إنها تناسبه جيدًا. بحبر من نفس التكوين، أعيد كتابة البيانات الجديدة بدقة، وأقلد بدقة كتابة موظف المحافظة الذي سجل الأوراق، ويتم تشغيل الدور. أوراقي المزيفة الأولى لشبكة جونسون، وهي شبكة دعم جبهة التحرير الوطني في فرنسا، جاهزة. عقد إيجار لم أصنع أوراقًا مزورة. كان آخرها في

عام 1950، قبل سبع سنوات. تم مطاردة مجموعة ستيرن، التي أعلن أنها غير قانونية في إسرائيل، وإدانتها بتهمة الإرهاب. كنت قد قدمت بشكل استثنائي أوراقًا مزيفة لأصدقائي المطلوبين الذين أرادوا العودة إلى فرنسا.

كنت وحدي في المنزل، أراجع وأعيد فحص بطاقة دانيال ورخصة القيادة، وهو أمر راضٍ تمامًا. لم أفقد يدي، والنتيجة مثالية تمامًا.

الجزء 9

مزور عند جبهة التحرير الوطني

كانت هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها فرانسيس جينسون ودانيال مختبر شارع الصيامين. عادة، عندما يأتي أحدهم لتقديم طلب، أستقبله بسرعة في غرفة الانتظار، وأخذ الظرف وأشيعه إلى الخارج. لست ثرثار. لكن في ذلك اليوم، أرادوا «أن يشاهدوا بأعينهم».

تخيلي. أن المخبر يتربع على أكثر من 150 متر مربع. كان من الضروري أولاً عبور ممر طويل حيث يوجد على اليسار، غرفة انتظار الزبائن، ثم ثلاثة أبواب على اليمين وواحد في الأسفل. لقد حولت الغرفة الأولى على اليمين إلى غرفة مظلمة لتطوير الأفلام. حيث اصطفت ثمانية خزانات

ضد الحائط، حيث تم تعديل العديد من الساعات بألوان الحلقات وفقًا لأوقات معالجة، ونقع العديد من موازين الحرارة في الحمامات. كان الباب المجاور يؤدي الى المطبخ، حيث تم تحويله إلى غرفة «الآلات»، حيث يحتوى على جهاز كبير لتلميع وغسل الصور. في نهاية المختبر الرئيسي الكبير. تم غلق النوافذ وتغطيتها باللون الأسود، والاضاءة هي الحمراء والخضراء. تم تثبيت مكبرات الصور الأربعة بالأبيض والأسود والألوان على طاولات الأدراج للأوراق والأفلام والعمل قيد التنفيذ. خزانة التجفيف، طاولات ضوئية، أسطح عمل كبيرة، مقطع الورق، محلل ألوان، عدسة مكبرة، مجهر، مصابيح الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية. مقابل الجدار السفلي، أربعة أحواض محاذاة تحتوي على أوعية للغمس والغسيل، وفوقها تم وضع جميع المواد الكيميائية. في الفضاء، امتدت خيوط الكتان على طول الغرفة بالكامل لتجفيف الأفلام والصور والأوراق.

في الأسفل، باب آخر يؤدي إلى غرفة الطباعة الكبيرة. تحت نافذة كبيرة، في منتصف الغرفة، كانت آلى الضغط كبيرة الليثو، قطعة متحف حقيقية احتفظت بها لسنوات مفككة. على الحائط، الموضوعة على طاولة، كان الحجر الليثوغرافي الذي يقوم بنشر الأحبار، وعلى الحائط بأكمله، كانت جميع لفائف الحبر معلقة على رف. هناك أيضا الواح العمل، وألواح الزنك والأدوات لتقطيعها وإلصاقها بالحجر، وقاطعات الورق، وآلة مصنوعة يدويا لتقليل سمك الأوراق، ورفوف إلى الجدران للأحبار والألوان.

في نهاية الغرفة، باب يطل على ممر يمكن للمرء من خلاله الوصول إلى مخزن كبير[108]. على اليمين، مواد التموين. على اليسار، استوديو التصوير الضخم، والذي كان أيضًا بمثابة غرفة نوم وغرفة استقبال. من باب آخر، تجولنا ووصلنا إلى غرفة الطعام، ثم عدنا إلى غرفة الانتظار ومدخل الشقة. عريني. مختبري.

108 - un grand grenier

الحياة في بعض الأحيان لها مفاجآت غريبة. هل تتذكري غورمون[109]، المصور المقاوم والذي يكره الأجانب ؟ حسنا، هذا المحل يرجع الفضل له في الحصول عليه. عند الانضمام إلى شبكة جينسون، كانت أول حالة طوارئ هي إنشاء مختبر حقيقي. في المنزل، في غرفتين الصغيرتين التي تحولت إلى استوديو بعد أن حولت الغرفة لتصبح مخزن جميع معداتي، من المستحيل القيام بعمل جيد.

لذلك بدأت في البحث عن محل. وكالعادة، لم يكن لدي فلس واحد. عرض فرانسيس دفع راتب لي، لأنه شعر أنه سيحتاج إلي بدوام كامل وأيضًا حتى أتمكن من تغطية التكاليف الفنية، لكنني رفضت، لسببين. أولاً، لأنه كان من الصعب للغاية تحديد تكاليف تشغيل المختبر مسبقًا، لأنني لم أكن أعرف بعد معدل الطلبات، ولكن أيضًا، وقبل كل شيء، لأنني بقبول أجر، كنت سأشعر بأنني سأحول نفسي إلى مرتزق. وقبل كل شيء، أردت الحفاظ

109 - Goumard

على استقلالي. إذا أخذت الشبكة مسارًا لم أتفق معها، مثل تنظيم هجمات إرهابية ضد المدنيين، فسأكون حراً في المغادرة.

لكن الحرية لها ثمن. كان من الضروري الاستقالة من عملي وإعادتي بمفردي، لإنشاء شركة تصوير من أجل التوفيق بين أنشطتي القانونية وغير القانونية.

وبالصدفة، عندما ذهبت لقضاء حاجتي غير بعيد عن البورصة، وجدت هذا الملصق على الحائط، والذي يتضمن الإعلان عن عقد إيجار للبيع بالمزاد. عندما زرتهم، كانت المبنى في حالة سيئة للغاية. المستأجر السابق، وكالة إعلامية قد افلست. كانت قذرة بشكل وحشي، ابتليت الجدران ببقع المثبتات، كل شيء كان فاسدًا. لا أحد يريد ذلك، أنا فرحت فرحة كبير. أولاً، كان الإيجار منخفضًا بشكل يبعث على السخرية، وكان عقد الإيجار مختلطًا. شغل المبنى نصف الطابق العلوي من المبنى، ولاحظت على الفور أن النصف الآخر غير مشغول، وأن هناك سلمين مختلفين للوصول إليه.

من الملائم جدًا عدم مقابلة الناس أو، إذا لزم الأمر، التغلب على الظل بتكتم.

قابلت الموثق، السيد بيتي، رجل جامد واستبدادي، في ستين عامًا من عمره. شرحت له أنني أريد المحلي وأنني أريده أن يحجزه لي، بعض الوقت حتى أشكل فيه شركتي لتوقيع عقد الإيجار.

- كم من الوقت ؟ سألني.

- أنا لا أعرف. كأجنبي، يجب أن أجد مديرًا أولاً.

عندما سمع كلمة «غريب»، عبس السيد بيتي كما لو كنت قد نطقت للتو بفاحشة.

- من أي بلد أنت

- أرجنتيني.

- ماهي الشركة التي تريد انشائها؟

- تقنية التصوير الفوتوغرافي باللوان. والتقاط الصور أيضًا.

فجأة انغمس في ذكرى لا تبدو مزعجة للغاية.

- قال: «أعرف التقاط الصور قليلاً». كان لدي صديق، للأسف متوفى، كان يلتقط الصور. لكنه كان رائعًا. درس في مدرسة إستيان[110].

- ما اسمه ؟

- هنري جومارد.

- كنت أعرفه أيضًا. لقد كان أستاذي

منذ ذلك الحين، أخذني السيد بيتي في عاطفة. منذ أن كنت تلميذًا لصديقه العزيز الراحل، قرر أن يأخذ الأشياء في يده ويساعدني. أعطاني على الفور المفاتيح لبدء العمل. بالنسبة لتسيير الشركة، اقترح أن يكون ابنه، وهو رجل نبيل يبلغ من العمر حوالي أربعين عامًا عمل معه أثناء قراءة العقد، رسميًا، على الورق على الأقل، هو المدير. مزور جبهة التحرير الوطني لديه كمدير متعاطف مع اليمين المتطرف، بصراحة، لم أستطع أن أحلم بتغطية أفضل.

110 - l'école Estienne

اندهش فرانسيس ودانيال من زيارة المختبر بألف سؤال. صحيح أنه كان هناك شيء يمكن رؤيته. كنت قد شرحت لهم للتو كيف يمكننا، بفضل الصورة، صنع الطباعة الحجرية الضوئية، وإظهار كيف نحصل على رد فعل للحبر بعد مزيج من الألوان. لكن أكثر ما أبهرهم هو صندوق الأرشيف الخاص بي، الذي يحتوي على الخرائط، بطاقات الهوية والطوابع من الحرب العالمية الثانية والتأشيرات الجماعية من الهاغانا.

- أنت توافق بأنه لا يوجد شيء لا نستطيع عدم تزويره، أليس كذلك ؟»

سئل فرانسيس من خلال فحص تأشيرة من البرازيل بعدسة مكبرة.

- هذا صحيح. ما فعله وتخيله رجل يمكن بالضرورة أن يستنسخه آخر.

- هناك طلب عاجل لجوازي سفر سويسريين بعد غد.

جوازات السفر السويسرية الشهيرة. منذ أن استأنفت صناعة الأوراق المزورة، لم أواجه أي صعوبات كبيرة، باستثناء التأخيرات التي كان من الصعب في البداية مواجهتها. كان كل شيء منذ البداية طويلاً ومملاً. لم تعد بطاقات الهوية الفرنسية ورخص القيادة وجوازات السفر تشبه ما كانت عليه حتى عام 1950، لذلك لم يكن لدي نموذج صالح أو كليشيهات أو ختم. لكن جواز السفر السويسري وحده كان تحديًا تقنيًا حقيقيًا، لمرة واحدة، لم أكن متأكدًا من أنني أستطيع التحدي. لم يكن ملمس الغلاف، وهو ورق من الورق المقوى فائق الخفة، جامدًا ومرنًا للغاية، يحتوي على علامات مائية مرتفعة، مشابهًا لأي ورق آخر في العالم. لم يكن أحد قادرًا على إعادة إنتاجه، وكان لدي يومان فقط لإيجاد الحل!

دون أن أضيه دقيقة، حبست نفسي في المختبر وجربت كل شيء، كالعادة، بمزيج مختلف من الورق والسليلوز والغراء. لسوء الحظ، كانت الاختبارات الأولى مخيبة للآمال للغاية.

حصلت إما على المرونة أو الصلابة، وليس كلاهما في وقت واحد. كان علينا أن نبدأ باستمرار من جديد، ونثابر، ونجرب جرعات جديدة... ذات يوم، مرت ليلة واحدة، وما زلت لا أملك أدنى تلميح. مشيت في المختبر من طويل إلى واسع لمحاربة النوم. لم يكن هذا هو الوقت المناسب للتنزه. لكن التعب أعقب فجأة صداعًا عنيفًا، وإحساسًا لسعة الإبرة خلف العينين مباشرة، وقرح حاد يخطف الأنفاس.

من المستحيل محاربة هذا الألم. استلقيت على الفور على المقعد الخشبي، الوقت الذي يستغرقه. وبإغلاق عيني تركتها، تركت نفسي حرفيًا ينجرف بعيدًا عن النوم.

صدقي إذا أردت، واصلت العمل أثناء النوم. في حلمي، أكمل تجربتي، مع أشكال أخرى من الورق، وأضيف السليلوز بكميات صغيرة، ولا أعرف ما الذي يلف ذهني، ربما بسبب الصداع وحقيقة أنني لم يكن لدي الوقت لابتلاع الأسبرين، تذكرت أن شاش تضميد الجراح[111] يحتوي على

111 - la gaze à pansement

الكثير من السليلوز النقي. حلمت أنني سأقطع القطع وأدمجها في لب ورقي مصنوع يدويًا صنعته من أوراق مختلفة تم اختيارها لتشابهها مع النموذج، قبل حلها في حل أساسي. كنت أفحص النتيجة بمجرد أن تجف الورقة. لا تصدق!

استيقظت على الفور. كان لدي منحنيات في كل مكان للنوم على الخشب، لكن الصداع قد انتهى. منذ متى وأنا نائم ؟ في الخارج، كان الظلام بالفعل. مكثت بين عشية وضحاها وفي الصباح. هرعت إلى الحمام وفتحت خزانة ملابس الصيدلية وبحثت في الداخل. من الشاش تضميد الجراح... هل كان ذلك ممكناً ؟ إذا كان الأمر كذلك، فربما كان هناك أمل، مهما كان صغيرًا، في أن تكون جوازات السفر جاهزة في الوقت المحدد. بدأت اعمل بدقة كما في حلمي، قطعت الشاش ودمجته في اللب بعد إذابته. بعد خلط المستحلب بضع عشرات من الدقائق، حصلت على عجينة تلبي توقعاتي. وضعت أطباقي في المجفف. استمر التجفيف لساعات لا نهاية لها، اتخذت خلالها الخطوات

المائة. في الصباح الباكر، كان لا يزال يتعين علي تنفيذ التدحرج للحصول على سمك منتظم مطابق للنموذج، وأخيراً يمكنني مقارنتها.

كان لأوراقي نفس الملمس بالضبط عند الرؤية، وكان الاتساق مطابقًا للمسة، وحتى تحت المجهر، كان من المستحيل اكتشاف أدنى عيب، وأقل أثر للتزوير. باختصار، كل ما تبقى هو تلوينها وطباعتها وقطعها وتركيبها على الزلات الداخلية لجواز السفر. وغدًا، فكرت بعد ذلك في الابتسام، سأذهب إلى الصيدلية لشراء الكثير، الكثير من شاش تضميد الجراح...

الجزء 10

منخرط في جبهة التحرير الوطني

في الجو الناعم وضوء المساء المتساقط والمنبعث من النافذة الكبيرة، أدير بإيقاع منتظم المفتاح الحديدي لألة الطبع والتي أحضرتها لي ماري ألين[112]، فالألواح الورقية المطبوعة عند المخرج. وفجأة بكاء الطفل كسر هذا الصمت.

- إنها استيقظت، نأخذ استراحة، ماري ألين تتنهد وهي ذاهبة لتجلب ابنتها.

أنا الآن أصنع العديد من جوازات السفر السويسرية. فسمعت هذه الجوزات التي يستحيل تزويرها تضمن النجاح للعديد من العمليات الخطيرة. علمت بعد سنوات عديدة أنه في الواقع، عندما جاء فيه فرانسيس ودانيال لطلب أول

112 - Marie-Aline

جوازات سفر سويسرية، كذبوا علي: لم يكونوا بحاجة إليها على الإطلاق. كان كلاهما مفتونًا، لأنه مع كل طلب، حتى الأكثر تعقيدًا، حتى في أقصر وقت، أخذت النموذج دون أن أقول أي شيء وقدمت العمل في الوقت المناسب. أرادوا وضع إمتحاني وسماعي أقول، ولو مرة واحدة: "لا أستطيع."

أكيد أنني سأفشل، سيقولون لي الحقيقة. ولكن عندما أحضرت جوازي السفر، شعروا بالغباء وأعادهم دون أن يجرؤوا على قول أي شيء، وقد أبلوا بلاءً حسنًا. لم أكن أعرف خلفية هذه القصة إلا بعد عدة عقود. مزحة سخيفة، حقًا، لكن في الأخير، هذا وفر لي الكثير من الوقت، لأن جواز السفر السويسري كان ثمينًا، وسرعان ما تحتاجه المنظمة.

عادت ماري ألين للظهور فجأة، وزجاجة حليب بنتها في يدها، وقماشة الرضيعة في الأخرى، وناتالي الصغيرة، التي لا تزال تبكي.

- يجب أن أعطيها تأكل. وأيضًا أن تأخذ حمامها قبل وصول مربية الأطفال.

ظهرت ماري ألين في حياتي كزهرة في الربيع. ذات يوم لم نكن نعرف بعضنا البعض وفي اليوم التالي عشنا معًا، كما لو كنا نعيش مع بعضنا البعض منذ سنوات.

في مقهى أولد نايفي[113]، قالت لي أحدى الصديقات ذات مساء: «قل، أدولف، ألن يكون لديك وظيفة لصديقة تحتاج إلى بعض المال ؟» كنت قد وقعت للتو على عقد إيجار مختبر شارع الصائمين، الذي كان أسود من الأوساخ. كل ما كان علي تقديمه هو القليل من المال مقابل يد للتنظيف. في اليوم التالي، قدمت إمرأة قصيرة، تبلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين عامًا، مطوية شعرها الأشقر خلف أذنيها التي سقط على عينيها الزرقاوين الكبيرتين.

- اسمي ماري ألين، جئت للتنظيف!

113 - Old Navy

كانت متألقة ومضحكة ولم يكن لسانها في جيبها. جاءت إلى العمل ولم تغادر أبدًا. علمت بعد بضعة أيام أنها لها بنت، وأنها بحاجة إلى المال لدفع المال للمربية التي وضعت ابنتها معها أثناء انتظار أن تتمكن من استعادتها. صنعت سريرًا صغيرًا ركبته بجوار سريرنا في استوديو التصوير، وذهبنا لإحضار البنت ناتالي.

مع بدء تشغيل الشركة والمطبعة الغير قانونية، كان هناك الكثير من الأعمال يجب إدارتها في نفس وقت.

على الرغم من أنها كانت ملتزمة سياسياً وتدافع بحماس عن القضية الجزائرية، إلا أن ماري ألين لم تكن على علم بعد بنشاطي المزدوج. كيف أخفيه وهي تعيش وتنام وتأكل وتعمل في نفس المكان ؟ كان من الضروري إبلاغها. في البداية، أصيبت بالخوف، وتخيلت هبوط الشرطة في أي وقت من النهار أو الليل لاعتقالنا. ثم تغلبت على مخاوفها وقررت مساعدتي بين زجاجتين حليب تقدمهما الى بنتها.

الجرس يرن. أستعيد الورقة الأخيرة من آلة السحب وأقوم بتخزينها بعناية في الدرج. أغلق أبواب غرفة الطباعة والمخزن والمختبر الرئيسي وغرفة المحرك قبل الفتح الباب لمربية الأطفال. أوريلي، شابة أوراسية[114] تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا وتتمتع بمظهر ناعم وحزين، تدخل السقيفة وتقدم نفسها على استحياء. إنه صديق الذي نصحنا لها، لأننا منذ وصول الرضيعة لا نخرج إلا قليلاً . بينما تقدم لها ماري ألين جميع التوصيات وأنني أتحقق مرة أخيرة من عدم وجود أي ظاهر في الأفق، يرن الهاتف. وفي الطرف الآخر من الخط يوجد هنري وهو صديق ومصور:

- أدولف، يجب أن أخبرك بشيء. هل أنت حر غدا ؟

- نعم.

- سنلتقي في سان كلود على الساعة 17.

بمجرد وصولنا إلى أولد نافي، يكلمني صاحب المقهى.

- لديك بريد.

114 - Eurasienne

تم إعادة طلاء الظرف بالكامل بالعلم الأمريكي وهو موجه إلى صاحب أولد نافي شارع سان جرمان باريس فرنسا. على ورقة من حجم A3 مطوية على ثمانية، كتبت سارة إليزابيث هذه الجملة فقط: "أخبر إلى أدولف أن أمريكا تنتظره ". في الأخير تمكنت من الكتابة إليها لأخبرها أنني لن آتي، رجوتها على العودة للعيش في باريس. لكنها لم تفهم. كيف كان بإمكانها فعل ذلك، لأنني لم أستطع أن أكشف لها العذاب الذي أعاقني في فرنسا ؟ في الرسالة التالية، طلبت تفسيرًا، ولم أتمكن من تقديمه، أوقفت بمرارة جميع الاتصالات.

-حسنًا، قل، رأسك غليض!» "تصرخ ماري ألين، كل الابتسامات، التي تسحبني من الكم. كلود يريد رؤيتك، تعال.

كلود رافارد، جالسًا في أسفل المقهى، يشير لي بيده. أتسلل بين الزبائن، وأسلم على بعض الأيدي وأوزع بعض

القبلات في الطريق. كلود بقي جامد وينظر الي بشكل غريب، يبدو منزعجًا.

- يبدوا أنك لست في يومك.

- لدي مشكلة يجب حلها قبل الغد. ربما ستعرف كيف تساعدني، وهو يحرك مكعبات الثلج في كأسه.

- قل، تحدث.

- طُلب مني إيواء جزائري مطلوب. وهو شخصية كبيرة. إلا أن لدي بالفعل واحد في غرفتي. لدي مهلة حتى الغد لإيجاد مخبأ جديد.

كنت أنا من أدخلت كلود في الشبكة. وكانت الإقامة إحدى أولوياتنا، لإن سيتم اعتقال الجزائريين المطلوبين بشكل منهجي إذا أقاموا في الفنادق. ولا يمكنهم الذهاب وتناول الطعام في المطاعم، ولا يمكنهم المخاطرة بالمشي. أنشأ جاك تشاربي[115]، الممثل الملتزم، شبكة استضافة فعالة بشكل خاص من خلال الاستكشاف مع أصدقائه

115 - Jacques Charby

الممثلين ورجال ونساء الفن. ومع ذلك، نظراً لأن الجزائريين لم يتمكنوا من النجاح لبعضهم البعض إلى أجل غير مسمى في نفس الشقق، كان من الضروري العثور باستمرار على نقاط جديدة. ذات يوم، أخبرني فرانسيس ودانيال عن الإقامة للتنظيم خارج قائمة «مضيفي» جاك تشاربي. فكرت على الفور في كلود. وهو مسؤول نقافي في الخطوط الجوية، طلب فقط التعاون، بشرط أن يُترك بعيدًا عن الشبكة لأنه، بصفته عضواً نشطًا في الحزب الشيوعي، كان عليه التصرف سراً إذا لم يرغب في المخاطرة بالاستبعاد من الحزب، مثل كل أولئك الذين دافعوا علنًا عن القضية الجزائرية. ويضيف:

- يبدو أنه ليس مجرد أي شخص، وهو يبتلع محتوى الكأس. مسؤول كبير جدًا، يحتاج إلى مكان آمن حقًا، حيث لن يكون لدى أحد فكرة البحث عنه.

- ربما لدي فكرة. إذا أردت، سأعتني به.

عند العودة، كان المنزل صامت. ماري ألين وأنا عدنا بخطوات وجيزة. تخترق أضواء الليل القليلة بلا حراك

النوافذ. ناتالي تنام بعمق في سريرها الصغير. واوريلي المربية، مسترخية أيضًا على المقعد الخشبي. ماري ألين تلقي لي نظرة ممتعة، ثم ترفع كتفيها، قبل أن تلتقط بطانية في الخزانة لتضعها حول المربية.

في اليوم التالي، غادرت المختبر في الصباح الباكر. لدي يوم حافل في المنظور. يجب أن أجد حل للشخص الجزائري الذي اقترحه علي كلود للمبيت. بعد ذلك، في الساعة 17:00، أذهب إلى مقهى سان كلود مع هنري، صديقي المصور الذي اتصل بي في اليوم السابق. لكن، قبل كل شيء، لدي مشكل آخر يجب معالجته.

لا يزال هناك بعض المشاكل المالية التي تواجهني. لقد دفعت للتو إيجار المختبر. لم يتبق لدي أي شيء على الإطلاق وسأصل إلى نهاية مخزوني من الأحبار والمواد الكيميائية والورق.

في الظروف المالية الصعبة، قلة من أقاربي يعرفون هذا، لكن هنا، عندما اكون «تحت الصفر»، يعرفونني

جيدًا. بالنسبة إلى آلة التصوير Rolleiflex أعرضها للبيع بعشرة بالمائة فقط من قيمتها. لقد بعت واحدة، بالإضافة إلى آلة تصور 36 × 24 Exakta، والذي سأعود لاسترجعها عنه بدفع الفائدة في أقرب وقت ممكن. لفترة من الوقت، تمكنت من التوفيق بين نشاطي المزدوج، لكنه لم يدم. قبل أن أنظم وقتي خمسين خمسين.

لقد سمحت لي طلبات التقاط الصور، التي تم فوترتها، لإنتاج تلك الأوراق المزيفة مجانًا لجبهة التحرير الوطني. أما اليوم، أعمل بنسبة 100 في المائة تقريبًا لصالح جبهة التحرير الوطني، وصندوق فارغ والديون تتراكم.

بسبب هذا الالتفاف، فقد حان الظهر بالفعل عندما أصل إلى صديق قديم. فيليب يرحب بي بحرارة في شقته البرجوازية الهائلة في الدائرة السادسة عشرة. عندما طلب مني كلود العثور على مكان آمن، حيث لن يكون لدى أحد فكرة البحث عن جزائري، فكرت فيه على الفور. إن وجود مسؤول كبير في جبهة التحرير الوطني يستضيفه يهودي

فرنسي مؤيد للجزائر أمر جريء، لا يمكنك العثور عليه ؟ لكن لا يمكننا أن نحلم باختباء أفضل. كان فيليب عضواً سابقًا في حركة المقاومة والشباب الصهيوني، وذهب للانضمام إلى فرع من عائلته في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، واستقر اليهود ذوو الأقدام السوداء هناك لعدة أجيال. دفعته الأحداث في النهاية إلى العودة إلى باريس. منذ ذلك الحين، أعلن بصوت عالٍ دعمه للجزائر الفرنسية.

لا، حقًا، لن يفكر أحد في العثور على جبهة التحرير الوطني في المنزل. نظراً لأننا لم نر بعضنا البعض منذ بضع سنوات، فإننا نتحدث عن كل شيء ولا شيء، ونلخص بعض القصص من الماضي، قبل المجيء إلى الحاضر والمشكلة التي تجلبني.

بالكاد نطقت بكلمة FLN أن فيليب يقف من كرسيه، أحمر مع الغضب، صاخباً:

- إنه أمر مثير للاشمئزاز ما تطلبه مني، لأنك تعلم جيدًا أنني لا أستطيع رفضك!

وبمجرد أن انتهى من الصراخ ردت له:

- نعم، يمكنك الرفض. أنت تقول نعم أو لا، وإذا كنت ترفض، فلن نتحدث عن ذلك.

- بعد كل ما فعلته من أجلي ؟» لقد أنقذت حياتي لقد أنقذت أبي وأمي وأختي لا أستطيع أن أقول لك لا!

- لذا قل نعم.

"أنا أحذرك، أدولف. مرة واحدة، ولكن ليس مرتين!

كنت لا أزال منكوب قليلاً عند حوالي ساعة من ذلك، دفعت باب سان كلود ودخلت نفسي في صخب القهوة الهادئ.

هنري ينتظرني بالفعل في الحانة.

- لنذهب إلى الخلف، هناك أكثر هدوءًا، يقترح طاولة في زاوية.

نحن وحدنا في الغرفة الخلفية. يقترب هنري من خلال الاتكاء على الطاولة ويخاطبني جميعًا.

- اتصل بي جزائريون.

- آه نعم ؟
لا يستطيع هنري تحت أي ظرف من الظروف الشك في أنني أساعد جبهة التحرير الوطني. بصرف النظر عن ماري ألين وعدد قليل من الآخرين، لا أحد يعرف. هنري يقترب أكثر.
- إنهم يبحثون عن مزوّر لشبكتهم.
أنا أخفي دهشتي.
"أنت أحد أولئك الذين يتمردون على التعذيب، لذلك تحدثت عنك... أضاف هنري.
- لم أصنع أوراقًا كاذبة منذ فترة طويلة، أخيرًا، هنري، كما تعلم.
- أعلم أنك تتفق معي في أن هذه الحرب سخيفة.
فكر، وقل لي نعم أو لا.
- من هم هؤلاء الجزائريون الذين اتصلوا بك ؟
- الحركة الوطنية الجزائرية (MNA).

أهز قهوتي، أنظر إلى هنري للحظة. الحركة الوطنية الجزائرية، أول حزب استقلال جزائري بقيادة مسالي حاج، ترفض العمل مع جبهة التحرير الوطني. حتى أن كلا الطرفين خاضا حربًا دموية بينهما. وأضاف «لديهم الرجال والهيا كل وشبكة كبيرة جدا».

- حسنًا، ماذا يحتاجون بالضبط ؟

- يريدون مائة بطاقة هوية فرنسية. لديهم ما يكفي للدفع. عشرة ملايين فرنك. لذا، نعم أم لا ؟

أقول «أنا بحاجة إلى وقت للتفكير.

- حسنًا، سأخبرهم. في غضون أسبوع، اذهب إلى نفس المكان في نفس الوقت.

هنري يمزق صفحة من مذكراته إلى نصفين، ويعهد لي بواحدة.

- شخص ما سيكون لديه النصف الآخر، وستعطيه إجابتك.

أضع الصحيفة المكونة من نصف صفحة في جيبي، وأحيي هنري، وأغادر المقهى وأختفي في الضباب الرمادي للمدينة.

لا شيء مثل المشي السريع على الأرصفة للتفكير. ما هي تلك القصة، في الواقع ؟ إذا كان MNA بحاجة إلى بطاقات هوية، فلماذا لا تصنعها ؟ لقد رأيت في الماضي أنه من الممكن العمل مع مجموعات مختلفة في نفس الوقت، إذا دافعوا عن نفس الأسباب. خلال المقاومة، لم أكن قلقًا بشأن ما إذا كانت الطلبات جاءت من FTP أو MOI أو MLN. اليوم أنا مستقل، حر جدا... ومع ذلك، يزعجني شيئان خطيران، الأول هو المعركة التي تخوضها الحركة الوطنية الجزائرية وجبهة التحرير الوطني. أما الثاني فهو المال. عشرة ملايين لمائة بطاقة، ليس المبلغ الذي يصدمني. هناك حاجة إلى وسائل مالية لإنتاج منتجات مزيفة. الوقت والمعدات والمنتجات باهظة الثمن. لكن اسمحوا لي أن أعرض عليّ مبلغًا محددًا مسبقًا من المال مباشرة لمسألة الأخلاق. يجب أن أتحدث مع جينسون حول هذا الموضوع

قبل أن أتخذ قرارًا ، يجب أن أراه غدًا في مارسيلين[116] لتقييم الطلبات الحالية.

بعد أسبوع، اتصل بي فيليب: وطالب بنبرة استبدادية:

- أدولف، تعال إلى منزلي، يجب أن أتحدث إليك.

ذهبت على الفور إلى منزله خشية حدوث شيء خطير بينه وبين الجزائري. خلاف أو نزاع أو ما هو أسوأ...

فيليب يفتح الباب ويصرخ:

- آه، أدولف! الجزائري الذي أحضرته لي، كان مثقف ثقافة عالية! في الأساس، ما يقوم به هي المقاومة، مثلنا. إذا كان لديك آخرين من هذا القبيل، يمكنك إرسالهم إلي.

لا يسعني هنا إلا أن أبتسم لهذا التعايش المذهل. تحدثوا عن الموسيقى الكلاسيكية والأدب والفلسفة، ثم كفاحهم، والعنصرية التي تتعرض لها شعوبهم.

الوقت يجري. أمرر يدي في جيبي للتحقق من أن نصف صفحة الصحيفة التي أعطاني إياها هنري الأسبوع

116 - Marcelline

الماضي لا تزال موجودة وأشكر فيليب مرة أخرى على كرم ضيافته قبل أن أسلك طريق سان كلود لمقابلة مبعوث الحركة الوطنية الجزائرية (MNA)، الذي ينتظر إجابتي فيما يتعلق بمائة بطاقة هوية فرنسية. لقد أخبرني فرانسيس جونسون بالحذر، لأن الحركة الوطنية الجزائرية تعمل مع الشرطة! بعد إجراء تحقيقه.

أجلس، بالضبط على نفس الطاولة حيث كنت مع هنري قبل أسبوع، في زاوية من الغرفة الخلفية، بعيدًا عن الآذان الطائشة. رجل مثل بقية الرجال، حوالي أربعين عامًا، يقترب ويجلس على طاولتي. من جيبه، يخرج قصاصة نصف صحيفة ويعطيها لي. أنا أعطيه الجزء الذي هو عندي. لديه عين حزينة وكروية، وجه سميك ومستدير لا يتوافق مع صغر يديه، وكأنهما ليسا يديه. ضابط شرطة ؟ ربما. يمكن لا. نحن بطيئون في التواصل. ينظر إلي، أنظر إليه. أخيرًا، أنا من يكسر الصمت.

- اسمع، لقد فكرت مليًا في اقتراحك، ولن أقوم بهذا العمل.

يستهجن وحجاب خيبة الأمل يمر فجأة على وجهه.
أشعر بالحرج قبل أن أستمر، وأتظاهر بالأسف الصادق.
- أنت تعرف قصتي. أنت تعرف ماذا فعلت خلال المقاومة، أليس كذلك ؟
- نعم.
- أنت تعرف أيضا أنني يهودي... ليس الأمر أنني عنصري... لكنهم عرب...
الرجل يحرك رأسه. على ما يبدو، قد فهم.

الجزء 11

في جبهة التحرير الوطني

جوان 1961. قبل أيام قليلة، وأثناء عودتي إلى المنزل، رأيت رجلاً يبدو وكأنه ينتظر في أسفل المبنى. لقد بدأ لي في هيئة شرطي. طريقة الانتظار، تبدوا طبيعية للغاية. يرتدي معطف رمادي، المظهر الحاد والغاضب كالثعلب. استدرت قبل أن يراني. مشيت. ثم ذهبت لشرب القهوة. عند عودتي، كان لا يزال هناك. غادرت على الفور. في اتجاه قاعة السينما لوقران راكس "Grand Rex" حيث يتم عرض فليم مقتبس من رواية فرانسواز ساغون[117] تحت عنوان : هل تحبين براهمس؟ مع إنجريد بيرجمان وإيف

117 - Françoise Sagan

مونتاند وأنتوني بيركنز. إختفيت وسط الأشخاص الذين ينتظرون الدخول لمشاهدة هذا الفيلم إلى غاية القاعة المظلمة، وعدت أخيرًا بعد نهاية الفيلم والذي استغرق مدة طويلة. في هذه المرة، لم يعد هناك. جنون العظمة ؟ أشك في ذلك. ولكن بعد موجة الاعتقالات الكبيرة العام الماضي، لا ينبغي الاستخفاف بالتفاصيل. تقريبا جميع عملاء جينسون في السجن. أما الآخرون، فقد اختفوا عندما حان الوقت. جينسون نفسه، دانيال، ذراعه اليمنى المسؤول عن قسم الهروب، والبعض الآخر، " المعروفون بمساندهم للقضية الجزائرية "هربوا بأوراق مزورة. انضموا إلى شبكة الدعم البلجيكية لجبهة التحرير الوطني، وواصلوا العمل من الخارج. منذ ذلك الحين، تعمل الشبكة الفرنسية تحت رعاية منظمة هنري كوريل.

لكن في أكتوبر الماضي، وجد كوريل، الذي ألقت الشرطة القبض عليه أيضًا، أخيرًا في سجن فرين[118] مئات نشطاء جبهة التحرير الوطني الذين يقبعون هناك.

لم يبقى الكثير منا من المنظمة القديمة من الذين لا يزال في مكانه. إذا كنت قد نجيت بنفسي من الاعتقالات، فهذا ليس بمعجزة. كنت أعرف كيف أتصرف، ليس بدون صعوبة، لأننا نظهر في المختبر بشكل كبير. طلبت أن يكون لدي اتصال واحد فقط، على الرغم من أنه لا يتم احترامه دائمًا، وعملت بجد للابتعاد عن حياة الشبكة. لكن هذه المرة، شعرت حقًا بالخوف. في بعض الأحيان نحتاج إلى معرفة كيفية توقع الكوارث، إذا بقيت هنا، فإن سأكون محاصر في النهاية. الرجل في أسفل المبنى ليس الدليل الوحيد. من المحتمل أن المجموعة يمكن أن تصل اليَ، لأنني لم أستطع خلال المحاكمة منع الزيارات المتكررة لرولان دوما، الذي كان يدافع عن المتهمين الفرنسيين، أو زيارات

118 - Fresnes

المتهمين الفرنسيين أو فرانسيس جينسون، الذي جاء، متنكرا، بينما كان مطلوبا. ناهيك عن الاحتجاج الإعلامي حول المحاكمة، حيث أثار بيان 121 واعتقال جورج أرنو[119]، المسجون لأنه اجرى مقابلة حصرية مع فرانسيس جينسون الذي مازال هارباً من العدالة، حيث أن الكثير من الفرنسيين أنضموا لقضيتنا. تم تجنيد رؤساء جدد، شباب، لخلافة كبار السن، ومن بين «الرؤساء الجدد»، الذين تم اختيارهم من خلال الرعاية، لم يكن لديهم الوقت جميعًا للتدريب على الحياة السرية. هناك معلومات متبادلة عبر الهاتف وتدابير وقائية ورموز سرية غير محترمة.

بعد زيارة الرجل المشتبه به صاحب المعطف الرمادي، أعطيت التنبيه على الفور. في أعلى السلطة في بروكسل، كانوا بالإجماع وقاطعين، لا يجب أن نقع في الخطأ ويكتشف المختبر. غدا، سأترك باريس في سرية تامة. هذه المرة، السرية الكاملة هي الضرورية، ونهاية استقلالي.

119 - Georges Arnaud

سيتم نقل مختبر الأوراق المزورة إلى بلجيكا، وسأحصل الآن على «عمل دائم» مثل بقية الأعضاء الآخرين في الشبكة، وستغطي المنظمة جميع التكاليف الفنية. منذ بضعة أيام، كنت أنظم هروبي مثل الماراثون. أفكر في ألف شيء وأنظم في نفس الوقت. أولاً، حل «المشكلة الإسبانية». جاء خوسيه وكارلوس وخوان، وهم ثلاثة جمهوريين إسبان مناهضين لفرانكو، كنت أساعدهم بالتوازي منذ بضع سنوات، للبحث في كل واحد عن «صندوق» يحتوي على الطوابع وأحبار ومعدن بنقطة انصهار منخفضة جدًا من أجل الطوابع وبعض الأدوات التي يجب أن تسمح لهم بالاستمرار بدوني وأثناء غيابي.

كان لدي أيضًا مخزون كبير من الوثائق الفارغة لتحضيرها قبل مغادرتي، للتعامل مع حالات الطوارئ، لنقل مختبر عملياتي إلى بلجيكا. لمدة أسبوع، استمرت آلة السحب تعمل دون انقطاع.

كانت الاستعدادات قبل مغادرتي على وشك الانتهاء. كنت على وشك الخروج للقيام بزيارة أخيرة لأبنائي، مارث وسيرج، اللذان يبلغان من العمر 11 و 10 سنوات، وكانا يعيشان مع والدتهما، عندما اقتحمت جانيت، عميلة الاتصال الخاصة بي، المختبر في كارثة. أرادت مفاتيح لفتح قفل زينيث[120]. أعطيتها العشرات من هذه المفاتيح، بينما أوضحت لي أن زينيث أقفال أمنية ولن يمشي أي منها. لم ترغب في سماع أي شيء، وبعد أنها ستنتظرني، غادرت بالسرعة التي ظهرت بها.

بعد ساعة، عادت جانيت. كما توقعت، لم تعمل المفاتيح. انهارت في أحد الكراسي الكبيرة في غرفة الانتظار، وحملت رأسها بين يديها بحسرة طويلة.

- ألا تريد إخباري بما يجري ؟

- يجب أن تساعدني يا (يوسف)» رئيس قسم جبهة التحرير الوطني تم القبض عليه للتو مع شريكته، النقابية الفرنسية

120 - verrou Zénith

CGT[121] في رينو[122]، في شقة بالباريسية حيث كانوا يعيشون. لحسن الحظ، لم تجد الشرطة شيئًا على الفور. لكنها تمتلك شقة أخرى باسمها، وهنا قاموا بتخزين أرشيف القسم. إذا عثر رجال الشرطة على هذا العنوان، فسيكون لديهم أسماء المئات من نشطاء جبهة التحرير الوطني المعرضين لخطر السجن أو الإطاحة بهم من قبل منظمة الجيش السري (OAS) إذا كشفت الشرطة عن هوياتهم. المفاتيح لا تعمل، لا يمكننا كسر الباب دون أن يتم كشفنا ، لا أعرف ماذا أفعل بعد الآن.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها جانيت تستسلم للذعر.

هذه الشابة البالغة من العمر أربعة وعشرين عامًا، وهي عضوة سابقة في IDHEC[123] ومحررة في مجلة الأفلام Positifs، تم تقديمها لي عميل اتصال لي منذ أكثر من عام،

121- الكنفيدرالية العامة للعمال.

122 - Renault

123- المعهد العالي للدراسات السينماتوغرافية.

عندما كان على جميع اتصالاتي من الجيل القديم الذهاب إلى المنفى. أدركت على الفور أن جانيت كانت واحدة من أولئك الذين لم يصابوا بالخوف. مخاوفها دمرت منذ الطفولة، عندما كانت تقع بين ذراعي والدتها وسط مجموعة بعد المهربين، تجاوزت الخط. ظهر جندي ألماني وأخذ جميع العائلات... باستثناء هي ووالدتها، اللتين ألقيت بادرة يائسة في الأكوام. من هذه الذكرى، للحصى التي ألقيت على أختها وهي تهان، حافظت جانيت على الإحساس الشديد بالعنصرية، والحاجة النهمة لمحاربة الظلم، وفكرة أن الالتزام يجب أن يكون كاملاً ومطلقًا. كان بإمكاني أنا وهي ما علينا إلا أن نفهم بعضنا البعض.

- اسمها السيدة فرانسوا، وبابها في الطابق الثاني على اليمين، تمتمت جانيت بخدش عنوان الشقة على قطعة من الورق. ثم، قبل أن تنزل الدرج إلى مهمة أخرى، همست: «شكرًا لك يا جو، سأراك مرة أخرى.

منذ تلك اللحظة، وأنا أتدرب على فتح قفل باب مرحاض المختبر، وفتحته دون صعوبة، لكن تركت علامات ضخمة وقبيحة على الخشب. يجب أن أجد طريقة نظيفة لمحاولة فتح باب المطبخ. مع لوحة معدنية رفيعة مثبتة بين عتبة الباب والباب، ربما. أحاول إجراء اختبار. ضربة كتف كبيرة، والباب ينفتح بسهولة ودون خدش.

بعد إجبار بابين آخرين للتدريب، أمسك، في الدرج الثالث من صندوق أدراج الغرفة المظلمة، ببطاقة هوية فرنسية فارغة، تم صنعها مسبقًا. في الآلة الكاتبة، أملأ الاسم: فرانسوا، الاسم الأول: جوليان. لذلك سأمرر نفسي كأخ لها. قطعت لحيتي بعناية، ثم ذهبت إلى استوديو التصوير لأصنع صورة ذاتية، والتي أطورها في تنسيق صورة الهوية.

ألتصق بالطابع الضريبي، وأختم ثم أقوم بجعل البطاقة قديمة نوعا ما حتى تبدو أقل حداثة. لقد مرت بالفعل 21 ساعة والشمس تنتهي من سقوطها. لن أذهب تلك الليلة، مهما قالت جانيت. كيف سأبدو ؟ لص؟ من الأفضل المضي

قدمًا علنًا حتى لا أثير الشكوك. لذلك سأذهب صباح الغد، قبل ركوب القطار إلى بروكسل، خاصة وأنه لا يزال لدي أشياء يجب اخفائها. في صندوق كبير، أخزن جميع الأجزاء المساومة في مختبري، ولوحات التصوير، والأوراق من جميع الجنسيات، والطوابع الضريبية، والطوابع، ووضعها في صندوق سيارة مستعارة من صديق قبل بضع ساعات. إذا أوقفتني الشرطة في منزل السيدة فرانسوا واكتشفت هويتي، فلن يجدوا أي شيء في منزلي. من الأفضل أن يعتقدوا أنهم يتعاملون مع ناقل أمتعة، بدلاً من مروز جبهة التحرير الوطني. سأوقف سيارة سيتروين ليست بعيدة عن شارع متحف اللوفر، وسأبلغ صديقي بموقع سيارتها. إذا كانت لا تزال مساء الغد بدون أخبار مني، فسوف تستعيد محتويات الصندوق وتعهد به إلى ماري ألين، التي ستعرف ماذا تفعل به.

في اليوم التالي، الساعة الثامنة صباحًا. أنزل مثل كل يوم إلى الحانة الصغيرة من الأسفل لاشرب قهوتي. واقف

بجانب المنضدة، أسمع الحوار بين صاحب الحانة مع مدمن كحول عجوز متعب.

- رأيت هذا! لقد تم القبض على عنصر من جبهة التحرير الوطني!

لوح صاحب الحانة بالجريدة تحت أنف الزبون، والذي أومأ برأسه بشكل غير مقنع. أطلب أن أرى. المقال هو الصفحة الأولى من جريدة فرانس صوار (journal France Soir).

صورة كبيرة للسيدة فرانسوا ورفيقها، أحد قادة جبهة التحرير الوطني في منطقة باريس. الصحافة تتحدث بالفعل عن ذلك. ليس لدي دقيقة لأضيعها. ضبطت الإضافة وصعدت من أربع إلى أربع خطوات من الدرج إلى المختبر. بعد دقيقتين، غادرت منزلي وأنا أرتدي قفاز يدي، مع حقيبة كبيرة، وقفزت في أول سيارة أجرة.

وصل إلى الموقع، وهو مبنى صغير HLM اوبيرفيلي (Aubervilliers)، من المستحيل تجنب إقامة البواب. ربما قرأت الجريدة. أفضل أن أذهب وأقدم نفسي.

- مرحبا، أنا جوليان فرانسوا، شقيق السيدة فرانسوا، من الطابق الثاني.

لوضعها في الثقة، أقدم لها بطاقة هويتي.

عندما رأيت أنها ليس لديها رد فعل جيد أو سيئ، أطلب منها أن ترى. سواء قررت الاتصال بالشرطة أم لا، سأعرف على الأقل ماذا أفعل والمدة التي أمامي لإجراء العملية.

- هل أنت على علم بأختي ؟

تنظر إلي بنظرة فضولية:

- لا. هل حدث لها أي شيء ؟

- نعم. لم يخبرك أحد ؟

- حسناً، لا. ماذا وقع لها ؟

- دخلت المستشفى بسبب الباراتفويد. طلبت مني إحضار بعض الأشياء لها وليس لدي المفاتيح. أردت أن أحذرك من أنني سأفتح الباب وأغير القفل.
- آه، نعم، تفضل. وكيف هي أمك ؟
«أوه، كما تعلمي، إنها تكبر».

أذهب إلى الثانية وأكتشف الباب. تحت ضغط قدم القضيب، تركت اللقطة الأولى. أدخل غرفة مظلمة بها مصاريع النوافذ مغلقة. أضغط على المفتاح، لكنه لا يعمل. عداد المدخلات في وضع خارج. غريب. ربما يكون محاصرًا. أنا لا ألمسها. يمكن أن تؤدي إعادة التشغيل إلى تنشيط نظام لتحذير مركز الشرطة المحلي وسيكون لي الحق في لجنة الاستقبال في أسفل المبنى. على أي حال، لدي دائمًا مصباح يدوي.

بادئ ذي بدء، أستبدل القفل. ثم أنظر داخل الشقة. خزانة المطبخ الكبيرة الذي أخبرتني بها جانيت أمامي. هذا هو المكان الذي توجد فيه المحفوظات، ولكن

من المستحيل فتحها، فهي مغلقة. مرة أخرى، أجبر القفل. أضيء بمصباح يدوي. هناك أكوام من الملفات، مكدسة بجانب بعضها البعض. أنا أقلب من خلال واحد. أسماء النشطاء وعناوينهم ومقدار المساهمات. وفي تقرير آخر، تقارير عن الحوادث والبعثات، مع أسماء المسؤولين على كل مستوى من مستويات التسلسل الهرمي. آخر... قائمة بأسماء الجزائريين "الحركى" بترتيب جبهة التحرير الوطني.

لدي برد في ظهري. الوثائق، التقارير، المحاسبة، المراسلات، الملف تلو الآخر، كل الحياة اليومية للقسم منتشرة هناك. يجب أن أفعل ذلك بسرعة. إذا وضعت الشرطة أيديهم عليها، فستكون مذبحة حقيقية.

أصطاد جميع المستندات في حقيبة وأستعد للمغادرة، لكنني أتساءل فجأة، كما لو كنت مجمدة بسبب الحضور.

ماذا لو كانت هناك معروضات أخرى منتشرة في مكان آخر ؟

من خلال اكتساب الوعي، أتجول في الشقة. في خزانة قريبة، أجد ملفات أخرى. ثم، في المرحاض، تمزق العديد من أكياس القمامة التي تحتوي على حزم من الأوراق إلى أربعة، ومن السهل جدًا إعادة تكوينها.

إنها كارثة. من المستحيل نقل كل الورق دفعة واحدة. من المستحيل أن تحترق ليس لدي خيار، يجب أن أفرز، احتفظ فقط بأهم الأوراق، تلك التي تحتوي على أسماء وصور ومعلومات مهمة. أنا لا ألمس أجهزة الراديو أو البندقية الموجودة في الخزانة. لا وقت ولا مكان. أغلق القفل الجديد بدورين عند المغادرة، ومجهز بحقيبتي الثقيلة، أنزل الدرج. أدناه، قابلت الحارسة مرة أخرى وأعطيتها ورقة نقدية. لا أكثر من اللازم ولا يكفي.

- أنا أحضر لها هذه الحقيبة في الوقت الحالي، وغدًا، لا تتفاجأ، سأرسل ابن أخي للقيام ببعض التنظيف.

عندما يكون كل شيء نظيفًا، سيعطيك المفاتيح الجديدة.

طلبت مني جانيت تسليم الأرشيف إلى ليفيو[124] ظهراً في حانة الجعة تيرمينوس نور[125]د مقابل المحطة. للوصول إلى هناك، أغير سيارة الأجرة عدة مرات. بسبب فرز الأوراق، وصلت متأخراً ساعة ونصف. ليفيو ينتظرني، عصبي، وقلق. أجلس وأضع الحقيبة تحت الطاولة.

- هذه هي الحزمة.

أجاب: «لا أستطيع أن آخذها»، وصدها بإيماءة من قدمه.

- لماذا ؟

- أنا مسؤول عن جمعية الطلاب الجزائريين. أنا من المبحوثين.

- لم يكن ذلك مخططًا له... حسنًا، الحقيبة، سأعتني بها. لكن لا يزال هناك الكثير في الشقة. الوثائق، البندقية، أجهزة الراديو.

- يمكنني إرسال رجل.

- هذه هي المفاتيح.

124 - Livio
125 - brasserie Terminus Nord

عندما أغادر مع الحقيبة، أضاعف يقظتي. نظرة على ساعتي. قطاري إلى بلجيكا غادر المحطة للتو.

الجزء 12

في بلجيكا

بعد سبع سنوات من النضال من أجل الاستقلال، كانت قنابل منظمة الجيش السري تنفجر كل يوم، بينما جبال الجزائر المجازر والتعذيب لم ينته بعد، بينما تحولت مظاهرة 17 أكتوبر 1960 السلمية في باريس إلى مأساة، وفي سجن فرين تضاعفت إضرابات الجوع في وسط المساجين، وفي بروكسل، وتحديداً في مختبر شارع لالواء[126]، تضاعفت وتيرة العمل في عملية الوثائق المزورة للشبكة. تحت اشراف غلوريا دي هيريرا[127] الآن مسؤولة الجديدة هنا في بلجيكا، والمعروفة أيضًا باسم «كاتيا» تحت إشرافي، لأنه

126 - au laboratoire de la rue de la Loi
127 - Gloria de Herrera

بالإضافة إلى عمل التصوير وطباعة الأوراق، كان لدي مهمة مختلفة تمامًا للقيام بها.

إغراق فرنسا بعملة مزيفة لزعزعة استقرار اقتصاد البلاد إذا رفضت الحكومة بعناد فتح مفاوضات، لم تعد الفكرة ليست جديدة. ابتزاز اقتصادي باختصار. عمل أكثر جذرية للتعجيل بإنهاء الأعمال العدائية. ولكن لكي نأخذ على محمل الجد، لا يزال يتعين علينا أن نكون موثوقين. للقيام بالعملية.

لقد كانت هناك محاولة من قبل. حيث أن بابلو، مسؤول الدولية الرابعة[128]، جمع العديد من الطابعات عالية الجودة في هولندا. لكنهم لم يتمكنوا من تخمين أن أحدهم قد نسج من قبل وكيل خدمات خاصة هولندي. عندما اعتقلتهم الشرطة، كان طباعة الأوراق النقدية قد بدأ للتو.

هذه المرة، لم يكن هناك شك في لعب مشعوذين متدربين من خلال الارتباط بأي شخص. من المؤكد أن

128 - la IVe Internationale

مختبري لم يكن لديه سرعة طباعة مطبعة وطنية، لكن في غضون أسبوع تمكنت من تكديس صندوق أول من الاوراق النقدية لمائة فرنك جديد في غرفة مخزون المختبر. فقط دانيال وعمر وكاتيا كانوا على علم بذلك. لم نحدد مبلغًا محددًا. لقد أنتجت ما دامت الحرب لم تجد مخرجًا، كانت هذه هي الخطة.

بدأت حياتي الجديدة كبلجيكي بمشاعر قوية. بسبب نقل اغراض السيدة فرانسوا من HLM، وقد وصلت إلى بروكسل متأخراً 24 ساعة. كنت قد أخفيت أخيرًا الحقيبة الأرشيفية وبقية الحالات المساومة في الخزائن الخاملة في استوديو التصوير، وطلبت من ماري ألين الاهتمام بنقلها إلي. لذلك ركبت القطار في الوقت المتفق عليه، ولكن بعد يوم واحد، كنت غاضبا جداً لأنني لم أجد الوقت لتقبيل أطفالي.

عندما وصلت إلى مكان المتفق عليه، شقة بروكسيلية مفروشة. كان هناك عمر بوداود، رئيس فيدرالية جبهة

التحرير الوطني بفرنسا، وهو زعيم المنظمة منذ عام 1957، الذي التقيت به لأول مرة، جانيت، التي كانت تبكي، لا تطاق لفكرة أنه كان من الممكن أن يتم القبض علي بسبب خطأه، وكاتيا، التي سرعان ما ستصبح ذراعي اليمنى، وكذلك شريكتي. تسبب ظهوري المفاجئ في ارتياح هائل، كما لو تم إحيائي فجأة، ومعي مئات أسماء النشطاء الذين ظهروا في وثائق أرشيفية.

بيني وبين عمر، هناك نوع من السعادة المتبادلة لهذا اللقاء. كنت قد سمعت كثيرًا عن صفات عمر القيادية، وكان من دواعي سروري أن أرى أن الرجل يتناسب مع سمعته. كان يتمتع بمكانة قائد عظيم، ويظهر عليه ملامح الصفاء والذكاء وسرعة الحكم. لقد ألهمه ماضي كمقاوم، وتجربتي في السرية والتزامي تجاه الجزائريين بصفتي يهوديًا باحترام خاص.

منذ بضعة أسابيع حتى الآن، كنت أفكر في استعادة الأوراق النقدية المزيفة. بمجرد أن نكون بمفردنا، عهدت

بالمشروع إليه. لم يكن عمر متحمسًا جدًا، خاصة بعد الحلقة الهولندية. إذا كان صحيحًا أن العملية قد فشلت، فإن الفكرة تبدو جيدة وتستحق الدراسة. شاركت عمر مشاعري حول هذه الحرب التي لا نهاية لها. إذا استمرت لسنوات، فإن معدل تصاعد الكراهية على جانبي البحر الأبيض المتوسط، سنصل قريبًا وبشكل دائم الى فقدان آمالنا في الصداقة الفرنسية الجزائرية.

كان لدي شعور بأن كل ما يمكننا القيام به قد تمت محاولته بالفعل، الكفاح المسلح، التفاوض الدبلوماسي، الدعاية الفكرية، النقاش السياسي، عصيان الجنود الشباب. وكنت أخشى أن تؤدي الهجمات المميتة لمنظمة الجيش السري إلى ردود فعل من نفس العنف. لقد كان بالفعل بفضل تدخل شبكتنا، وخاصة حجة فرانسيس جينسون، أنه تم تجنب الحرب على الأراضي الفرنسية. في ذلك الوقت، في عام 1958، فقد أعدت فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا سلسلة من الهجمات في العاصمة للرد على أربع سنوات

من الحرب. أقنع فرانسيس عمر بتركيز الهجمات فقط على الأهداف العسكرية والشرطية والصناعية. بصفتي من دعاة السلام، رأيت مشروع «الأوراق النقدية المزيفة» كوسيلة ممتازة لممارسة الضغط دون الدخول في دائرة العنف. كنت أعلم أن الصراع الذي دام سبع سنوات كان له عواقب على خزائن الدولة. هل ستخاطر الحكومة بإضعاف اقتصادها المهتز بالفعل ؟ أخيرًا، لم يعترض عمر وقررنا إطلاق العملية، مع الاحتفاظ بالطبع بالأولوية للأوراق المزورة.

لعبت بلجيكا دورًا كمركز للمعابر الحدودية. تتطلب القوانين البلجيكية من الأجانب إعلان أنفسهم فقط بعد ثلاثة أشهر من الإقامة. كل ثلاثة أشهر، كان علينا التحرك وتغيير هويتنا، لذلك لم نضطر أبدًا إلى إبلاغ الشرطة. تم اتخاذ العديد من القرارات هنا في القمة.

أعضاء اللجنة التنفيذية لفيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا الخمسة، عمر بوداود، القائد قدور لادلاني، المعروف أيضًا باسم «بيدرو»، المسؤول العام للمنظمة، علي هارون،

مسؤول الصحافة والإعلام، سعيد بوعزيز، مسؤول ما يسمى بالمنظمة الخاصة، وعبد الكريم سويسي، أمين الصندوق، كان يمر عبر بلجيكا مرة واحدة على الأقل في الشهر، ولكن في كثير من الأحيان أكثر من ذلك بكثير. لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن العديد من خريجي شبكة جينسون كانوا يحومون هنا لعدة سنوات. من بلجيكا، يمكن أن يستمر النضال. لم يتخل دانيال، مساعد فرانسيس، عن وظيفته كمسؤول لقنوات الهروب. فقد تم استبداله في فرنسا بذراع كوريل اليمنى، وأدار الآن جميع المعابر الحدودية الخارجية.

تم تنظيم الشبكة البلجيكية بشكل مثالي من قبل نساء ورجال يتمتعون بشجاعة لا جدال فيها، معظمهم من المهربين، الذين عبروا الحدود البلجيكية والفرنسية والألمانية والسويسرية والإيطالية، والذين لم يترددوا أبدًا عندما أيقظهم أحيانًا في الساعة الرابعة صباحًا لإحضارهم الأوراق اللازمة لمهمة عاجلة. على مستوى الشرطة، أعطت بلجيكا شعورًا بالهدوء المطلق مقارنة بالوجود المطلق لشرطة بابون في فرنسا.

لم أشعر أبدًا بالمتابعة. لكنه كان هدوءًا خاطئًا: عندما نقوم فتح سيارة، أو عندما نتلقى طردًا، كان عليك أن تكون حذرًا من التفجيرات. امتدت الهجمات الدموية لمنظمة الجيش السري إلى ما هو أبعد من حدود فرنسا.

عندما وصلت الى بروكسل، كان علي أن أبدأ من الصفر، دون أن أخسر دقيقة. لقد تم الاتفاق منذ البداية على أن كاتيا ستساعدني، لأنها كانت رسامة سريالية وتلقت تدريبًا كمرممة لأعمال فنية. فهي أمريكية، متورطة جدا منذ البداية في شبكة جينسون وايضا شيوعية ملتزمة، كانت قد هربت من الكارثة مع صديقيها مان راي وأندريه بريتون، معًا على نفس القارب. اعتنت بإيجاد غرفة لي، قبل وصولي، عند زوجين من الشبكة البلجيكية كانا يعيشان في شقة كبيرة مع أطفالها ودعونا نستخدم غرفة. نصل في الصباح بعد مغادرتهم، وننتهي من العمل في المساء قبل عودتهم. في هذه الغرفة، تمكنت من تجميع مختبر وظيفي من الصفر في أربع وعشرين ساعة.

اشتريت بعد ذلك مكبرًا صغيرًا وحولته إلى جهاز إعادة إنتاج لصنع التيبونات[129]. لقد قمت بشراء آلة سحب يدوية، صغيرة جدًا من لا شيء على الإطلاق مقارنة بضخامي الليثو («litho»)في شارع الصائمين الذي طبعت به الأوراق، ولكن واحدة تلو الأخرى. لقد صنعت لوحات حساسة للضوء لطباعتها بشكل مسطح وفي راحة. لم يعد جهاز الطرد المركزي الخاص بي مصنوعًا من عجلة دراجة كما كان الحال في وقت المقاومة، ولكن من محرك كهربائي لقارئي الاسطوانات 78 دورةً كهربائية، كان حزام نقله الداخلي قد قمت بالتلاعب به لتغيير السرعات.

بسرعة كبيرة، كان من الضروري تغيير المكان. استأجر لنا أحد رفاق الشبكة محليًا كبيرًا في شارع دي لالوا، على العنوان – عرفت بعد ذلك بمدة - أنه الفرع البلجيكي للأوركسترا الحمراء[130]، ويمكن هنا أن نبدأ في إنتاج العملة المقلدة.

129 - les typons

130- شبكة التجسس الروسية ضد النازية، والتي يقودها ليبولد تريبير أثناء الحرب العالمية الثانية

كان خياري هو الأوراق النقدية لمائة فرنك جديد، والتي تمثل مبلغًا كبيرًا بما يكفي. كان من الضروري دراسة هياكل الورق، ووزنه، وصلابته، والضوضاء التي أحدثها عندما تم إمساكه أو ضربه بين أصابعي، وحبيبته عند اللمس. ذهبت للبحث عن ورق مماثل وذهبت إلى جميع البائعين في المدينة، بحثًا عن عينات مختلفة لخلطها. لحسن الحظ، بحثت في مخزون تاجر جملة، وجدت نوعاً بدا قريباً جدًا منه. أحتاج فقط إلى صبغها قليلاً جدًا، بفضل عملية صبغ الكحول، بحيث لا يتضخم هيكل الورق كثيرًا أثناء الغمس، للحصول على قاعدة مطابقة للأوراق النقدية. ثم، بمطحنة خاصة من صنعي، تم ضبطها بإحكام شديد، قمت بتنعيم الورق وصقله. تم تمثيل نابليون في سترة زجاجة خضراء بلون أصفر كارمين، تتطلع نحو قوس النصر. كان الحبر الأسود للترقيم مريحًا. كانت الخطوط محملة بالزخارف والزخارف المعقدة والورود وأكاليل الزهور المتشابكة، مع اختلافات كبيرة في الألوان. كان اختيار الأحبار والأصباغ

اللازمة للتصنيع لغزاً حقيقياً بالنسبة لي. أخيرًا، قمت بتحليل العلامات المائية ذات الكثافة الأعلى والأقل. كان هناك أيضًا بعض الألوان. بعد عدة أسابيع من البحث والاختبار، انتهى بي الأمر أخيرًا باختبارات حاسمة.

وشيئًا فشيئًا، بدأت الأوراق النقدية تتراكم في غرفة مخزون المختبر. أولاً كرتون صغير. ثم اثنين، ثم ثلاثة... كانت نهاية فترة ما بعد الظهر، يوم عادي للغاية. كانت كاتيا تتثاءب وتفرك عينيها. كانت هناك صورة أخيرة متبقية للحصول على رخصة قيادة قبل العودة إلى المنزل. في الليلة السابقة، كان لدينا القليل من النوم بسبب حالة الطوارئ في اللحظة الأخيرة. كان دانيال قد طرق بابنا في وقت متأخر من الليل ليطلب بطاقتي هوية ورخصتي قيادة كان على سيسيل ماريون[131]، المعروفة أيضًا باسم «ماريا»، نقلها إلى الحدود الفرنسية في منتصف الليل مروراً بالغابة. لذلك عدت إلى المختبر في ساعة متأخرة، برفقة كاتيا التي لم ترغب في

131 - Cécile Marion

البقاء بمفردها. انتهت الأوراق، وأودعناها مع ماريا، التي كانت نصف نائمة أثناء انتظارنا. لقد رحبت بنا بعيون نائمة، لكنها لا تزال تبتسم، كما هو الحال دائمًا.

لمدة خمس سنوات، لم تدخر ماريا جهدًا. نظرًا لأنها كانت شقراء وملائكية وتستطيع المرور بسهولة، اعتمدت المنظمة عليها في العديد من الروابط. كان لديها أكثر من ساعة للانتظار، حتى الساعة الثالثة صباحًا، قبل ركوب السيارة، وعرضنا عليها البقاء معها لمساعدتها على الصمود.

أشعلت كاتيا سيجارتها وتنهدت عندما أغلقت آخر جفن للصورة على بطاقة الهوية. قالت وهي ترتدي معطفها:

- أنتظرك في الخارج، أحتاج إلى الهواء».

قبل إطفاء جميع الأضواء، فتحت باب المخزن لألقي نظرة، كما هو الحال كل مساء، على إنتاجي الذي كان ينمو. أكثر من متر مربع من الصناديق مليئة بالأوراق النقدية مليئة جيدًا بمائة فرنك جديد. ما هو المبلغ الذي يمكن أن يمثله هذا ؟ بصراحة، لم أفكر، لم أكلف نفسي عناء العد. أغلقت

الباب قبل الانضمام إلى كاتيا بالخارج. كل ليلة، نعود إلى المنزل للاستمتاع بضوء النهار.

قبل أيام قليلة، وللمرة الرابعة، قمنا للتو بتغيير هويتنا وغيرنا المكان، كما يقتضي حكم حياتنا السرية البلجيكية. كانت شقتنا الجديدة، المفروشة بدون سحر معين، ذات منظر جميل تطل على حي سابلونز[132]. بالكاد وصلت كاتيا إلى المنزل، وشغلت الراديو بالوسائل التلقائية، ثم وضعت سترتها وحقيبتها على رف المعطف، وكانت على وشك إشعال سيجارة وهي تريد الجلوس على الأريكة عندما تجمدت فجأة وحبست أنفاسها. كان الراديو يتلو صوت الصحفي الذي يكرر «يوم تاريخي».

تم التوقيع على اتفاقيات إيفيان للتو. في 18 مارس 1962، تم إعلان وقف إطلاق النار للتو. الجزائر المستقلة. ثمرة سنوات عديدة من الجهد. حدقت كاتيا عينيها في عيني، نظرة تعبر عن السلام والارتياح. من حولنا، كانت المدينة

132 - des Sablons

هادئة، شبه ثابتة. لا رشقات نارية من الفرح ولا زغاريد النسوة، بروكسل لا تحتفل بالاستقلال.
حتى عندنا لم تكن هناك حفلة في المنزل أيضًا، لكننا كنّا سعداء.

على الفور، كان رد فعلي الأول هو التسرع نحو الهاتف والاتصال بزوجتي السابقة جانين للتحدث مع أطفالي.

منذ الوقت الذي انتظرت فيه تلك اللحظة! لقد أمضيت ما يقرب من عامين دون رؤيتهم. كنت أشعر بالحمى من خلال الاتصال بالرقم. توقفت جانين، وكان بإمكاني سماع أصوات وضحك مارث وسيرج، اللذين كانا يلعبان في الجوار مباشرة، بالقرب من أذني. عندما شرحت لها كل شيء مطولاً وطلبت إرسال الأطفال بالقطار، أتذكر جملة جانين: «اعتقدنا أنك ميت، أدولف، لكنني كنت أعرف أنه إذا لم تكن كذلك، فستحقق بالضرورة شيئًا جيدًا».

- والمال، ماذا فعلت به ؟

في رأيك ؟ تم حرقه. وفكرة القيام بشيء آخر لم تمس عقولنا أبدًا. وبعد ذلك، تخيل أنني لم أكن مجنونًا بترقيم الاوراق المالية. كنا مصممين على وضعها في التداول إذا استمرت الحرب، وفي هذه الحالة كنت سأهتم بالترقيم. لكنني كنت آمل ألا أضطر أبدًا إلى القيام بذلك، وأن يجد الصراع حلاً دبلوماسياً أكثر روعة.

تؤدي قصص الاكتئاب بشكل لا رجعة فيه إلى مشاكل كبيرة. في كل مرة بالمال تبدأ المشاكل والمتاعب. بالطبع، كانت لدي ثقة مطلقة في كاتيا، التي كانت الوحيدة التي تعرف مكان العملة المزيفة. لكن المعلومات كان من الممكن أن تفلت من يقظتنا، كان بإمكان شخص ما أن يسمعنا نتحدث، ويفهم ما فعلناه.

يثير المال الطمع، ولديه وحده القدرة على تغيير الالتزام وإفساد الأرواح التي كان من المفترض أن تكون الأكثر صدقًا.

ترقيمهم في وقت مبكر جدًا، ربما كان توقيع مذكرة الإعدام الخاصة بي. عند إطلاق مشروع «التزييف»، دفعتني عدة أحداث إلى البقاء على أهبة الاستعداد. غير الناس من حولي سلوكهم بين عشية وضحاها. أتذكر، على سبيل المثال، امرأة في الشبكة بدأت فجأة في إغراري، حيث كنا نعرف بعضنا البعض منذ أربع سنوات ولم يكن هناك أي من ذلك بيننا. من المتعب أن تكون حذرًا من كل شيء ومن الجميع. لم أكن راضيًا عن تحرير نفسي من المال. كنت سأتمكن من العيش بهدوء مرة أخرى.

لا تعتقد أنه من السهل حرق الأوراق المالية. صحيح أنه يشتعل بشكل جيد للغاية، لكنه يطير بعيدًا أيضًا. استغرق الأمر منا ما يقرب من شهر للتعامل معها. يا لها من كمية! بمساعدة كاتيا، قمت بحفر حفرة في حديقة صديق بلجيكي للشبكة، لتدميرها بكميات صغيرة كل يوم. نار بدت بلا نهاية. شاهدت ما يقرب من عام من العمل. لقد أحببت ذلك،

ورؤية التذاكر تستهلك. كنت مرموق، وفي حالة سكر قبل استعادة وقت السلم.

الجزء 13

العودة الى فرنسا

عدت إلى فرنسا في صيف عام 1963، بعد عام واحد بالضبط من وقف إطلاق النار في الجزائر. بعد الحرب، لم تنته مهمتي في بلجيكا. ومن الضروري مواصلة ضمان سلامة قادة الشبكة وأعضائها الذين ظلوا مختبئين، وجعلهم يعودون عبر الحدود، وتنظيم عودتهم، ثم تصفية كل شيء، والمباني، والشقق، والسيارات، وحرق المواد المخلة، ومحوها حتى آخر أثر لعدم الشرعية. استغرق الأمر عامًا.

كنت أعلم أن العديد من قدماء الشبكة ذهبوا إلى الجزائر للمساعدة في إعادة بناء البلاد، لكن لم يكن لدي سبب للانضمام إليهم في الوقت الحالي. لقد فعلت ما يجب

أن أفعله، والجزائر مستقلة، وشعرت أن الشؤون السياسية للبلد ليست من مسؤوليتي، خاصة وأن النضالات بين الأشقاء التي ولدها السباق على السلطة من قبل قادة الثورة السابقين قد أزعجتني تمامًا. انتهى النضال ضد الاستعمار وشنوا الحرب فيما بينهم. والأسوأ من ذلك، أنني صدمت بشدة من مصير الحركى. لقد شعرت بالغضب إزاء موقف الحكومة الجزائرية، الذي سمح بحدوث المذابح، ولكن أكثر من ذلك الموقف غير الأخلاقي على الإطلاق للحكومة الفرنسية، التي تخلت عنهم على الفور عندما عرفت بالضبط ما هي مصيرهم.

كما أرادت كاتيا العودة إلى فرنسا. استعرنا سيارة صديق للشبكة البلجيكية وعبرنا الحدود سراً للعودة إلى باريس. في الحقيقة، لم أكن لأخاطر بالسفر باسمي الحقيقي، لكنني هربت بشكل غير قانوني، وظلت أوراقي مخبأة في مختبر شارع الصائمين. بالنسبة لكاتيا، من ناحية أخرى، كان الوضع أكثر تعقيدًا لأنه، مثل سيف ديموقليس، كانت

الإدانة تجر رأسها دائمًا. عندما تم تفكيك شبكة جينسون، كان يجب أن يتم حبسها مثل الآخرين في انتظار افتتاح المحاكمة، ولكن بفضل جنسيتها الأمريكية، تم منحها الإفراج المؤقت. مع عدم وجود وهم بشأن الحكم والعقوبة التي تكبدها، قررنا مع فرانسيس جينسون إخلاءها على الفور إلى سويسرا، ثم ألمانيا وأخيراً بلجيكا. وقد عبرت الحدود بأوراق مزورة وشعر مستعار، لأن صورتها تصدرت عناوين الصحف، ولا سيما في مقالة معنونة هؤلاء هم الباريسيات التابعات لجبهة التحرير الوطني «Voilà les Parisiennes du FLN»[133]، التي قدمتها على أنها وكيل التجنيد للشبكة. تم إدانتها غيابيًا، كانت المرأة الوحيدة التي تم القبض عليها هربت من لا بيتيت روكيت.

لقد وجدت مختبري على شارع الصائمين. واصلت دفع الإيجار من خلال ماري الين، وقام السيد بوتي (M. Petit)، مستفيدًا من غيابي المطول، بإنشاء مكتب في غرفة

133- جريدة باري-براس فبراير 1960

الباكل. لقد خشي، عندما راني أعود، أن أطالبه بمغادرة المكان. كان العكس هو الصحيح. سمحت له بالبقاء في المبنى الفسيح بشكل مثالي، وقد فوجئت وسعدت بوجوده هناك لأنه حافظ على كل شيء في حالة جيدة. أعدت الشركة إلى المسار الصحيح، واستأنفت أنشطة التصوير الفوتوغرافي، ووجدت صناديقي ومحتوياتها الثمينة سليمة. انتقلت أنا وكاتيا إلى شقة صغيرة، وتحدثت إلى أصدقائي وعائلتي وزبائني. وتم تداول قصتين لشرح اختفائي.

ويعلم البعض، لأنهم شاركوا أيضا في هذا العمل. بالنسبة للآخرين، كنت قد ذهبت للعمل في شركة آغفا (Agfa) في ألمانيا بعد استراحة مع ماري الين، مفضلاً الابتعاد عن باريس في الوقت المناسب للنسيان.

كان جميلاً، كان الصيف. كان المصطافون قد هجروا المدينة ولم يبق سوى مظهرها الهادئ والبطاقة البريدية في باريس. كانت الموضة مقطوعة للفتيات وسراويل ملونة للأولاد.

الحرب، كانت المخاوف وراءنا. كنت سعيدًا بالعودة، وعبور الشوارع المشمسة والأرصفة والحدائق، وتخليد هذا الوقت الهادئ بالكاميرا.

لكن كاتيا كانت تتألم. كانت تعاني مما أسميته «اكتئاب المخضرم»، تلك المحنة العميقة التي لم تكن مجهولة بالنسبة لي للأسف، لأنني عانيت منها بنفسي في نهاية كل قتال. الحياة السرية لها عواقب لا تمحى. إنه مطبوع في أعماق النفس، ولا يختفي من عكس اليد. عندما يتعلم المرء أن يعيش مع الخوف في المعدة، ويخاطر بحياة المرء، وحريته، ويعيش مغامرات خطيرة ورومانسية، وأن يشعر بالدوار، دائمًا في إلحاح وهبة الذات لقضية تعتبر نقية، فإن إعادة الإدماج هي اختبار مؤلم. لم تعد كاتيا قادرة على الرسم، ولا يمكن أن تتحرك وترضى بأشياء بسيطة. شعرت بالوحدة وعديمة الفائدة. لقد تبخرت النشوة الممزوجة بالكرب، وهي سمة من سمات السرية. بدت لها الحياة اليومية معيبة بشكل فظيع وعديمة الجدوى. كل كونه أفسح المجال للحزن.

على الرغم من أنني كنت اساعدها في ضم جراحها، إلا أنني تمكنت من مضاعفة جهودي، وإبداعي لإشراقها وتهدئتها، ولا شيء يمكنني فعله أو قوله يمكن أن يشفيها.

على الرغم من حبنا، لم تستطع أن تنسى أن فيرا، شريكتها السابقة، كانت لا تزال سجينة في بيتي روكيت، وكونها نفسها في وضع غير منتظم، من الواضح أنه لم يكن من المستبعد أن تزورها.

لم تعد تخرج، ورفضت إظهار نفسها في حالة اللامبالاة هذه، ورفضت الدعوات المتكررة لأصدقائها السابقين، ولم تعد تتردد على الرسامين السرياليين. عاقدة العزم على تحمل ثقل حزنها وحدها، أغرقت كاتيا عذابها في قاع زجاجة الويسكي الخاصة بها، ووجدت النوم فقط في آخر قطرة.

فهمت، بينما رأيت أن وجودي لم يكن مفيدًا له. لذلك قررت حبس نفسي أيضًا، لكن في المختبر.

سيتم علاجي من خلال العمل. كان لدي خطط للمستقبل، طموحات شخصية هذه المرة. أردت تطوير صوري، آلاف الصور التي التقطتها منذ التحرير. خططت لفضح أعمالي أخيرًا، ولماذا لا، أصبحت فنانًا لم يسمح لي هذا الالتزام السياسي أبدًا. كانت صناديقي مليئة بالصور الجميلة التي كانت تنتظر تسليط الضوء عليها. وبعد ذلك كنت في الثامنة والثلاثين من عمري. بدأ أصدقائي في صنع اسم لأنفسهم، كل منهم في مجاله الخاص.

نظرًا لأنني لم أفكر في مسيرتي من قبل، اعتقدت أن الوقت قد حان. لكن بالكاد عدت إلى ذلك، وحذرت من عودتي من قبل الأصدقاء المشتركين، عاد الإسبان المناهضون لفرانكو لرؤيتي. كنت قد فكرت بالفعل في احتمال أن يلحق بي ماضي، لكنني لم أتخيل أنه لن يكون لدي سوى القليل من الراحة. افترضت أن التدريب المعجل المقدم قبل مغادرتي سيضمن استقلاليتهم النهائية. لكن

كونك طالبًا جيدًا لا يكفي لتكون مزورًا جيدًا. هذا بحث دائم، لأن الأوراق تتغير باستمرار.

للسماح لشخص ما بالاختباء، لا توجد فقط أوراق هوية لإنتاجها، ولكن هناك مجموعة كاملة من الوثائق، من رخصة القيادة إلى إثبات الإقامة. كان من الضروري إعادة برمجة تدريبهم الداخلي، وفقًا لجدول أعمال مقيد للغاية دائمًا. خوسيه الشيوعي، كارلوس التروتسكي وخوان الأناركي، الذين كان لديهم جميعًا الذكاء لعدم سؤالي عن مكاني خلال العامين الماضيين، ما زالوا يرفضون رؤية بعضهم البعض والعمل معًا بسبب اختلافاتهم في الرأي السياسي. كنت أتطلع فقط إلى تدريب المتدربين في أسرع وقت ممكن حتى يتركوني في سلام، وقبل كل شيء، بالطبع، أن جهودهم ستمكن إسبانيا من التخلص من فرانكو الشرير. لكن قبل كل شيء، لم أعد أرغب في التضحية بحريتي.

على أي حال، كانت هذه هي حالتي الذهنية عندما تعرفت على رجل غير عادي كنت سأخلط مصيري

للسنوات القادمة. كان بعد ظهر يوم في سبتمبر. لا أعرف بأي فرصة، كان العديد من العملاء في نفس الوقت في المختبر - نادر جدًا - وكانوا ينتظرون في غرفة الانتظار. كان الرجل المعني متوسط الحجم، مع أكتاف مربعة، وشوارب سوداء ضخمة. وأكد أنه من بين جميع العملاء، وصل أولاً، لكن هو غير مستعجل، وأظهر مجاملة هائلة في الإصرار على السماح لجميع الآخرين بالمرور قبله. أخرج جريدته بهدوء، وجلس على كرسي بذراعين قاعة الانتظار.

عندما بقينا لوحدنا أنا وهو، وقف ومد يده لي:

- أنا ستيفان، جئت من جانيت، أود التحدث إليك.

أنه يأتي بالاسم الأول، ويأتي من جانيت، ضابطة الاتصال السابقة، ويوجهني على الفور، وأشار إلى عضويته في شبكات الدعم لجبهة التحرير الوطني. أغلقت جميع الأبواب حتى نتمكن من التحدث عن الأشياء الجادة. واسمحوا لي أن أعرضه عليكم بإيجاز. «ستيفان» جورج ماتي هو اسمه الحقيقي، كان في الثلاثينيات من عمره. من أصل

كورسيكي، من عائلة مقاومة شيوعية FTP، كان قد أدى خدمته في الجزائر، حيث «علمه الجيش القتل»، كما قال، ثم، مثل جيله، تم استدعاؤه في عام 1956 «تهدئة» الجزائر. مقتنعًا بمناهضة للجيش، شوهد كقائد خلال مظاهرات استدعاء لأنه هتف أقوى من الآخرين إرادته للسلام في الجزائر، تأثر بتسلسله الهرمي العسكري مع «الجنود الذين يصعب اخضاعهم» في منطقة القتال بالقبائل الكبرى. شهد التعذيب الذي حاول التنديد به عند عودته بنشر مقال بعنوان «أيام القبائل» في مجلة لي تون مودرن[134]. صحفي، قريب من سارتر وبوفوار، وخاصة هو إنساني، في عام 1959 تولى مسؤولية تهريب حاملي الحقائب نيابة عن شبكة كوريل، بعد تفكيك شبكة جينسون. قادته الكفاءة النادرة التي أظهرها إلى أن يصبح الذراع اليمنى لهنري كوريل حتى وقف إطلاق النار. تبادلنا أنا وماتي وجهات النظر حول الجزائر. في عام 1962، ذهب إلى هناك، ليرى، لكنه لم

134 - Les Temps modernes

يرغب في الاستقرار كـ «قدم حمراء»، معتبرًا أن إعادة الإعمار الجزائرية هي من شأن الجزائريين، وأن التعاون كفرنسي أعطاه انطباعًا غير سار بالمشاركة في شكل مقنع من الاستعمار. لقد شاركنا في العديد من النقاط نفس الفكرة، وقلقنا من ظهور تيار ديني أصولي. ومع ذلك، كنا ندرك الحاجة إلى إتاحة الوقت للشعب لإعادة بناء هويته بعد 130 عامًا من الاستعمار، وحافظنا على آمالنا القصوى في مستقبل البلاد.

أبلغني بعمل حركات التحرير الأفريقية، التي لديها الآن مكاتبها في الجزائر العاصمة، بدعم من الحكومة الجزائرية. من فرنسا، ساعدهم كورييل من خلال منظمته، التي جمعت بين إجراءات التضامن القانوني والأنشطة السرية، والتي كان تنسيقها من مسؤولية ستيفان. على الرغم من أنه قبل هذه المهمة بحماس، إلا أن ماتي رفض أي عضوية في مجموعة كورييل، من أجل الاستقلال من ناحية، ولكن أيضًا لمسائل الاختلافات السياسية، خاصة بعد حشد

كوريل إلى بن بيلا، مما أدى إلى تهدئة علاقاتهم دون وضع حد لتعاونهم.

لم ينظر ماتي إلى القارة الأفريقية وحدها. كما كان قلقًا بشأن تقدم النضالات الثورية في أمريكا الجنوبية. خلال رحلته الأولى إلى كوبا في عام 1961، أجرى العديد من الاتصالات وأقام صداقات مخلصة ودائمة مع القادة الثوريين في أمريكا الجنوبية، بما في ذلك الأرجنتين وفنزويلا والبرازيل وتشيلي وسانتو دومينغو.

أحببت هذا الشخص دو الشارب الطويل. لم يكن طنانًا، ولم يلقي أي ألغاز أو خطب متناثرة حول عمله. لا يوجد حزب سياسي، مستقل عن أي شبكة - وهذا طمأنني أكثر من ذلك أن شبكة الدعم لجبهة التحرير الوطني، بسبب العديد من التصرفات غير الحكيمة غير الطوعية، قد تغلبت على جميع السجلات من حيث الاعتقالات - تميزت بشكل خاص بهذه المؤهلات الثلاثة: جاد، مخلص، إنساني. لقد دفعني تعاطفه الشديد ورؤيته الواسعة ومعرفته الواسعة

بالسياسة الدولية إلى الجدال حتى حلول الظلام. كنت أدرك بالطبع أنه لم يأت إلي ليضع معي قائمة نضالات التحرر على المستوى العالمي، لكن كان لديه الأدب حتى لا يفاجئني. بعد ساعة فقط أوضح لي أنه كان عائدًا من سانتو دومينغو، الذي كان تمر بأزمة سياسية خطيرة. والنظام الديمقراطي الجديد، الذي وضع حدا لأكثر من ثلاثين عاما من الديكتاتورية القاسية، أطيح به لتوه بانقلاب عسكري. كانت البلاد تحترق والدم. كان على القادة المطلوبين الفرار. كان الثوار يدفعون نحو الماكوي الجبلي لتنظيم الكفاح المسلح. وعد الجيش بذبح أي منشق في الديكتاتورية الجديدة. للبقاء على قيد الحياة أو الفرار أو القتال، كانت هناك حاجة إلى الأوراق.

وافقت على مساعدة الدومينيكان دون تردد، لكنني جعلت من الشرف أن تكون الأمور واضحة بيني وبين ستيفان، لأنه كان لا بد من تلبية عدد من الشروط. لقد طلبت اتصالًا واحدًا (بنفسه)، واحترام التقسيم المطلق،

والمنافذ التي لن أتلقى أي طلب من أي وسيط أو مبعوث من أي مكان. سيتم تجنب الاتصال الهاتفي بدقة أو التقليل منه. كما نرى بعضنا البعض هنا في المختبر. ولتجنب خطر الاعتقال بسبب قيام الشرطة بالتنصت، إذا تم تحديد موعد عبر الهاتف وحدث في الخارج، فسيتعين مراعاة التأخير لمدة ثلاث ساعات ويوم أو يومين، باستخدام رمز الوردية.

تحديد موعد الظهيرة 15 ساعة و 18 ساعة 21 ساعة وما إلى ذلك بالنسبة للجدول الزمني ؛ ناقص ربع يوم أقل، ونصف يوم أكثر من الموعد المحدد. علاوة على ذلك، إذا كان لديه موعد مع أي شخص في الشبكة، فلن يأتي لرؤيتي مباشرة في نفس اليوم. وقبل كل شيء، أهم شروطي: لا مال بيننا أبدًا. أود أن أرفض يجب دفعها بشكل قاطع وسيحتفظ لي بالحق في قول نعم أو لا لكل مطالبة.

إذا كان لدي أي شك حول مزايا الطلب، فلن أقوم بالعمل. نظرًا لأن ماتي أخذ أيضًا حرية قول نعم أو لا لرعاته، لم أضطر أبدًا إلى قول لا له.

كنت أعتقد في البداية أن ماتي لن يتصل بخدماتي إلا من حين لآخر، لكن كان علي أن أوضح نفسي بسرعة كبيرة: لقد كنت مخطئًا. كان الناس في جميع أنحاء العالم يقاتلون من أجل حريتهم. بعد الدومينيكان والهايتيين، جاء دور البرازيليين ليقعوا تحت نير الديكتاتورية العسكرية في عام 1964. ثم، في 1966، بعد مؤتمر هافانا للقارات الثلاثية حيث تم إنشاء المنظمة اللاتينية الامريكية للتضامن (OLAS) ، وافق ماتي على أن يصبح منظم شبكتهم السرية لدعم النضالات الثورية من فرنسا. جمعت OLAS الحركات الثورية للأرجنتين وفنزويلا والسلفادور ونيكاراغوا وكولومبيا وبيرو وأوروغواي وتشيلي، متحدين من أجل الثورة في أمريكا اللاتينية، ولكن في معارضة لخط موسكو.

وقد أضيفت كل هذه البلدان تدريجيا إلى قائمتي، ولكن هذا ليس كل شيء، لأن ماتي، من خلال شبكة كوريل، كان يخدم أيضا قضية الحركات المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا. ثم كانت هناك غينيا وغينيا

بيساو وأنغولا، وهي مستعمرات برتغالية تناضل من أجل استقلالها.

في عام 1967، انخرط ماتي مع الجماعات السلمية الأمريكية التي رفضت الخدمة في فيتنام. أنا، الذي تركت بالضبط الأجهزة السرية للجيش الفرنسي لعدم المشاركة في الحرب الاستعمارية للهند الصينية، لم أستطع إلا فهمها، وعرضت على الفور تقديم أوراق مزورة لجميع الفارين الأمريكيين الذين لم يفعلوا ذلك. تمنى. يجب أن أقول إنهم كانوا كثيرين. لذلك في نفس العام، 1967، كنت أقدم أوراقًا مزورة للمقاتلين والأنسوميين من خمسة عشر دولة مختلفة، ولم يكن ذلك شيئًا مقارنة بالسنوات التي تلت ذلك، حتى عام 1971.

يكفي أن أقول إن استئناف نشاطي كمزوّر، خاصة بهذا المعدل، أزعج طموحاتي الفنية. رفضت أن أتقاضى أجرًا من المنظمات، وكان علي أن أكسب عيشًا جيدًا بخلاف ذلك. مصور في النهار، تزوير في الليل، حسابات شركتي

دائمًا في اللون الأحمر، أعطيت نفسي ضررًا مجنونًا لإغلاق نهاية الشهر.

على المستوى الشخصي والعائلي، كان دائمًا نفس الاضطراب. في كثير من الأحيان، لم أحترم الوعد بأخذ أطفالي في نزهة في عطلة نهاية الأسبوع، دون أن أتمكن من شرح السبب، على الرغم من أنني كنت أعرف أنهم كانوا ينتظرونني لساعات. نظرًا لأن لدي ألف سر لم أفصح عنه، فقد تحدثت بأقل قدر ممكن، وتجنبت اختراع الكثير من الأكاذيب التي قد أتورط فيها. كاتيا، التي شفيت من اكتئابها، غادرت أخيرًا.

قابلت لاحقًا ليا لاكومب، مساعد بيير شيفر في مكتب الاذاعة والتلفزيون الفرنسي (ORTF)، وانتقلت معها إلى شقة جديدة، شارع تشارلز بودلير. لكن، مرة أخرى، منعتني أنشطتي الليلية من الارتقاء إلى مستوى توقعاتها. لطالما كانت حياتي العاطفية مليئة بسوء الفهم، ولكن مع ليا وصل الوضع إلى ذروته. كنت أعمل،

اعتقدت أنني كنت أقطع. ولأنني لم أستطع طمأنتها أو وضعها في الخفاء، ولو فقط لحمايتها، كان من المستحيل أن أسلب منها فكرة أنني كنت في أحضان أخرى عندما كانت تنتظرني حتى الصباح الباكر، غرقت النظرة وتفيض بالعتاب. شرحت لها أنني عملت في معرضي، لكنها لم تصدق. وصحيح أنه حتى بجانبها، غالبًا ما كان رأسي في مكان آخر. لكن ليس حيث تعتقد. أتذكر يومًا انفجرت من كثرة صمتي:

- لقد كنت أتحدث إليك لمدة نصف ساعة، تنظر في السراب، لا تجيبني. لكن أين أنت، في النهاية ؟

أجبتها باقتضاب:

- في أنغولا.

- هل تتردد على امرأة أنغولية ؟

مشاهد ونزاعات ودموع وسوء فهم.

أدت أسراري دائمًا إلى مثل هذه المشاكل.

لم أتمكن أبدًا من التوفيق بين الأنشطة السرية والحياة العاطفية، إلا عندما كان رفاقي أنفسهم متورطين في الشبكات. علاوة على ذلك، أثناء العمل ليلاً ونهارًا، كنت دائمًا مقصوصًا، ولم آخذ إجازة مطلقًا، ولم أكن متاحًا. لنقل الحقيقة، لم أكن فالح.

- لم تفكر قط في إيقاف كل شيء ؟

لكي لا اكذب عليك، في بعض الأحيان كنت تعبت من كل هذه التضحيات، سئمت من إجبارها على ألف لعبة بهلوانية ومضاعفة الليالي البيضاء لدفع فواتيري، أن أنام على الشواطئ التي تستغرق ساعتين، وأن أكون في حالة تأهب وأن أقضي وقتي في التحقق من عدم متابعتي، لعدم الاعتناء واللعب مع أطفالي، لجعل النساء اللواتي يحبونني يعانين من الحب، دائمًا ما يسجن في الوحدة الشديدة لأسراري. لكن كان كافياً أنني فكرت، ولو لثانية، في هؤلاء الرجال والنساء المجهولين الذين حملت حياتهم بين يدي لأتوقف على الفور عن الشفقة على مصيري. كانت قيمة حبي ومهنتي وراحتي

وأفراحي أقل بكثير من مساعدة الحياة في خطر، لأن ذكرى اليد التي مددها عملاء السادس، الذين أنقذوني من موت معين بينما كنت أنا نفسي مطارد، ظلت محفورة إلى الأبد.

كانت ليا ناشئة. لم تكن أقل جمالاً. كنت قد أعلنت للتو أنني سألغي عطلة نهاية الأسبوع في الحملة التي خططنا لها. شغلت الراديو «لأن كل هذا الصمت بيننا يكسر أذني»، شممت، لكنني أعتقد قبل كل شيء أنها أرادت تلقي أخبار المظاهرات. كان ذلك في شهر ماي 1968، وكان ابنها باسكال، في العشرينات من عمره، يسير في المواكب. وذكرت الإذاعة الاشتباكات. ردد الشاب الطلابي شعارات شعرية من خلال رمي الكتل لتحرير الأخلاق، وكان الأمر أفضل بكثير. ضاعف العمال الاعتصامات في جميع أنحاء فرنسا، وكنت أكثر اهتمامًا.

رن الهاتف. توقفت ليا أسرع مني.

- إنه من أجلك. قالت إن ستيفان مرتاحة بشكل واضح لأنها ليست امرأة.

في الطرف الآخر من الخط، أعطاني ماتي موعدًا لليوم التالي في الساعة 20:45 في لا روميري مارتينيكيز (La Rhumerie martiniquaise)، مما يعني في الواقع اليوم حتى في الساعة 18 ساعة في لا غلوسري دي ليلا (La Closerie des lilas). ارتديت معطفي وخرجت.

طلب بيرة، وطلبت كريم بالقهوة، كالعادة. أراد رأيي حول طلب مختلف قليلاً عن المعتاد.

-أخبرني، هل ستفعل ماذا لرجل يريد أوراقًا مزورة لتسخر من الشرطة، وربما حتى على أمل أن يتم القبض عليك ؟»

- هل حياته في خطر ؟

- لا. تم طرده من فرنسا بسبب المظاهرات. يريد العودة للتحدث في اجتماع، حيث يعلم أنه سيتم اعتقاله بالتأكيد مرة أخرى. يريد دفع سوط إعلامي.

- ما هي المخاطر ؟

- الطرد مرة أخرى، ربما في حي فقير صغير، أخيرًا ليس كثيرًا. ها هي صورته الجديدة. بالطبع، لهذه المناسبة، أصبح بنيًا.

عندما رأيت الصورة، أبتسمت.

- إذن ما رأيك في ذلك ؟ هل أنت موافق ؟

- وعدته ببطاقة الهوية لليوم التالي. كان لدي الكثير من العمل في وقت متأخر، لذا لم يكن لدي سوى القليل من الوقت لإضاعته لما لم أكن أعتبره عادةً حالة طوارئ، لكن هناك أردت إجراء استثناء. أخذت الطريق إلى المختبر وحبست نفسي في الغرفة المظلمة. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً بالنسبة لي لصنع بطاقة الهوية. كان لدي بالفعل بطاقات فارغة، وطوابع مختلقة، وطوابع ضريبية على الألواح. لذلك كان هناك فقط للعثور عليه اسمًا جيدًا، لملئه، لوضع الصورة، ولتقدم العمر في البطاقة.

بعد ثلاثة أيام، ذهبت إلى ORTF لاصطحاب ليا لتناول طعام الغداء. أردت أن نتصالح.

في الآونة الأخيرة، كنت صعبًا معها قليلاً. كانت المقهى التي اخترناه صاخب بشكل خاص. بينما غذت المظاهرات وعودة ديغول معظم المحادثات من حولنا، أفرغت ليا حقيبتها، وألقت بآلاف اللوم على سلوكي معها، وعدم الاستماع، وغيابي. كنت على استعداد لفعل ما تريد، والاستماع إليها طالما كان ذلك ضروريًا، عندما جذبت انتباهي الصورة الموجودة في إحدى الصحف التي قرأتها امرأة شقراء شابة على طاولات قليلة. رأينا دانيال كوهن بنديت، البني الآن، مأخوذًا من منصة اجتماع الحركة في 1 ماي. لم أستطع إلا أن أبتسم.

ضربت ليا أصابعها أمام عيني حتى أتمكن من العودة إليها.

- كما ترى، أنت لا تستمع إلي.
- ولكن إذا، ولكن إذا.
- كنت تنظر إلى الشقراء.
- لكن لا.

لقد كان بالتأكيد أكثر وسائل الإعلام المزيفة والأقل فائدة التي أدركتها على الإطلاق، لكنني أعترف بأنها كانت لا تزال فرصة عظيمة للتقدم إلى السلطات التي تعتمد عل القوة العضلية، مما يدل على أنه لا يوجد شيء أكثر اختراقًا من الحدود، وأن هؤلاء المسؤولين لا يملكون الأفكار.

أخيرًا، كان السماح لكوهين بنديت (Cohn-Bendit) المحظور بالعودة سراً إلى فرنسا هو مساهمتي الوحيدة في ثورة ماي. من ناحية، لأنني، بصفتي مزيفًا، كنت دائمًا حريصًا على عدم إظهار ألواني السياسية علنًا ؛ لذلك لم يكن مكاني بين المتظاهرين، ولكن في المختبر، حيث استمرت المطالب في التدفق، ومن ناحية أخرى لأنني كنت جسديًا في باريس، ظل عقلي وقلبي مع المظلومين في العالم الثالث. لقد كانوا في أمس الحاجة إلي من وراء البحار. وكنت آمل أن يجلب الغليان العالمي لعام 1968 نفسًا جديدًا

من الحياة ويتغلب تدريجيًا على عدم المساواة. في هذا السياق من الاضطرابات الكبيرة رأيت جانيت للمرة الأخيرة.

أنا و (جانيت) لم نقطع الاتصال بعضنا منذ الحرب الجزائرية عندما كانت ضابطة الاتصال مثل ماتي، اهتمت اهتمامًا وثيقًا بالثورة الكوبية. في عام 1963، أعدت فيلمًا وثائقيًا على كوبا، لكن الباسيوناريا التي تفوقت على المخرجة، تخلت جانيت عن الفيلم وتطوعت للانضمام إلى فريق حرب العصابات في أمريكا اللاتينية. انضمت في النهاية إلى القوات المسلحة (FAR) في غواتيمالا. قامت في البداية ببعض الرحلات هناك، ثم أكثر فأكثر، مجهزة دائمًا بأوراق مزيفة من صنعي.

كانت آخر مرة جاءت فيها إلى المختبر لطلب جواز سفر جديد. كانت هي ومجموعتها يعدون شيئًا ما، وأرادوا إظهار أن وفاة تشي جيفارا لن تعيق تقدم الثورة.

كنت قلق عليها. حاولت ثنيها، في البداية رفضت حتى إعطائها الأوراق. نظرت إلي من أعماق عينيها

الكئيبتين الهائلتين، وبابتسامة طفل، ردت بنبرة هادئة أنها، سواء مع أو بدونها، ستغادر على أي حال. لذلك، على مضض، كرمت طلبها وسافرت من أجل غواتيمالا.

في نهاية الصيف، كالعادة، لم يكن لدي فلس واحد للذهاب في عطلة وقمت بالتضحية في طقوسي الصباحية: كريم رائع، كرواسون وجريدة لوموند، دائمًا في نفس المقهى. لم تحدد الصحيفة اسم هذه الشابة الفرنسية التي أطلقت النار على فمها عندما طرق ضباط الشرطة بابها في مدينة غواتيمالا، لكنني كنت أعرف أنها كذلك. يمكن أن تكون هي فقط.

كم مرة كررت المشهد أمامي ؟

لأنه كان موضوعًا متكررًا في محادثاتنا. في حالة الاعتقال والتعذيب، كيف يتم الاحتجاز ؟ كيف لا نتكلم ؟ بالنسبة لجانيت، فقط الموت يمكن أن يضمن الصمت التام. كانت قد فكرت في كبسولة السيانيد؛ كان من المأمول أن يتصرف السم بالسرعة الكافية، وإلا فإن غسل المعدة سيكون كافياً

لإحيائه. إطلاق النار على العدو من أجل النزول ؟ محفوفة بالمخاطر، يمكن أن تتأذى فقط. لا، كان لدى جانيت حل لها، وأظهرت لي عدة مرات. وبتمديد إصبعيها، قامت بتقليد مدفع مسدس كانت تغرقه في فمها، مرفوع قليلاً، " لأنه في المعبد هناك خطر أن نفتقده. "كانت تطلق النار دون تردد، حتى قبل أن يتاح لها الوقت للتفكير.

عندما أغلقت الصحيفة، كان قلبي مرتفعًا. الهلالية لم تعد تمر. لقد أودعت مبلغ القهوة والهلالية على الطاولة وغادرت دون حتى تحية صاحب المقهى. مشيت في طريقي إلى المنزل، لكنني غيرت رأيي معتقد أن الوقت لم يحن لمقابلة ليا، وذهبت أخيرًا إلى المختبر.

شعرت بالذنب لدرجة أنني سمحت لنفسي بإقناعي بإعطائها جواز السفر هذا لدرجة أنني، لمدة يومين، حبست نفسي ولم أفتح الباب لأي شخص، ولم أضع قدمي في منزلي، ولم أرد على الهاتف، وواجهت الكثير من المشاكل في إخراج نفسي من السرير.

على الرغم من أنني طمأنت نفسي بأنها ذهبت إلى نهاية مُثلها العليا، إلا أنها بالتأكيد لم تكن تريد أن تموت لولا ذلك، إلا أن موتها أثر علي كثيرًا لدرجة أنني لم أتمكن من تقديم سبب. وبعد ذلك لم تكن الثورة في أبهى مسارها. بالطبع، كان لا يزال هناك المثال الكوبي، ولكن ماذا عن موقف فيدل كاسترو وانضمامه إلى الاتحاد السوفيتي ؟ وروى جميع الذين عادوا من كوبا أن وقت الاحتفال والأمل قد ولى.

إن الأخلاق الخاضعة للمراقبة، وانتهاك الحريات الفردية، والقمع والرقابة لا يمكن أن تبشر بالخير. كانت جزيرة كوبا النموذجية تفقد عظمتها.

لأنني لن أرى جانيت مرة أخرى، لأن الحداد كان صعبًا بالنسبة لي، غمرتني الشكوك فجأة. هل كان من الضروري مواصلة العمل أم لا ؟ ألم يحن الوقت، هذه المرة، لإيقاف كل شيء ؟

لكن بعد أسابيع قليلة فقط، انتهت المظاهرات المكسيكية عام 1968 بحمام دم. أطلقت الشرطة النار ببرود على مئات الطلاب، وأفادت الصحف عن مقتل أكثر من 300 شخص في غضون ساعات قليلة واعتقال عدد كبير منهم. هذا الحدث جرف بعيدا عن واحد

فجأة كل شكوكي. كان هذا ما كنت أقاتل ضده. في الأسبوع التالي، وصل ماتي إلى المختبر بجواز سفر مكسيكي نموذجي للتكاثر بالأرقام. اضطر المئات من المطلوبين إلى الفرار وكان ينظم بالفعل شبكة المأوى. كنا نفتح أبواب أوروبا والحرية لهم.

الجزء 14

مازلت مزور..

في عام 1969، كنت أصنع أوراقًا مزيفة لشبكة كيريال ودول OLAS من خلال ماتيي لمدة ست سنوات. بعبارة أخرى، بدأ روتين معين. تأتي الطلبات يومًا بعد يوم، في علب صغيرة من عشرة، خمسة عشر، وأحيانًا أكثر من ذلك بكثير، وأحيانًا لا شيء لفترة من الوقت. بطاقات الهوية وجوازات السفر ورخص القيادة والتصاريح والشهادات والشهادات بجميع أنواعها، الروتين اليومي.

كنت أعيش فترة كان من الممكن وصفها بالهادئة، عندما جاءت أنيت روجر تطرق باب المختبر، في يوم صيفي، برفقة إحدى صديقاتها. لقد وحدنا تواطؤ كبير، أنا وأنيت، منذ اليوم الذي أقنعتني فيه بمقابلة فرانسيس جينسون. خلال

الحرب الجزائرية، كانت من أوائل ضحايا موجة الاعتقالات التي فككت شبكة جينسون. ألقي القبض عليها جنبًا إلى جنب مع زعيم جبهة التحرير الوطني في منطقة مرسيليا في نهاية عام 1959، كانت أنيت حاملاً عندما تم سجنها في لابومات[135] أثناء انتظار المحاكمة. لأنها كانت طبيبة، قد استفادة من التواطؤ في المجتمع الطبي. حيث غير احد زملائها الأطباء تحليلاتها مع تحليلات مريضة مصابة بمرض خطير قبل تقديمها إلى الخبير، الذي أعلن الإفراج المؤقت الفوري عن أنيت. كانت محاكمتها قد بدأت بالفعل، وكانت تعرف جيدًا ما يمكن توقعه منذ أن سقطت الأحكام الأولى لمحاكمات باريس للتو، وحكمت على الأصدقاء بالسجن لمدة عشر سنوات، عندما هربت وهي مختفية في صندوق سيارة، وضغطت بطنها في يديها لحمايتها من الصدمات. ذهبت إلى سويسرا، ثم إيطاليا وأخيراً تونس العاصمة، حيث انضمت إلى الشبكة التونسية لجبهة التحرير الوطني وأصبحت

135 - aux Baumettes

طبيبة نفسية في جيش التحرير الوطني (ALN). وحُكم عليها غيابياً بالسجن لمدة عشر سنوات مثلها مثل الآخرين. بعد استقلال الجزائر، عُهد إليها بمسؤوليات عالية في وزارة الصحة الجزائرية، التي شغلتها لبضع سنوات.

والمرة الأخيرة التي زارتني في المختبر، كان على عجل و«بين حالتين عاجلتين»، حيث قاموا للتو القوات السوفياتية بغزو تشيكوسلوفاكيا لوضع حد نهائي لـ «الاشتراكية ذات الوجه الإنساني» لربيع براغ. أرادت أن تعرف ما إذا كنت سأساعد الإصلاحيين المعرضين لخطر السجن والموت على الفرار من البلاد. بالطبع قلت نعم.

هذه المرة، كان طلب أنيت يتعلق باليونانيين، الذين يقاتلون ضد ديكتاتورية العقداء. طلبت المرأة التي رافقته، جاكلين فيردو، المساعدة المادية لمجموعة المقاومة الداخلية. وقد وقع الانقلاب في عام 1967، أي قبل عامين، ومنذ أن عاقب النظام بشدة أي شكل من أشكال المعارضة. وتأكدت شائعات عن الرقابة والاضطهاد والسجن والترحيل

والتعذيب. وقد استبعدت اليونان لتوها من عضوية مجلس أوروبا، وتجري مظاهرات عديدة لدعم حقوق الإنسان والدفاع عنها في جميع أنحاء العالم. لقد فوجئت بأن لدي كمية صغيرة فقط من الأوراق اليونانية لشبكة كرويال على مدار العامين الماضيين.

وأوضحت جاكلين: «حتى اليوم، لجأنا إلى خدمة وثائق مزورة في إنجلترا، والتي لم تعد متاحة». كانت جاكلين، وهي طبيبة نفسية في مستشفى سانت آن، في الأربعينيات من عمرها ولديها وجه مستدير ناعم ألهم التعاطف على الفور.

تلقت بعصبية فتيل من هامشها قبل أن تستمر.

- تم منع جميع أعمال التمرد الداخلية، ونخشى على سلامة الشعب المطلوب.

عادة لم أكن أحب التفرق أو العمل مع العديد من الرعاة في وقت واحد، ولكن نظراً لأن هذه كانت كميات صغيرة، فقد قبلت.

كانت بطاقات الهوية اليونانية مغطاة بالجيلاتين الذي كان أكثر ليونة من اللدائن الحالية. إذا حاولنا إزالة البلاستيك لتزوير عناصر البطاقة أو تغيير الصورة، فإن الجزء الداخلي من الورق المقوى بالكامل سوف يمزق. كان من الأفضل تصنيعها. لقد درست بالفعل جميع الميزات الفنية، ويمكنني أن أبدأ بمجرد رغبتها. لقد نقلت مع جاكلين أنها ستحمل بطاقات الهوية في حقيبة يد امرأة من الجلد العادي، كبيرة بما فيه الكفاية، والتي كنت سأخيط لها بطانتين داخليتين إضافيتين، واحدة مرنة وصلبة تحتها، والتي من شأنها إخفاء الكمية المطلوبة من البطاقات. كانت تذهب ذهابًا وإيابًا من باريس إلى أثينا عدة مرات حسب الضرورة، وسنفعل الشيء نفسه دائمًا.

بعد بضعة أيام، سافرت جاكلين إلى أثينا، ست بطاقات في البطانة، في البداية. بعد يومين بالضبط من رحيل جاكلين، تلقيت زيارة غير معلنة لرولاند دوما. كانت برفقته طالبة قانون. إسمها ستيفاني جميلة جدًا، وكانت تعرف ذلك.

صامتة، مع وضع يديها في جيوب بنطالها الجينز، بدت تشعر بالملل بينما تذكرت أنا ورولاند بعض الذكريات الشائعة. عندما تحدثت، أصبحت نظرتها فجأة متحركة. تحدثت بسرعة بصوت واضح ومضمون. كان رفاقها، وهم جماعة مقاومة يونانية نشطة للغاية، قد أمروها بالعثور على مزوّر للطوارئ. كانت سلسلة التوريد المعتادة في إنجلترا قصيرة المدى.

كانت شبكة ستيفاني مهتمة بشكل أساسي بالهروب من البلاد من خلال الجمعية الفرنسية اليونانية للحرية في اليونان، وكانت تعاني من نفس الشلل الذي تعاني منه جاكلين منذ اعتقال المزوّر الإنجليزي. لم تكن ستيفاني بحاجة إلى بطاقات هوية فحسب، بل كانت بحاجة أيضًا إلى جوازات سفر، وهذه المرة لم تعد كميات صغيرة...

في الأسبوع التالي، جاء دور أوريلي، جليسة الأطفال السابقة لناتالي عندما عشت مع ماري ألين، لزيارتي. على عتبة الباب، التقت بماتيي، الذي جاء أيضًا لإرسال طلب

جديد لي للحصول على جوازات سفر يونانية نيابة عن كوريل.

لقد استقبلت أوريلي بفرح لا جدال فيه. كانت المرأة النشطة التي تقف أمامي تكتسح تمامًا صورة المراهق الخجول والحزين المعروف قبل عشر سنوات. في ذلك الوقت، اعترفت أوريلي بالفرار بسبب مشاكل عائلية خطيرة.

مع ماري ألين، أخذناها تحت جناحنا، واتخذت خطوات لأصبح الوصي القانوني عليها حتى لا يتم إعادتها إلى جلادها. تم تكليفها رسميًا من قبل الأخصائيين الاجتماعيين. أوريلي، التي عاشت في المنزل كأبنتي حتى سن بلوغها، وحتى أكثر من ذلك بقليل، خلال السنوات التي صنعت فيها أوراق جبهة التحرير الوطني، أدركت أنه في مختبر شارع الصائمين، لا ننتج إلا أعمال التصوير الفوتوغرافي فقط. ومع ذلك، لم نتحدث عن ذلك أبدًا، ووقفت أوريلي بمفردها. إلا في إحدى الأمسيات، عندما رأتني أنهار تحت كتلة العمل، اقترحت أن تساعدني. كان ذلك قبل يوم من

هروبي إلى بلجيكا. طوال الليل، قمنا بطباعة اللوحات الورقية السويسرية معًا والتي من شأنها أن تشكل احتياطي الشبكة أثناء انتظار بدء مختبر بروكسل.

كانت أوريلي في حالة جيدة. ضحكت ووصفت حياتها الجديدة لي، وسعدت بإعلانها أنها تعمل الآن كمحررة أفلام في السينما، وهو ما أرادت دائمًا القيام به.

عاشت مع رجل، نيكولا، الذي كانت ترغب في تقديمه لي، ولكن، غارقة كما هو الحال دائمًا، اقترحت تأجيل هذا الاجتماع حتى الشهر المقبل.

- لكنها عاجلة! لقد قطعتني.

كانت لدي للحظة فكرة يائسة عن الاعتقاد بأنها تريد تأييدي كـ «أب بالتبني»، لكن إلحاح أوريلي كان مختلفًا تمامًا.

كان نيكولا، شريكها، ثوريًا يونانيًا جاء إلى باريس قبل بضع سنوات للدراسة، حيث شارك وقته وحياته بين عمله كسينوغرافي وحركة شباب المقاومة اليونانية، التي عمل

من أجلها بحماس. يبدو أن نيكولا كان لديه خدمة لي اسأل...

هذه هي الطريقة التي تصاب بها الأشياء بالذعر فجأة من حولي.

فجأة، أراد الجميع أوراقًا يونانية. في الأشهر التي تلت ذلك، عندما غادر أحد الكفلاء المختبر، دخل آخر.

يجب أن أخبركم أيضًا أنه بالإضافة إلى الفوران اليوناني، لم أستطع منع الأصدقاء الآخرين، الأعضاء السابقين في شبكة جينسون، من القدوم لمساعدتي. كانت ساحات القتال عديدة، وحافظ العديد ممن دعموا جبهة التحرير الوطني، مثلي، على الشعور بالواجب تجاه المظلومين. كان الاندفاع، لم ينته أبدًا بالطرق على بابي. على سبيل المثال، كان هناك المخرج ماريو ماريت، الذي قدمت له الفيلم والأوراق اللازمة لتصوير فيلمه الوثائقي نوسا تيرا، الذي تم إنتاجه في غينيا بيساو مع متمردي الحزب الأفريقي لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (PAIGC). كنت أصنع

بالفعل أوراقًا مزيفة لـ PAIGC من خلال ماتيي، ولكن عندما عاد ماريو، أحضرني إلى المختبر شقيق اميكال كابرال، زعيم التمرد، وهو ميتيس يُدعى لويس كابرال، والذي كان سيصبح 1974، بعد ثورة القرنفل في البرتغال ووفاة أميلكار، أول رئيس لجمهورية غينيا بيساو.

بعد مغادرة البلاد بشكل غير قانوني، كان على لويس الحصول على أوراق جديدة ووضعها في الأمن على الفور. لقد اعتنيت بكل شيء، وبدأت تعاونًا طويلاً بيننا من شأنه أن يسمح لكبار المسؤولين بالسفر عبر أوروبا. بعد أن جاء لويس جواو، وهلم جرا. لن أدرجهم جميعًا، سيكون الأمر طويلاً جدًا، لكن بينما كنت حريصًا طوال حياتي لتجنب تكاثر الاتصالات، وجدت نفسي في غضون عام لتراكم أكثر من عشرة رعاة في كل مرة.

وفقًا لقواعد التقسيم المطلق، كان من الضروري ألا يكتشف أي شخص أنني أعمل لصالح الآخرين، ويجب على الجميع أن يعتقدوا أنهم «الوحيدون»، وبقدر الإمكان نظمت

نفسي حتى لا يجتمعوا. ومع ذلك، في بعض الأحيان لم أستطع منع اثنين منهم من الانتظار في غرفة الانتظار الخاصة بي في نفس الوقت، وبالتأكيد أخذ بعضهما البعض لزبائين العاديين.

لقد انتقلت من الروتين إلى الهرولة. ولم يؤد تعدد الجهات الراعية إلى زيادة عبء العمل فحسب، بل زاد أيضا من المخاطر. أدنى الإيماءات والكلمات والحركات تتطلب يقظة شديدة. قمت بترقيم صناديق الطلبات الخاصة بي، ثم أخفيتها في منتصف الصناديق المتطابقة الأخرى، والتي تحتوي على أوراق وإثباتات فوتوغرافية. كان صندوق ديماس ستيفاني (Dumas-Stéphanie) هناك 22، الصندوق 78 Annette-Jacqueline، الصندوق Aurélie-Nico the 43، إلخ. حتى لو كان السيد بيتي، الذي وصل كل صباح في الساعة التاسعة صباحًا وغادر كل مساء في الساعة السابعة عشرة، مثل المسرع، لم يخرج أنفه أبدًا من مكتبه، لم أعد أفصل نفسي عن سلسلة مفاتيحي، و اهتممت

بإغلاق كل باب من غرف المختبر خلفي بدقة. نظرًا لأن زبائني لم يكونوا كذلك، ولم تكن طلباتهم مكتوبة على تراكم الطلبات، كان علينا ترميز كل شيء والاحتفاظ بالذاكرة - لمتى، ولمن، وكم - دون إرباك عقولنا أبدًا.

هل يجب أن أخبرك أن (ليا) قررت أخيراً الإنفصال؟ لقد كان انفصالًا طويلًا، مليئًا بالحزن وسوء الفهم، كما كان تاريخنا بأكمله.

مرة أخرى في الزوبعة، بدأت أتعب بعصبية. لقد توصلت إلى نتيجة. كنت شيخًا، حاضرًا في المنتصف منذ الحرب العالمية الثانية. وكنت وحدي. كان هناك العديد من المناضلين من أجل الحرية، لكن في ميداني، لم يكن هناك أحد تقريبًا.

كلما لزم الأمر، لكل حياة في خطر، قمت بإعداد أوراق مزورة، وعاد نفس السؤال إلي إلى ما لا نهاية: إذا جئت للتوقف، إذا حدث لي شيء، فمن سيتولى المسؤولية ؟

بدأت أنضج الخطة للبحث عن الخطة التي ستحل محلي. حتى الآن، كنت قد واجهت مشكلة، عندما يكون ذلك ممكنًا، لتدريب متدرب على التزوير بدلاً من إعدام نفسي. لم يكن من الضروري في كثير من الأحيان التصنيع. ويكفي أن يقوم المتواطئون بسرقة أو إقراض جوازات السفر التي لا يوجد عليها سوى جوازات السفر.

صورة للتغيير، أو بيانات مثل التاريخ، الاسم، العمر. أتاحت تدريباتي تعزيز استقلالية شبكات المقاومة وتخفيف مهمتي. كنت مدرسًا جيدًا جدًا، وكان لدي طلاب ممتازون. كان خوسيه هيبوليتو دوس سانتوس، وهو رجل برتغالي شغل مناصب إدارية في LUAR[136]، طالبًا مجتهدًا. أصبح خبيرًا في بطاقات التسريح والشهادات العسكرية، مما سمح للعديد من الشباب المناهضين للاستعمار بالتخلي عن الجيش البرتغالي. نيكولاس، صديق أوريلي، كان لديه مهارات يدوية رائعة وحيلة تذكرني بي. أعلم اليوم أن مهاراته

136- الرابطة الموحدة للعمل الثوري Ligue unie pur l’action révolutionnaire

التزييفية أنقذت العديد من مقاتلي المقاومة اليونانيين. كلاهما كان يمكن أن يكون سلسلة من الاختيارات. فقط، كانوا جسدًا وروحًا مكرسين لحركتهم، لقضيتهم، وليس للأسباب. افترضت أنه ليس لديهم الوقت ولا الرغبة في أن يصبحوا «محترفين» في الأوراق الكاذبة.

لم نتطرق أبدًا إلى طرق التصنيع. غالبًا ما كانت حركات التحرير الأفريقية التي كان لها مكاتبها في الجزائر ترسل لي أشخاصًا جددًا للمساعدة أو التدريب. بحذر، قبلت أم لا، لأنه كان من الضروري الفرز. يجب أن يقال في ذلك الوقت أن أي شخص ادعى تحرير مثل هذا الشعب عن طريق أي خطاب ثرثار أو ثوري يمكنه المطالبة بمساعدة مالية من حكومة بومدين. أعطيت مواعيدي في المقاهي، بعيدًا عن المنزل. أخذت معلوماتي، حاولت طويلاً، رافضًا القيل والقال، عديم الخبرة، نخور، متعجرف، مارق... لقد شاهدت منذ فترة طويلة وسعت إلى الشخص الذي سيكون قادرًا على تولي المسؤولية، تقنيًا وأخلاقيًا.

- هل عثرت عليه ؟

كان من الممكن أن يكون أحدهم. كان لدى فابريزيو حوالي ثلاثين معرفة جيدة بالطباعة. لقد أراد حقًا معرفة كل شيء وكان مهتمًا بصراعات العالم بأسره. أعطيته الكثير من التدريب.

لأكثر من ستة أشهر، أمضى معي نصف يومين في الأسبوع، وكان يعود في كل مرة بعمل عملي يقوم به في المنزل. لقد كان ذكيًا، ولديه ذاكرة رائعة، وكنا نتحرك بسرعة كبيرة.

قدرت أنه بهذه السرعة سيتم تدريبه بالكامل في أقل من عامين. لكنني اكتشفت فيه تدريجياً مواقف، كلمات أثارت عدم ثقتي. تم إرسال فابريزيو إلي من قبل صوليدارتي (Solidarity)، شبكة هنري كريال (Henri Curiel)، ولكن بمجرد أن تحدثنا عنها، انتقدها بغضب فريد. صحيح أنه لم يتفق الجميع مع خط كوريل. وأصبح الهيكل الذي أنشأته هذه الأخيرة منذ الحرب الجزائرية أكثر كفاءة وتوسعا على

نحو متزايد. كما هو الحال دائمًا في السياسة، فإن القوة المتزايدة لرجل أو مجموعة تثير الغيرة والاستياء والانقسامات والمعارضة، وتدمر الفخر والرغبة في الانقلاب.

لكن هذا لم يكن أكثر ما يقلقني بشأن فابريزيو. على مدى مناقشات طويلة حيث كنا نتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل، كانت هذه كلمات مثل «أكثر راديكالية».

«حتى النهاية» أو «أسوأ بكثير من الضرر» الذي وضع الشريحة في أذني. كان ذلك عام 1970.

لقد بدأنا نسمع في العالم مجموعات صغيرة من أقصى اليسار مثل فصيل الجيش الأحمر أو عصابة البادر أو حتى الكتائب الحمراء، وهي منظمات أدانت بشدة أساليبها الدموية في حرب العصابات الحضرية. لبعض الوقت، بدا العديد من الشباب الذين انضموا إلى شبكات التضامن متحمسين للرغبة المضطربة في التلاعب بالأسلحة والمال، وعبدوا المارق ونسوا القضية، وانزلقوا بلا هوادة نحو قطاع الطرق.

لم يكن فابريزيو قاطع طريق بعيدًا عن ذلك. المال، على سبيل المثال، لم يثير اهتمامه. ولكن لأنه بين عمل «المقاومة» و «الإرهاب» تكون الحدود في بعض الأحيان هشة، ويصعب الجس عليها، بين عشية وضحاها أضع حداً لتشكيلها، واستسلمت للاستمرار بمفردي، طالما ينبغي ذلك. الخلافة لم تكن في الوقت الحالي.

الجزء 15

الذهاب الى الجزائر

- لماذا توقفت ؟

أدت سلسلة من الأحداث المزعجة إلى قراري بالخروج من الدارة. بدأ كل شيء يومًا ما في جويلية 1971. دخل ماتي مبنى التصوير والتقنيات الفوتوغرافية، في شارع الصائمين، وصبر بهدوء في غرفة الانتظار وهو ينعم شاربه كالمعتاد. هو زبون منتظم، عملت ثمانية سنوات مع ماتي. كانت العادة أنه في كل مرة يأتي في باريس، كان يذهب إلى المختبر بمجرد وصوله ثم قبل مغادرته مباشرة. بقية الوقت هو مسافر عبر العالم الثالث. متنكرا في زي سائح، يرتدي قميص زهرة وكاميرا على حزام كتف، سعى إلى الاتصالات، ونظم عمليات هروب، ورتب اجتماعات سرية بين قادة حركات

التحرير، وأقام شبكات دعم، دائمًا قدم واحدة على الأرض والأخرى في الطائرة، على جميع جبهات النضال من أجل تحرير الشعوب.

كانت لدينا عاداتنا الصغيرة. كانت «مجموعته» تنتظر، جاهزة دائمًا، في واحدة من مئات الصناديق من ورق الصور التي كانت جدرانها في الغرفة المظلمة مغطاة. الصندوق «ماتي»، المطابق لجميع الآخرين، كان الثامن من الأسفل، في الكومة الثالثة على اليسار.

التقطته وأدخلته إلى الغرفة المظلمة مع الحرص على إغلاق الباب خلفنا. حذرًا كما هو الحال دائمًا من نفاذية الجدران والأذنين الطائشة، فقد أنشأت راديو صغيرًا للتحدث دون خوف، وعلى الرغم من أن السيد بيتي قد غادر بالفعل، إلا أننا تبادلنا التفاهات فقط طالما أن أصواتنا لم تكن مقنعة بالموسيقى. لا شك أن عشرات السنين من الأنشطة تحت الأرض ولدت هذا النوع من رد الفعل. جاء ماتي لجمع جوازات السفر «المحلية» لجنوب إفريقيا نيابة عن

المؤتمر الوطني الأفريقي، المعروف باسم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، الحزب السياسي المناهض للفصل العنصري في جنوب إفريقيا. وهذه الوثائق، التي لا غنى عنها للجالية السوداء في جنوب افريقيا، تتألف من بطاقة هوية ومرور للشرطة، وهي تعتبر أجانب في بلدهم بتطبيق قوانين الفصل العنصري، وقد طرد السود من مدن وأقاليم البيض ثم أعيد تجميعهم في محميات. كانت هذه الوثيقة الضامن الوحيد لحرية تنقلهم.

منذ المظاهرة السلمية لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي في عام 1960، تم حظر المنظمة، التي اعتبرت تخريبية وخطيرة، وذهب قادتها تحت الأرض. وفي حالة إلقاء القبض، فإن أعضاء حزب المؤتمر الوطني الأفريقي يحكمون عليهم دائما بالسجن مدى الحياة، مثل نيلسون مانديلا، الذي أثار سجنه منذ عام 1963 الرأي العام الدولي.

في نفس العام 1963 أمر ماتي ليلأول مرة جوازات سفر داخلية ؛ ثم توقفت المطالب. لقد راجعنا احتياجات

اللحظة. زودني ماتي بقوائم بالأسماء والصور وأمرني بجوازات سفر فنزويلية ودومينيكية جديدة لتسليمها في زيارته القادمة. ثم أخطرني بطلب جديد. أراد أن يعرف كم من الوقت سأستغرق لبدء إنتاج كبير لجوازات السفر «الخارجية» في جنوب إفريقيا. هذه المرة كانت مسألة إخراج عدد كبير من النشطاء المناهضين للفصل العنصري من بلادهم للسماح لهم بالانضمام إلى قيادة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في المنفى ومواصلة النضال من الخارج.

لم أضطر أبدًا إلى صنع جوازات سفر خارجية. أعطاني ماتي عارضة أزياء معارة أو مسروقة لي للدراسة، وبمجرد مغادرته، ذهبت إلى العمل.

لقد فحصت هذا الجواز السفر الأصلي بعدسة مكبرة. كان ينتمي إلى شخص من جنوب إفريقيا، أسود يبلغ من العمر حوالي ثلاثين عامًا، تم التقاط صورته بدون ابتسامة. هناك ختم على زاوية الصورة، والحبر ينساب على كتف الرجل. وهذا جوار السفر يظهر أنه سافر في جيب سروال

صاحبه. كان ملطخًا قليلاً بالدهون، وله انكماشات أكثر وضوحًا على الجانب الأيمن منه على اليسار. كان الغلاف مصنوعًا ببساطة من الورق المقوى الصلب، البني الفاتح، مع علامة مائية مطبوعة بلون أغمق قليلاً، تعلوه راية مطبوعة أيضًا. كانت عالقة على الوريقات، والتي قدرت عددها بحوالي عشرة. لقد حددت التنسيق والوزن، ودرست الوزن، وملمس الورق، وكذلك اللون، الذي كان متوفرًا بدرجات مختلفة من الزنبق[137]. تحتوي الوريقات الداخلية على علامات مائية مطبوعة وشفافة مدمجة في الورقة. قمت بتحليل أحبار الطباعة، والأحبار المكتوبة بخط اليد، والطوابع، وقمت بقياس حجم ثقب الأرقام لاختيار الإبر.

لم يكن هناك ختم بارز، وللوهلة الأولى، لم أكتشف أي فخ أو صعوبة خاصة. لقد قمت بتصوير النموذج صفحة تلو الأخرى، والتقطت صورًا لكل ختم وطابع ضريبي

137 - sépia

لتصويرهم، واخترت أوراقي وألواني، ودمجت علامات مائية، وطباعتها، وصنعت بطانية من الورق المقوى وقمت بإلصاقها. استغرق الأمر مني أسبوعًا للحصول على النموذج الفارغ، متطابق تمامًا. كنت أخيرًا مستعدًا لبدء الإنتاج.

وجدت ماتي في مقهى لاغلوسري دي ليلا (La Closerie des lilas)، وأعادت النموذج إليه وأبلغته أنني كنت أنتظر فقط الضوء الأخضر.

قال لي أثناء مغادرته:

- دعنا نرى أنه عندما أعود من سانتو دومينغو، سأحصل على الأسماء والصور.

بعد أسبوع، لم يعد ماتبي من رحلة، وتلقيت مكالمة هاتفية من رولان دوما، الذي أراد رؤيتي في أقرب وقت ممكن. ذهبت إلى منزله والتقيت بميشيل رابتيس[138] المعروف باسم «بابلو». بعدما قدمنا رولاند دوما لبعضنا البعض، تركا لوحدنا في صالة من مكاتبه.

138 - Michel Raptis

على الرغم من أن طرقنا لم تتقاطع أبدًا، أي لم نلتقي من قبل، إلا أنني سمعت الكثير عن بابلو. فهو في الستينيات من العمر، من أصل يوناني، أسس الأمم الدولية الرابعة في اليونان، قبل أن يتولى قيادة الحزب التروتسكي في فرنسا. مثلي، خلال الحرب الجزائرية، كان قد دعم جبهة التحرير الوطني، التي كان مسؤولاً عنها، من بين أمور أخرى، عن إنشاء مصنع لصنع الأسلحة في المغرب. كان أيضًا هو العقل المدبر لحلقة التزوير في هولندا. وقد أسفرت العملية عن إلقاء القبض عليه وعلى شركائه. ثم حُكم عليه بالسجن 15 شهراً.

اشتهر بابلو بالمشاركة في معظم صراعات التحرر. لذلك عندما جاء إلي رولاند دوما وستيفاني لمساعدة اليونانيين في الكفاح ضد العقداء في اليونان، افترضت أن شبكتهم تعتمد على بابلوا، لكنني لم أكن متأكدًا.

ولكن، بقدر ما كان مثيرًا للاهتمام وملتزمًا، كان بابلو هو نوع الفرد الذي كان علي تجنبه بأي ثمن. «مثقوب مثل المصفاة»، كما يقال في لغة الدارجة.

معروف جدا لدى الشرطة. الكثير من الثرثرة أيضا. في رأيي، لم يحترم القاعدة الأولى للسرية: عندما تقوم بعمل سري، عليك أن تحترم بعض الصرامة، وبالتالي أن تهرب من النور والمنتديات السياسية الرسمية. مسألة السلامة والفطرة السليمة. سألني بابلو عما فعلته منذ دعم جبهة التحرير الوطني.

- العمل في التصوير. لقد تخصصت في استنساخ الأعمال الفنية. لدي عمل صغير.

- لا أوراق مزيفة ؟

- لا.

تبادلنا وجهات نظرنا السياسية، والتي كانت متشابهة إلى حد كبير. لقد شاركنا نفس القيم الإنسانية، لكنني فضلت الابتعاد والبقاء قدر الإمكان بعيداً بشأن أنشطتي. وبعد نصف ساعة من المحادثة، سألني بابلو عما إذا كان بإمكاني صنع جوازات سفر مزورة. كان لديه نموذج يريد أن يريني إياه، جواز سفر جنوب أفريقي، حيث سلمه لي.

أخذته دون أن أقول أي شيء لفحصه، الافتتاح، ووجدت بخوف أن جواز السفر هو الذي أعدته إلى ماتيي قبل أسبوع. نفس الصورة، نفس الاسم، نفس الرقم، نفس الخدوش في الزوايا.

جواز السفر هذا، كنت أعرف عن ظهر قلب، لقد قمت بتفصيله، وتصويره، ووزنه، ودراسته مليمتر مليمتر.

- كم من الوقت ستستغرق لإنتاج مائة ؟ مئتان ؟ ثلاثمائة ؟

- أنا لا أعرف.

- أعطني الثمن الذي تريده.

أن يخبرني بالمال صدمني حقاً. هل يعتبرني مرتزقة مرة أخرى ؟ أي شخص يعرفني، حتى القليل، كان يعلم أنني رفضت بشكل قاطع أن أتقاضى أجرًا. لقد صنعت كل هذه الوثائق المزورة منذ البداية بالمجان، لأنها تضمن استقلالي الكامل عن الشبكات وعدم مقبولية التزامي.

قبل بابلو، أخفيت أسئلتي، وأخذت جواز السفر معي، واحتفظت بإجابتي لاحقًا.

في المنزل، أخذت جواز سفر وجهاً لوجه في مطبخ شقتي، واجهت مشكلة مجنونة في العثور على النوم. صورة صاحب جواز السفر الجنوبي افريقي جعلتني حائر.

هل يجب أن أخبر ماتبي أم كوريل ؟ لطالما قلت ونادية أنني اشطرح ان عنصر واحد يتواصل معي.

اخترت ماتبي لأنه كان الوحيد الذي فاز بثقتي المطلقة. لقد احترم التقسيم احترامًا صارمًا وأثبت ألف مرة أن نواياه لم تكن مشكوكًا فيها أبدًا. لم يتحدث إلى أي شخص عن أنشطته السرية، ولم يخاطر أبدًا. ليس من قبيل المصادفة أن الثنائي لدينا كان يعمل بسلاسة لسنوات عديدة. لقد تميز عن الآخرين باستقلاليته الكاملة، ودائمًا ما كان يفرز بعناية الأشخاص الذين يعمل معهم والذين يعملون معهم.

لم يفاجئني شعور بابلو بمهمة مساعدة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وأنه بحاجة إلى الوجود وقبل كل شيء لاستعادة شعار النبالة الخاص به باعتباره دوليًا متشددًا شابته النتيجة المؤسفة في هولندا بشكل خطير.

ما لم أفهمه هو كيف انتقل جواز السفر من ماتي إليه، ولماذا وصل هذا الجواز مرة أخرى عندي. لم يكن ماتيي ليعطيه مباشرة إلى بابلو، لأنه كان يتوقع مخاطر أن نتحمل العمل مع شخص لديه سجل. قبل كل شيء، قمنا بالفعل بتسوية جميع العناصر الفنية لصنع جواز السفر هذا. هل كان (كوريل) ؟ وفي هذه الحالة، لماذا يبحث عن مزيف آخر، منذ أن عمل ماتيي لدى كوريل ؟

اعتقدت أنه إذا حدث شيء خطير لماتيي، لكان قد أبلغني شخص ما في الشبكة أو عن طريق الصحافة.

كان كوريل سيجد طريقة للاتصال بي مباشرة، دون المرور عبر بابلو. قبل كل شيء، كنت متأكدًا من أن كوريل لم يكن ليعرض علي المال أبدًا.

من المستحيل التهرب من الأسئلة التي كانت تهتز، تغذي أرقي. ماذا كان وراء هذه القصة ؟ افتراضان: إما أن شبكة كرويال كان هو مصدر هذه الفوضى، وفي هذه الحالة، فالأمر محزنًا، لكنني كنت أتعامل مع هواة فاقدين

للوعي تمامًا بالمخاطر، أو تم اختراقنا، وفي مكان ما داخل المجموعة، قام ضابط شرطة بسحب الخيوط من أجل تفكيك المنظمة.

في اليوم التالي، أعدت جواز السفر إلى رولاند دوما في ظرف لبابلو، وأخبرته أنني لا أستجيب لطلبه.

لقد اقترب شهر أوت ولم يعد بعد ماتيي لرؤيتي. كنت قلق بعض الشيء واتصفح الصحافة كل صباح على أمل ألا أجد اسمه أو وصفه في صفحة الحقائق المختلفة أو الأسوأ من ذلك، في قسم النعي.

مثل كل صيف، أضع شركتي في إجازة سنوية لبضعة أسابيع. كان عمر بوداود قد دعاني لزيارته في الجزائر العاصمة.

كانت إيفلين شريكتي بعد رحيل ليا. لقد انفصلنا الآن، لكننا بقينا على علاقة جيدة. أرادت الذهاب إلى إفريقيا وعرضت عليها ذات يوم مرافقتي في إجازة الى الجزائر، إذا كانت تعتبر أن المغرب العربي هو بالفعل جزء

من إفريقيا. قبلت. ثم فعلنا ما كنا مستمتعين بتسميته «رحلة الانفصال».

كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى الجزائر عام 1953، قبل الحرب. لم أمشي قط على تراب الجزائر المحررة. استقر بعض قدماء شبكة جينسون هناك للمساعدة في إعادة بناء البلاد. كانت تسمى «أقدام حمراء». كان هذا هو الحال مع جان ماري بويجلين[139].

انضم أولاً إلى شبكة دعم جبهة التحرير الوطني في عام 1957. بعد ذلك بعامين، أصبح منظم شبكة منطقة ليون، قبل أن يكون هو أيضًا ضحية إدانة خائن مقيم في مرسيليا، والذي علمنا لاحقًا أنه مسؤول عن تفكيك شبكة جينسون. في اليوم الذي جاءت فيه الشرطة لاعتقاله في مسرحه، كان لديه الوقت الكافي للهروب عبر مخرج الطوارئ، خلف الكواليس، والوصول إلى سويسرا، ثم الجزائر. حكم عليه غيابيا بالسجن عشر سنوات في عام 1961 أثناء محاكمة

139 - Jean-Marie Boeglin

جينسون، ولم تطأ قدمه فرنسا قط. في الجزائر العاصمة، أصبح مدير إدارة الاتصالات والبيئة في الشركة الوطنية للفولاذ (SNS). لم نلتق قط، لكن كل الخير الذي سمعته عنه والمحادثات الهاتفية الطويلة كان كافياً لإبرام أخوة لا لبس فيها بيننا، حتى من مسافة بعيدة. كان ينتظر لقائنا.

بمجرد وصولي، استقبلني Boeglin لتناول العشاء وكان الأمر كما لو كنا نعرف بعضنا البعض دائمًا. اجتماع بسيط ودافئ. كان بويجلين ذكيًا ومرحباً ومخلصًا وإنسانيًا قبل كل شيء، وبكل طريقة مشابهة للفكرة التي صنعتها عنه. في اليوم التالي، دعيت مرة أخرى إلى طاولته، في اليوم التالي، وهكذا طوال فترة إقامتي.

خلال وجبة غذاء حيث كنا نعيد صياغة العالم بتمجيد، سألني عما إذا كنت على استعداد لتقديم دورة لمدة خمسة عشر يومًا كفني تصوير في مدرسة تصميم الجرافيك. أراد الجمع بين أفضل طلاب الفنون الجميلة في الجزائر العاصمة. لقد

قبلت بسرور، أنا الذي كان يحب دائمًا تدريب الشباب. واتفق على عقد الدورة في سبتمبر.

كانت إجازتي على وشك الانتهاء، وذهبت إلى بويجلين للمرة الأخيرة قبل أن أغادر لأقول وداعًا.

- يوسف، قبل أن تغادر، يجب أن أريك شيئًا.

أخذني إلى غرفته، وأخرج من جيبه مفتاح درج مكتبه، الذي فتحه بعناية.

- اتصل بي أعضاء حزب المؤتمر الوطني الأفريقي. إنهم بحاجة إلى جوازات سفر مزورة لإخراج رفاقهم من البلاد. هذا نموذج.

خطرت ببالي حجة سيئة عندما سلمني جواز سفر جنوب أفريقي، كان حوافه أكثر وضوحًا على اليمين منه على اليسار. لقد فتحته... كان نفس الشيء. بإثارة، تراجعت وأعدت جواز السفر إليه كما لو كان قد أحرق أصابعي.

قلت له قبل أن أقفز في سيارة أجرة:

- دعونا نرى هذا عند عودتي.

أن جميع شبكات التضامن مع تحرير البلدان الأفريقية - وكان هناك الكثير - تريد جوازات سفر من جنوب إفريقيا، أي. لا شيء أكثر طبيعية. لكن لماذا دائمًا نفس جواز السفر، ثلاث مرات، في أيدي ثلاثة أشخاص مختلفين، لا يلتقون ولا يعيشون حتى في نفس البلد ؟ وبأي تأثير مغنطيسي غير مفهوم عاد إلي دائمًا ؟ ما هي الاستنتاجات التي يجب أن أستخلصها من هذا ؟

بالفعل، في الأشهر السابقة، تلقيت عدة زيارات إلى المختبر من أفراد لا أعرفهم، والذين جاءوا من أصدقاء سابقين لشبكة دعم جبهة التحرير الوطني، والذين يرغبون في طلب أوراق مزورة مني. واحد تلو الآخر، كنت قد شحنتها بلطف. كان هناك أيضًا هذا الرجل غير النزيه، وهو عضو سابق في شبكة دعم جبهة التحرير الوطني في إيطاليا، والذي وافقت على تدريبه لعدة أشهر قبل أن أصبح غاضباً بشكل لا يمكن إصلاحه عندما سألني، بينما كنت قد علمته كل شيء على الوثائق المزورة: «والآن المال، كيف نصنعه ؟» ومع

ذلك، كنت أفعل دائمًا كل شيء لأكون غير مرئي، وفرت من الضوء، واستخدمت أسماء مستعارة وتجنبت الاجتماعات السياسية. لم أعرض صوري أبدًا، ولم أقبل أي ميداليات. ومع ذلك، كان علي أن أوضح : لقد ذهب اسمي بعيدًا جدًا، أنا الآن في خطر.

كان شابان يقبلان بعضهما البعض، جالسين على الدرج الصغير المقابل تقريبًا لساحات لوتيرا، شارع مونج في شارع رولين. كدت أضطر إلى المرور قبل دخول هذا المبنى القديم عند باب الطحن، وصعود الدرج إلى الطابق الرابع.

سيدة بمظهر مدرس، زوجته بالتأكيد، جعلتني أدخل شقة مظلمة متواضعة بجدران مغطاة بالكتب. قالت وهي ترشدني عبر ممر:

- أدخل، أدخل.

أشارت إلى باب يؤدي إلى مكتب صغير مظلم مثل بقية الشقة. هنري كوريل رحب بي.

- أخيرًا يمكنني وضع وجه على اسم «السيد جوزيف»!

صرخ. إنه لشرف كبير أن ألتقي برجل الظل الأكثر تحفظًا، لحماً ودماً وعظماً.

كان طويل القامة وهزيل. ظهره المقبب، وعيناه قصر النظر أصبحت صغيرة بسبب تأثير النظارات السميكة، وهواءه الهش ونبرته الأستاذية أكسبته لقبه، «القديم».

- منذ متى نعمل معًا دون أن نلتقي ؟ وتابع. 1959، أليس كذلك ؟ اثنا عشر سنة... وما العمل الذي يتم القيام به لإخواننا المظلومين.

- ما هو شرف زيارتك ؟

- ثلاثة مرات نفس جواز السفر.

نظر إلي، وكأنه يريد استجوابي، وأنا أضع حقيبتي الكبيرة على الطاولة قبل فتحها.

- كل شيء لك. طوابعي، وجميع جداول البيانات الخاصة بي وتركيبات التلوين، والأوراق الفارغة، ونماذج كل وثيقة، وآلة تسخين للبطانيات الملصقة. اعتني بالأمر. لا يزال لدي بعض المواد لأحضرها لك. متى يمكنني تقديمها؟

انهار كوريل في كرسيه، دون إخفاء انزعاجه.

في طريق عودتي إلى فرنسا، على متن الطائرة، قررت الانسحاب، مقتنعًا بأنني إذا انتظرت الرد على لغز جواز السفر الملعون، فسأدخل السجن. وبين أربعة جدران، لن أكون مفيدًا لأي شخص بعد الآن.

أخبرني بوجيلين عن منصب في قسم بالشركة الوطنية للفولاذ لمدة عامين. لقد رفضت في البداية. ثم، عندما قدم لي جواز السفر، قلت لنفسي، "لماذا لا. لكن سنة واحدة فقط تم استجوابي، ولم تكن هناك كلمة أخرى. كل ما كان علي فعله هو الاختفاء في الطبيعة والاختباء، على الأقل الوقت المناسب لجعلي أنسى أجهزة المخابرات.

ثم قمت بالحساب. في سن السادسة والأربعين، كنت مزورًا منذ سن السابعة عشرة. ما يقرب من ثلاثين عامًا. كان طول العمر معجزة بالفعل.

كنت أعلم أن هروبي سيكون بمثابة ضربة لتنظيم قديم، ولهذا السبب، أثناء التعيين، وافقت على اصطحاب

اثنين من المتدربين في التدريب، والذين يمكن أن يستأنف ماتي لهم أثناء تقاعدي القسري. أما بالنسبة لمضادات الفصائل الإسبانية، فقد قمت بالفعل بتدريب عدد كافٍ من المزورين الشباب حتى يتمكنوا من إدارتها في هذه الأثناء.

كان أطفالي بالغين ويمكنهم القدوم ورؤيتي بقدر ما يريدون. كنت أعزب. لم يكن لدي شيء. كان لدي فقط عقد إيجار شقتي لإنهائها وشركتي للنوم. كان السيد بيتي قد فعل ذلك بالفعل عندما اضطررت إلى الفرار إلى بلجيكا، كان يرتبها مرة أخرى.

في نهاية ديسمبر 1971، ذهبت إلى الجزائر العاصمة، بخطة العودة إلى حياتي كمزوّر بعد عام، لكنني لم أصنع أوراقًا كاذبة مرة أخرى، وبقيت في الجزائر لمدة عشر سنوات، حيث التقيت بطالب قانون جزائري شاب كانت متطوعة في حركة تحرير أنغولا (MPLA).

كانت ليلى، والدتك. هذه المرة، أردت أن أبدأ بداية جديدة، للعيش في وضح النهار، بعيدًا عن ظلال وعذابات

النضالات السرية. لا يزال يحدث لي اليوم أن أعيد التفكير في أول ورقة مزيفة لي، قبل ستة وستين عامًا. هل كان بإمكاني بعد ذلك التخمين أن إنجاز هذا الفعل سيكون علامة على مصيري إلى الأبد ؟ في ذلك الوقت، كانت المقاومة. بالنسبة للكثيرين، أنهى التحرير. ليس بالنسبة لي. حياتي كمزوّر هي مقاومة طويلة ومتواصلة لأنني، بعد النازية، واصلت مقاومة عدم المساواة والفصل العنصري والعنصرية والظلم والفاشية والديكتاتورية.

علم أن هناك الكثير ممن لم يفهموا أسباب التزاماتي بعد الحرب العالمية الثانية. نظرًا لأنني لم أعد في خطر، فلماذا أستمر في المخاطرة بالسجن أو القتل بسبب صراعات بعيدة ؟ ومع ذلك، فإن مشاركتي في قلب كل هذه النضالات لم تكن سوى استمرار منطقي لعملي خلال المقاومة. في عام 1944، أدركت أن الحرية يمكن اكتسابها من خلال تصميم وشجاعة حفنة من الرجال. إن عدم المشروعية، ما

دامت لا تنتهك الشرف أو القيم الإنسانية، وسيلة جادة وفعالة للنظر فيها.

بطريقتي الخاصة، وبأسلحة وحيدة تحت تصرفي - أسلحة المعرفة التقنية والبراعة والطوباوية لا يتزعزع - حاربت منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا واقعًا مؤلمًا للغاية بحيث لا يمكنني ملاحظته أو معاناته دون فعل أي شيء، وذلك بفضل الاقتناع بامتلاك القدرة على تغيير مسار الأشياء، وأنه لا يزال يتعين اختراع عالم أفضل ويمكنني المساهمة فيه. عالم لا يحتاج فيه أحد إلى مزوّر. ما زلت أحلم به.

الجزء 16

ما بعد الكلمة

عندما قررت أن أكتب عن حياة والدي، اخترت عمداً التركيز فقط على سنوات نضاله وكفاحه، وإنهاء القصة في نهاية عام 1971، عندما توقف عن كل العمل السياسي السري. شعرت أن حياته الأخرى، التي أنا جزء منها، تهم فقط الأسرة والأقارب. ومع ذلك، في الكلمة النهاية، لا تزال هناك أسئلة معلقة.

عرفت بالطبع أسباب رحيله الى الجزائر، لكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ قررت استجوابه مرة أخرى.

وصلت إلى الجزائر العاصمة قبل أيام قليلة من عام 1972. سنة جديدة، حياة جديدة، بداية جديدة. قمت بتدريس تقنيات التصوير الفوتوغرافي والتقاط الصور

والطباعة لطلاب مختارين من بين أكثر الفنانين الجزائريين موهبة. كان يجب أن أعود إلى باريس في بداية العام 1973، لكن سنة واحدة تمر بسرعة... شعرت أنني بحالة جيدة. أنا حر قليلا. ثم كان هناك ذلك اليوم عندما طلب مني صديق للحركة الشعبية لتحرير أنغولا احضار بالسيارة مناضلة تدعى ليلى، والدتك، وهي من جنوب الجزائر وسمراء البشرة، ابنة إمام مسجد تقدمي، كانت جميلة بلا حدود، ويجب أن يقال، مهذبة للغاية. كانت تمتلك ثقافة عظيمة، وتدرس القانون في كلية الجزائر العاصمة، وقامت بحملة من أجل إنهاء استعمار في البلدان الأفريقية، وكانت مهتمة جدًا بالفن المعاصر والتصوير الفوتوغرافي. إنه الفن الذي قربنا من بعضنا البعض.

لقد أعطاني إرضاءها الدافع للنظر في مستقبل آخر. فجأة، عندما لم أفكر في الأمر من قبل، كانت لدي تلك الرغبة المجنونة في البدء من الصفر. كنت أدرك أن لدي فرصة غير مسبوقة للهروب من السجن حتى الموت. لقد قمت

بالتقييم. بعد كل شيء، سري، مخفي، رجل الظل، ألم أقضي سنوات كافية في تقديم الحياة أو الحرية للآخرين دون القلق بشأن حياتي ؟

لقد تزوجنا. ولد أخوك أتاهوالبا[140]، ثم خوسي[141]، ثم أنت، وكان الأمر كما لو، في سن الخمسين، كان يحق لي الحصول على فرصة ثانية. حياة إضافية.

- فلماذا عادت إلى فرنسا بعد عشر سنوات ؟

- كان اختيار ليلى. شَعرتْ أن موجة الأصولية الدينية لن تكون عابرة. لم أر شيئًا قادمًا، لكنها كذلك. مع مرور الأيام، أدركت تصلب الأخلاق. كانت تخشى عليكم الثلاثة، «ميتيس الصغار»، كانت تخشى علي، «اليهودي»، وعلى نفسها، امرأة ذات حرية، تزوجتني. أردنا أن يكون مزيجنا هو ثروتك، وهذا يعرضك للخطر. بعد مغادرة متسرعة، هبطنا في فرنسا عام 1982 بدون أمتعة وبدون عمل، مع ثلاثة أطفال صغار، وتأشيرة سياحية لمدة ثلاثة

140 - Atahualpa
141 - José

أشهر، ونأمل أن يتم حل الأمور في أسرع وقت ممكن. كنا عبارة عن أجانب، المرشحون للهجرة، خوفًا من طردنا إلى بلدنا الأصلي، لم نكن نعرف بالضبط أين منذ أن كانت ليلى جزائرية، أنت وأنا، أرجنتينيون... عند عودتي، رأيت جورج ماتيي مرة أخرى، في مقهى لاغلوسري لي ليلا، مثلما كان في ذلك الوقت. واصل معركته حتى عام 1980، ولا يزال يعمل صحفياً ووثائقياً. توفي هنري كوريل في 1978، قتل على يد اليد الحمراء[142] عند سفح مصعد شارع رولين. لقد سمعت بالخبر المفجع عندما كنت في الجزائر، من خلال الصحف.

لقد حزن كلانا على وفاة هنري، الذي أغلق نهاية حقبة. لقد كبرنا ولم نعد في ورطة. الصراعات الجيوسياسية في السنوات 80 تجاوزتنا، لم نعد نتقن المخاطر. كان جورج

142- منظمة ظلامية يفترض أنها في الواقع تابعة للمخابرات الخاصة الفرنسية من أجل التخلص من الملفات المزعجة بارتكاب أعمال تخريب واغتيال. غالبًا ما تُعزى وفاة هنري كوريل إلى اليد الحمراء أو منظمة الجيش السري، لكنها غير مؤكدة.

ماتيي قلقًا علينا، الذين ليسوا فرنسيين ويخاطرون بالطرد. عدت إلى وظيفتي كمصور وتوليت اجراءات التجنس. كان عليك أن تكون قادرًا على العيش في بلد تكون فيه حرًا. في عام 1992، أصبحنا فرنسيين. كنت في السابعة والستين من عمري، وكنت أبًا صغيرًا! لقد رأيتك تنمو على أمل أنه حتى لو لم أتمكن من تقديم عالم أفضل لك، فسأكون قادرًا على نقل القيم التي ناضلت من أجلها دائمًا. اليوم أنا متأكد من ذلك.

الفهرس

مدخل 4

مقدمة 9

كيف أصبحت مزورًا 13

خلال الحرب العالمية الثانية 46

سجن درانسي 77

العودة إلى باريس 102

نهاية الحرب العالمية الثانية 138

مزور الوثائق لليهود 157

شبكة فرنسيس جينسون 188

التزامي تجاه الجزائر 202

مزور جبهة التحرير الوطني 231

منخرط في جبهة التحرير الوطني 243

إلى جبهة التحرير الوطني 261

في بلجيكا 278
العودة إلى فرنسا 295
مازلت مزوراً 324
الجزائر 341
مابعد الكلمة 363
الفهرس 368

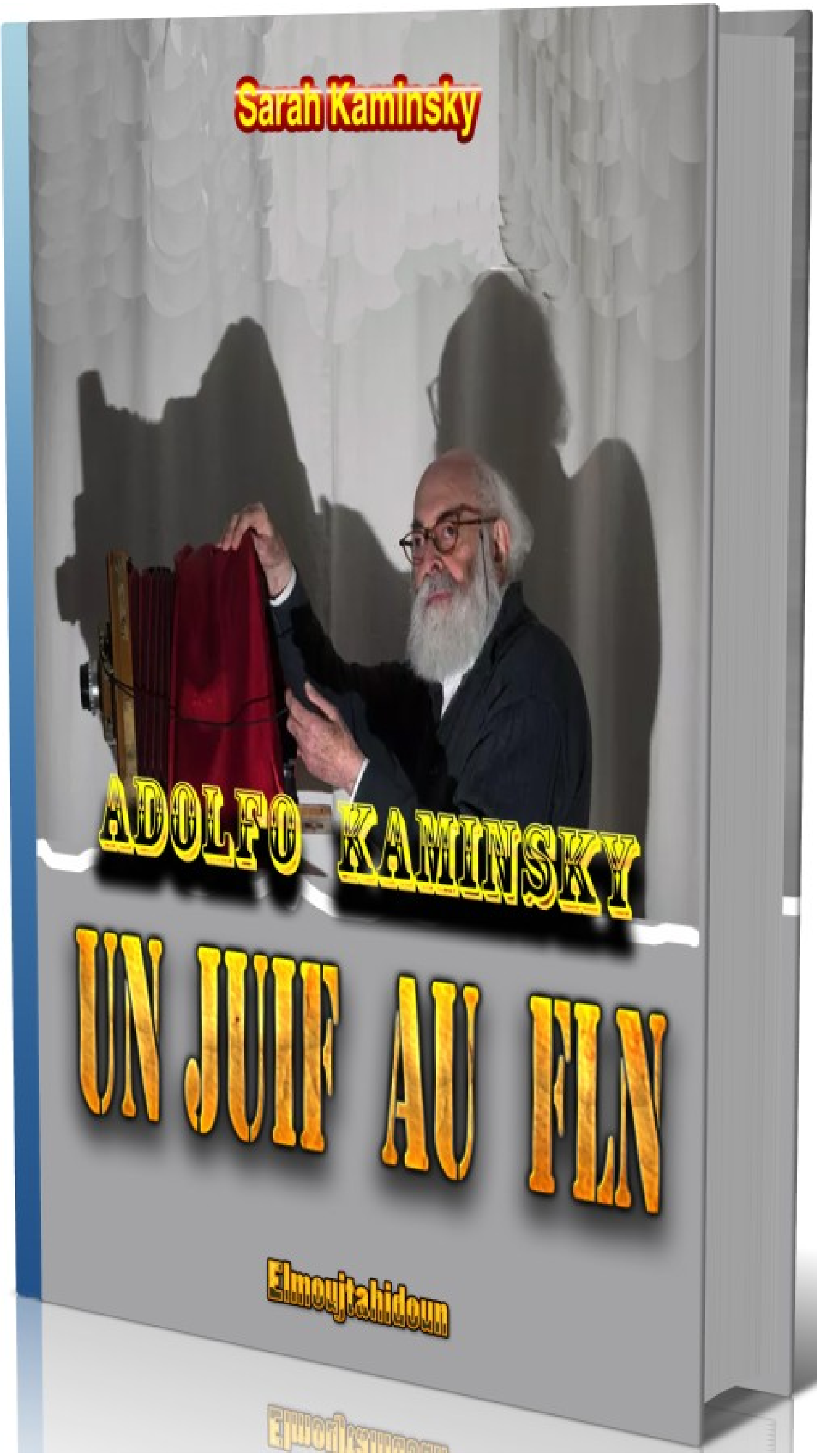
Sarah Kaminsky
ADOLFO KAMINSKY
UN JUIF AU FLN
Elmoujtahidoun